جُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي ٱلصَّلَاةِ

أرحنا بها يا بلال

جمع وترتيب

إبراهيم فتحي عبد المقتدر

مكتبة السنة

الطبعة الأولى لمكتبة السنة بالقاهرة

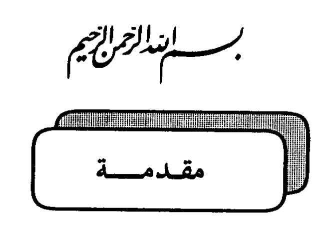
١٤٢٤ هـ = ٢٠٠٤ م



رقم الإيداع : ٢٠٠٣/١٧٠٧٣
طبع بدار نوبار للطباعة

مكتبة السنة
الدار السلفية لنشر العلم

القاهرة : ٨١ شارع البستان - ميدان عابدين ،ناصية شارع الجمهورية،
تليفون : ٣٩٠٠٣١٨ - ٣٩١٣٥٣٢ فاكس : ٣٩١٣٥٣٢ - تلكس: ٢١٧١٩ TLTHRB UN
ص . ب : ١٢٨٩ - الرمز البريدي : ١١٥١١



مقدمة

الحمد لله الذي لم يتخذ ولدًا ولم يكن له شريك في الملك ، وخلق كل شيء فقدَّره تقديرًا .. والحمد لله الذي جعل الليل والنهارخلفة لمن أراد أن يذَّكر أو أراد شكورًا .. وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له ، ليس كمثله شيء إنه كان سميعًا بصيرًا .. وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله ربه هاديًا ومبشرًا ونذيرًا .. وداعيًا إلى اللَّه بإذنه وسراجًا منيرًا .. صلى اللَّه عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا وبعد ..

فقد قال ﷺ : « الصلاة خيرٌ موضوعٌ فمن استطاع أن يستكثر فليستكثر »[1]، « لأن بها تبدو قوة الإيمان في شهود ملازمة خدمة الأركان ، ومن كان أقواهم إيمانًا كان أكثرهم وأطولهم

---

(١) حسن . رواه الطبراني في « الأوسط » ، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » (٣٨٧٠) .

صلاةً وقنوتًا وإيقانًا »[1] .

« وأي دعوة تريد أن تستقيم إلى اللّه فعليها أن تدلف من باب الاستقامة وبابها المحراب »[2].

« وسجود المحراب واستغفار الأسحار ودموع المناجاة : سيماء يحتكرها المؤمنون .. ولئن توهم الدنيوي جناته في الدينار ، والنساء والقصر المنيف فإن جنة المؤمن في محرابه »[3] . لأن الصلاة فيها معانٍ ترتفع بالإنسان بعيدًا عن هجير الحياة ولذا كان رسول اللّه ﷺ يقول : « يا بلال أقم الصلاة ، أرحنا بها »[4] .

يقول الشيخ سيد قطب رحمه اللّه : (حين يطول الأمد ، ويشق الجهد قد يضعف الصبر – الصبر على الطاعات ، والصبر على بطء النصر ، والصبر على بُعْدِ الشُّقَّةِ ، والصبر على انتفاش الباطل ، والصبر على قلة الناصر ، الصبر على طول الطريق الشائك ، والصبر على التواء النفوس ، وضلال القلوب ، وثقلة العناد ، ومضاضة الإعراض – أو

(١) « فيض القدير » (٤/٢٤٧) .

(٢) « الرقائق » محمد أحمد الراشد (ص١٥) .

(٣) « الرقائق » (ص ٢٧) .

(٤) صحيح . رواه أحمد في مسنده وأبو داود (٤٩٨٥) عن رجل من خزاعة ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (٧٨٩٢) و« مشكاة المصابيح » (١٢٥٣) .

ينفد إذا لم يكن هناك زَادٌ ومدد - ومن ثم يقرن الصلاة إلى الصبر فهي المعين الذي لا ينضب ، والزاد الذي لا ينفد .

المعين الذي يجدد الطاقة والزاد الذي يزود القلب ، فيمتد حبل الصبر ولا ينقطع ثم يضيف إلى الصبر الرضا والبشاشة والطمأنينة والثقة واليقين .

إنه لا بد للإنسان الفاني الضعيف المحدود أن يتصل بالله حين يتجاوز الجهد قواه المحدودة ، حينما تواجهه قوى الشر الظاهرة والباطنة ، حينما يثقل عليه جهد الاستقامة على الطريق بين دفع الشهوات وإغراء المطامع ، وحينما تثقل عليه مجاهدة الطغيان وهي عنيفة ، حينما يطول به الطريق ، وتبعد به الشقة في عمره المحدود ، ثم ينظر فإذا هو لم يبلغ شيئًا ، وقد أوشك المغيب ولم ينل شيئًا وشمس العمر تميل للغروب ، حينما يجد الشر نافشًا والخير ضاويًا ولا شعاع في الأفق ولا معلم في الطريق هنا تبدو قيمة الصلاة .

إنها الصلة المباشرة بين الإنسان الفاني ومولاه الباقي .

إنها الموعد المختار للالتقاء بالنبع الذي لا يغيض .

إنها مفتاح الكنز الذي يغني ويقني ويفيض .

إنها الانطلاقة من حدود الواقع الأرضي الصغير إلى مجال الواقع

الكوني الكبير .

إنها الروح والندى والظلال في الهاجرة .. إنها اللمسة الحانية للقلب المتعب المكدود .

إنها زاد الطريق ومدد الروح وجلاء القلب .

إن اللّه سبحانه حينما اصطفى محمدًا ﷺ للدور الكبير الشاق الثقيل قال له : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [المزمل : ١ ، ٢] فكان الإعداد للقول الثقيل والتكليف الشاق والدور العظيم هو قيام الليل وترتيل القرآن ، إنها العبادة التي تفتح القلب وتوثق الصلة ، وتيسر الأمر ، وتُشرق الروح ، وتفيض بالعزاء والسلوى والراحة والاطمئنان ومن ثم يوجه اللّه المؤمنين هنا وهم على أبواب المشقات العظام إلى الصبر والصلاة)[1] قال تعالى : ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ [البقرة : ٤٥] ، وقال تعالى : ﴿ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة : ١٣٥] .

اعلموا إخواني : أن اللّه عز وجل قدَّر الصلاة ، وقدّمها على غيرها من العبادات ، وإنما يحافظ عليها من يعرف قدرها ، ويرجو أجرها ، ويخاف العقاب على تركها . وهذه صفة المؤمن ، وإنما يتوانى

---

(١) « في ظلال القرآن » .

عنها ناقصُ الإيمان إن تكاسل ، أو كافر إن تهاون . وقد روى مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي اللّه عنه أن النبي ﷺ قال : « بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة »[1] .

اعلموا أن من أحب المخدوم أحب الخدمة له ، لو عرف من يناجي لم يقبل على غيره ، والصلاة صلة بين العبد وربه ؛ الستر الأول في الأذان ، فالأذان كالإذن في الدخول ، والستر الحاظر الإقامة .

فإذا كشف الغطاء لاح للمتقي قرة العين ، فدخل في دائرة المناجاة : (أرحنا بها يا بلال) ، فقد « جُعِلَتْ قُرَّةُ عيني في الصلاة »[2] .

اكشف يا بلال ستر التقرب عن القريب الحبيب .

« يا بطّال ، لو سافرت بلدًا لم تربح فيه حزنت على فوات ربحك وضياع وقتك . أفلا يبكي من دخل في الصلاة على قرة العين ، ثم خرج بغير فائدة ، يصلي فيرسلها كالطيور إذا أُرْسِلَتْ من حصار القفص ، يقوم ويقعد مستعجلًا كمثل الطروب إذا ما رقص .

يا هذا اطلب قبل ماء الوضوء قلبك ، فإن وجدته فقدّم إناءَك .

---

(١) رواه مسلم (١٣٤) (٨٢) ، والترمذي (٢٦١٨) ، وأبو داود (٤٦٧٨) .

(٢) جزء من حديث أنس بن مالك رواه النسائي (٣٩٥٠) ، وأحمد في مسنده ، وحسَّن إسناده عبد القادر الأرناؤوط في « جامع الأصول » (٧٦٦/٤) ، والألباني في « صحيح الجامع » (٣١٢٤) .

يا هذا ، إنما يصطاد الطائر بمحبوبه من الحَبِّ ، ومحبوب القلب الطاهر ذكر اللّه ، فحرام على قلبك الحائم حول جِيَفِ الهوى ، ألق له حب الذكر على فخ الصدق ، في حديقة الصور لعله يقع في شبكة المعرفة)[1] .

قال ﷺ : « الصلاة خيرٌ موضوعٌ ، فمن استطاع أن يستكثر فليستكثر » .

قال الحسن : (يا ابن آدم إذا هانت عليك صلاتك ، فما الذي يعز عليك ؟ !

ألا يستحي من يستوفي مكيال شهواته ، ويطفف في مكيال الدين .. ﴿أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ [هود : ٩٥] إن كان اللّه قد توعد بالويل من طفف في مكيال الدنيا فكيف بمن طفف مكيال الدين ؟!

– تعال معي أخي إلى الصلاة :

لما انقطع العبد عن الناس ، كان انقطاعُه صلةً بربه . وسمّاها اللّه تعالى صلاةً جزاءً وفاقًا فلننظر .. كيف يكون الجزاء من جنس العمل في هذا الباب ..

---

(١) « اليواقيت الجوزية » (٤٤، ٤٥) .

قال تعالى : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة : ١١٤] بيوت اللّه التي يأمن فيها الخائف ، سلبوا الأمن منها ، وخوّفوا عباد اللّه فيها ؛ فكذلك لا يدخلونها إلا خائفين والجزاء من جنس العمل)[١].

❋ المشاؤون إلى المساجد في الظُّلَم :

قال ﷺ : « بشر المشائين إلى المساجد في الظلم بالنور التام يوم القيامة »[٢] قال المناوي : (لما قاسوا ملازمة المشي في ظلمة الليل إلى الطاعة جُوزوا بنور يضيء لهم يوم القيامة ، وهو النور المضمون لكل مشاءٍ إلى الجماعة في الظلمة .

قيل : إنما قيد بالنور التام ، لأن أصل النور يعطى لكل من تلفظ بالشهادتين من مؤمن أو منافق ، لظاهر حرمة الكلمة ، ثم يقطع نور المنافقين فهنا يقول المؤمنون : ﴿رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾ [التحريم : ٨] ، والجزاء من جنس العمل .. مشوا في الظلم إلى المساجد ، فأنعمنا

(١) الجزاء من جنس العمل (١/٤٧٧) .

(٢) صحيح . رواه الترمذي (٢٢٣) ، وابن ماجة (٧٨٠) ، وأبو داود (٥٦١) ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (٢٨٢٣) .

عليهم بالنور التام يوم القيامة ظلمة بنور ، والجزاء من جنس العمل[1] .

وحدَّثتني يا سعد عنها فزدتنى جنونًا فزدني من حديثك يا سعدُ
هواها هوىً لم يعرف القلب غيره فليس له قبل وليس له بعدُ

فالعبادة على رؤوس العُبَّاد أحلى من التيجان على رؤوس الملوك .. وإذا سئم البطالون من بطالتهم ، فلن يسأم العباد من عبادة ربهم ومناجاتهم .. فهي دواء الجنون ، كما قال أبو مسلم الخولاني لرجل لما رآه كثير الذكر ، فقال له الرجل : أمجنون أنت ؟ فقال أبو مسلم : هذا دواء الجنون ..[2]. فرحم اللَّه رجالًا نصبوا أبدانهم لخدمة مولاهم .. وكابدوا العبادة حتى استمتعوا بها .

يقول ثابت البناني وعتبة الغلام : كابدت الصلاة عشرين سنة واستمتعت بها عشرين سنة[3] .

وإذا أقبل وقت الطاعة اشتاقوا إليها .. وحنَّت أرواحهم للقيام بها ورأوا الفوائد تأتي فيها كما قال السري : (رأيت الفوائد ترد في ظلم الليل)[4]. فسبحان من أعانهم ووفقهم ، وعلّى هممهم حتى حطَّت فوق الشمس ، وكم اشتاق الناس إلى سماع سيرهم وأخبارهم .

---

(١) « الجزاء من جنس العمل » (٤٨٢/١) . (٢) « سير أعلام النبلاء » (١٠/٤) .
(٣) « صفة الصفوة » (٨٣٢/٢) . (٤) « صفة الصفوة » (٥٢٣/١) .

نزلوا بمكة في قبائل هاشم ونزلت بالبيداء أبعد منزل[1]

فتعال أخي معي لتقرأ هذه الكلمات علّنا نتجاوز بها من مرحلة « أرحنا منها » إلى مرحلة « أرحنا بها » .

تعال معي لنستريح بها كما استراح بها نبيك ﷺ .

تعال معي لننتقل من هجير الدنيا الكالح إلى مَنازل إياك نعبد وإياك نستعين .

تعال معي لننتقل من مرحلة التعب والهم بها إلى مرحلة قرة العين وطمأنينة النفس وسكون القلب ونتذوق فيها حلاوة الإيمان .

وتَقَبّل اللّه منا ومنك ... واللهم إنا نسألك الخشوع والفقه في صلاتنا ، وأن تحببها إلينا وتزينها في قلوبنا .

والحمد لله رب العالمين .

وكتب

إبراهيم بن فتحي عبد المقتدر

كفر الشيخ – الحمراوي

ت : ٠٠٢٠٤٧٢٣٨٦٣٠

(١) « صلاح الأمة » (٣١٩/٢) بتصرف .

فائـدة هامـة

وقبل أن أخوض بك في غمار الموضوع سوف أنبّهك على مسألتين هامتين وهما[1]:

١- أن الاجتهاد في الصلاة والعبادة ليس ببدعة ولا ضلالة لوجوه .

٢- أن الاجتهاد في الصلاة والعبادة جائز بعشرة شروط .

❋ **المسألة الأولى :**

أن الاجتهاد في الصلاة والعبادة ليس ببدعة ولا ضلالة لوجوه .

قد يقول قائل : بعض المجاهدات مما لا يعقل وقوعها . فأقول : إن صح السند فذلك فضل اللّٰه يؤتيه من يشاء . « ومُدْمِنُ القرع للأبواب سيلج »[2] ومثل هذه الاجتهادات ليست ببدعةٍ وضلالة لوجوه :

١- **الأول** : أنه قد وجد الاجتهاد في العبادة حسب الطاقة من الصحابة وتبع التابعين من غير إنكار أحد منهم ، ولا يصح أن تنسب

---

(١) عن « صلاح الأمة في علو الهمة » لشيخنا أبي تراب سيد حسين العفاني (٢/٣٢١) .

(٢) أخلق بذي الكَـدِّ أن يحظى بحاجته ... ومدمـــن القـرع للأبـواب أن يلجـا

إليهم البدعة المنكرة .

– **الثاني** : بعض الخلفاء الراشدين فعل بعض هذه الاجتهادات ، وهذا دليل أنه سنة .

– **الثالث** : صدور مثل هذه الاجتهادات من المجتهدين ، ولا ينسبون إلى الضلالة بالإجمال .

– **الرابع** : أن أجلة المؤرخين الذين هم المعتمد عليهم بين المسلمين وقد اشتهر ورعهم في الدين وتحرزهم عن الابتداع في الدين ، قد أوردوا في تصانيفهم في تراجم العلماء ذكر اجتهادهم في العبادة ، وأدرجوا ذلك مدرج المدح والجلالة وهذا أدل دليل على أنه ليس ببدعة عندهم ، فإن المدح بما هو بدعة ليس من شأن العلماء .

– **الوجه الخامس** : ثبوت الاجتهاد في العبادة عنه ﷺ .. بل هو سيد المجتهدين على الإطلاق وزَيْنُهم وفخرهم (وأيهم يطيق ما كان رسول الله ﷺ يطيق) . ولو لم يكن إلا قيامه ﷺ الليل حتى ترم قدماه وتزلع[1] ، لكان كافيًا .

قال ابن بطال : في الحديث أخذ الإنسان على نفسه بالشدة في العبادة ، وإن أضَرَّ ذلك ببدنه ، لأنه ﷺ إذا فعل ذلك ، مع علمه بما سبق

(١) رواه البخاري (١١٣٠) .

له ، فكيف بمن لم يعلم ذلك ؟ فضلًا عمن لم يأمن أنه استحق النار .

ومحله – كما قال الحافظ ابن حجر – ما لم يفض إلى الملال لأن النبي ﷺ كان أكمل الأحوال ، فكان لا يمل من عبادة ربه ، وإن أضرَّ ذلك ببدنه . وقد ثبت في إحياء الليل من النبي ﷺ وهو سهر الليل كله للعبادة[1].

قال النووي : أي استغراقه بالسهر ، بالصلاة وغيرها .

فَنَفْيُ عائشة قيام الليل كله : (لا أعلم نبي اللّٰه قرأ القرآن كله في ليلة ، ولا صلى ليلة إلى الصبح) محمول على غالب أوقاته ﷺ .. ورضي اللّٰه عن عائشة القائلة : (وأيكم يستطيع ما كان رسول اللّٰه ﷺ يستطيع)[2] .

– الوجه السادس :

أنه قد أجاز النبي ﷺ العبادة على حسب الطاقة : فقال : « اكلفوا من العمل ما تطيقون ؛ فإن اللّٰه لا يمل حتى تملوا »[3] .

وفي البخاري عن عائشة مرفوعًا : « عليكم ما تطيقون من

(١) فتح الباري (٣/١٥) ط . مكتبة الغزالي .

(٢) رواه البخاري (٦٤٦٦) ، ومسلم (٢١٧) (٧٨٣) ، وأبو داود (١٣٧٠) .

(٣) رواه البخاري (٥٨٦١) ، ومسلم (٢١٥) (٧٨٢) ، وابن ماجة (٤٢٣٨) .

الأعمال فإن اللّٰه لا يمل حى تملوا » والنفوس مختلفة في الطاقة ، فمن أطاق كثرة العبادة من دون حصول ملل ، يجوز له ذلك ، واللّٰه تعالى خلق بعض النفوس ذوّاقةً شوّاقةً ، لها تشبُّهٌ بالملائكة الذين لا يفترون عن العبادة فمن حصل لنفسه التذاذ بشيء لم يحصل له بكثرته ملال أصلًا ، ومن لم يلتذ بشيءٍ حصل له بكثرته ملال .

فالحاصل أن السلف الماضين اختاروا العزائم في أنفسهم لأنهم أهل الهمم والعزائم وكانوا معترفين بصحة الرخص الشرعية يفتون بها للعامة ويحرضونهم على فعلها .

❋ المسألة الثانية :

الاجتهاد في العبادة جائز بعشرة شروط :

الأول : أن لا يحصل له ملل يفقده لذة العبادة بدليل : « ليصل أحدكم نشاطه » متفق عليه .

الثاني : أن يكثر حسب طاقته ودليله : « عليكم من الأعمال ما تطيقون » متفق عليه .

الثالث : أن لا يفوت ما هو أهم ، ويدل عليه قول عمر رضي اللّٰه عنه : (لأن أشهد الصبح في جماعة ، أحب إليّ من أن أقوم ليلة) .

الرابع : أن لا يضيع حقًّا شرعيًا كما حصل لابن عمرو وأبي الدرداء .

الخامس : أن لا يبطل رخصة شرعية كما ظن الرهط الذين تقالّوا عمل النبي ﷺ في بيته[1] . متفق عليه .

السادس : أن لا يوجب ما ليس بواجب شرعيّ كما أوجب ابن مظعون على نفسه[2] .

السابع : أن يأتي بالعبادة المجتهد فيها بتمامها بدليل : (لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث) .

الثامن : أن يداوم على ما يختاره من العبادة بدليل : « أحب الأعمال إلى اللّه أدومها » .

التاسع : أن لا يجتهد بحيث يورث الملل لغيره ، أخذًا بحديث : « إذا صلى أحدكم للناس فليخفف ، فإن فيهم الضعيف والسقيم والكبير ، وإذا صلى لنفسه فليطول ما شاء » متفق عليه .

العاشر : أن لا يعتقد أنه أفضل عملًا . مما كان عليه ﷺ من

---

(١) رواه البخاري (٥٠٦٣) ، ومسلم (١٤٠١) .

(٢) قد أوجب عثمان مع جماعة من الصحابة رضي الله عنهم على أنفسهم أشياء تنافي روح الإسلام مثل : لبس المسوح وترك النساء وقطع المذاكير ورفض الدنيا والسياحة في الأرض وصيام النهار وقيام الليل وعدم النوم على الفرش فأنزل الله فيهم : ﴿ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ﴾ [المائدة : ٨٧] ، وراجع « الطبري » « وأسباب النزول » للواحدي (ص١٥٣) .

تقليل العمل تشريعًا لأمته حتى لا يفرض عليهم)[1] .

(إن الصلاة عماد الدين وعصام اليقين ، ورأس القربات ، وغرة الطاعات ، عَمَرَ اللَّه بأنوارها قلوب العباد ، بفتح الباب ، ورفع الحجاب ، ورخَّص للعباد في المناجاة بالصلوات ، كيفما تقلبت بهم الحالات في الجماعات والخلوات .

وصدق واللَّه ذو النورين رضي اللَّه عنه يوم قال : (الصلاة أحسن ما يعمل الناس)[2]

ومن ذاق عرف .. حين تستشعر القلوب رهبة الموقف في الصلاة بين يدي اللَّه فتسكن وتخشع ويسرى الخشوع منها إلى الجوارح والملامح والحركات ويغشى الأرواح أنوار الجلال في حضرة اللَّه ، وتختفي من الأذهان جميع الشواغل فلا تشتغل بغير ربها ، وتستغرق في الشعور به ، وتُشْغَل بنجواه - يتوارى عن الحسّ كل ما حوله وكل ما به ، فلا يتذوق العبد إلا معنى الوقوف في تلك الحضرة القدسية ، ومناجاة الذات العلية ، فتجد الروح طريقها ويعرف القلب الموحش مثواه .. بدأت صفات المؤمنين بالصلاة وختمت بالصلاة لعظيم

(١) « إقامة الحجة على أن الإكثار في التعبد ليس ببدعة » لأبي الحسنات اللكنوي .
(٢) البخاري (٦٩٥) .

مكانها في بناء الإيمان ، بوصفها أكمل صورة من صور العبادة . قال ﷺ : « الصلاة خير موضوع ، فمن استطاع أن يستكثر فليستكثر » يصلي ما كتب اللَّه له صلاة محبٍّ ناصح لمحبوبه ، متذلل منكسر بين يديه ، لا صلاة مدلٍّ بها عليه ليرى من أعظم نعم محبوبه عليه أن استزاره وطرد غيره ، وأهَّله وحرم غيره ، فهو يزداد بذلك محبة إلى محبته ، ويرى أن قرة عينه ، وحياة قلبه ، وجنة روحه ، ونعيمه ولذته ، وسروره في تلك الصلاة فهو يتمنى طولها ، ويهتم بفراقها ، كما يتمنى المحب الفائز بوصول محبوبه ذلك فهو كما قيل :

يـودُّ أن ظـلام الـلـيـل دام لـه   وزيد فيه سواد القلب والبصر

فهو يتملق فيها مولاه تملق المحب لمحبوبه العزيز الرحيم ، ويناجيه بكلامه ، معطيًا كل آية حظها من العبودية فتجذب قلبه وروحه إليه آيات المحبة والوداد ، والآيات التي فيها الأسماء والصفات ، والآيات التي تعرف بها إلى عباده بآلائه وإنعامه عليهم وإحسانه إليهم ، وتطيب له السير آيات الرجاء والرحمة وسعة البر والمغفرة ، فتكون له بمنزلة الحادي الذي يطيب له السير ويهونه ، وتقلقه آيات الخوف والعدل والانتقام وإحلال غضبه بالمعرضين عنه العادلين به غيره ، المائلين إلى سواه . فيجمعه عليه ويمنعه أن يشرد قلبه عنه .

وبالجملة فيشاهد المتكلم سبحانه وقد تجلى في كلامه ، ويعطي كل

آية حظها من عبودية قلبه الخاصة الزائدة على مجرد تلاوتها والتصديق بأنها كلام الله ، بل الزائدة على نفس فهمها ومعرفة المراد منها . ثم شأنٌ آخر ، لو فطن له العبد لعلم أنه كان قبل يلعب ، كما قيل :

وكنت أرى أن قد تناهى بيَ الهوى إلى غايةٍ ما بعدها لي مذهب
فلما تلاقينا وعاينت حسنها تَيَقَّنتُ أني إنما كنت ألعب

فوا أسفاه ووا حسرتاه ، كيف ينقضي الزمان وينفد العمر والقلب محجوب ما شم لهذا رائحة ، وخرج من الدنيا كما دخل إليها ، وما ذاق أطيب ما فيها ، بل عاش فيها عيش البهائم ، وانتقل منها انتقال المفاليس ، فكانت حياته عجزًا ، وموته كمدًا ، ومعادهُ حسرة وأسفًا)[1] .

قال ﷺ : « أسرق الناس الذي يسرق من صلاته ، لا يتم ركوعها ولا سجودها وأبخل الناس من بخل بالسلام »[2] .

❋ الخشوع في الصلاة :

– قال ﷺ : « إذا قمت في صلاتك ، فصل صلاة مودِّعٍ ، ولا تكلّم بكلام تعتـذر منه وأجمع الإياس مما في أيـدي الناس »[3] .

---

(١) « طريق الهجرتين » لابن القيم (ص٢٠٥) .
(٢) رواه أحمد (٥/٣١٠) ، وابن خزيمة (٦٦٣) ، والحاكم (١/٢٢٩) ، وهو صحيح .
(٣) صحيح رواه أحمد وابن ماجة (٤١٧١) عن أبي أيوب ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (٧٤٢) .

- وقال ﷺ : « اذكر الموت في صلاتك ، فإن الرجل إذا ذكر الموت في صلاته لحريٌّ أن يحسن صلاته ، فصل صلاة رجل لا يظن أنه يصلي صلاة غيرها ، وإياك وكل أمر يعتذر منه »[١] .

- وقال ﷺ : « أفضل الصلاة طول القنوت »[٢] .

- وقال ﷺ : « إن أحدكم إذا قام يصلي إنما يناجي ربه ، فلينظر كيف يناجيه »[٣] .

- وقال ﷺ : « صل صلاة مودِّع كأنك تراه ، فإن كنت لا تراه فإنه يراك »[٤] .

فصلاة الرجل مع تذكر الموت من أكبر عوامل الخشوع في الصلاة .

❋ ومن عوامل الخشوع في الصلاة :

الأول : رمي البصر إلى محل السجود .

---

(١) حسن رواه الديلمي في « مسند الفردوس » ، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » (٨٤٩) .

(٢) رواه أحمد والترمذي (٣٨٧) ، وابن ماجة عن جابر ، والطبراني في الكبير عن أبي موسى « صحيح الجامع » (١١١٨) .

(٣) صحيح رواه الحاكم عن أبي هريرة ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (١٥٣٨) .

(٤) حسن رواه أبو محمد الإبراهيمي في الصلاة وابن النجار عن ابن عمر . وحسَّنه الألباني في « صحيح الجامع » (٣٧٧٦) .

الثاني : تذكر الموت .

الثالث : تذكر القيامة وأهوالها والجنة والنار والصراط ودقته والحساب وشدته .

الرابع : التدبر فيما يقرؤه .

الخامس : استحضار المعاني الباطنة التي تتم بها حياة الصلاة[1] .

السادس : استحضار هيبة الموقف بين يدي ملك الملوك جل جلاله .

السابع : الاستعاذة من شر الشيطان و وسوسته .

الثامن : سؤال اللّٰه تعالى قلبًا خاشعًا لذكر اللّٰه .

والخشوع هو : قيام القلب بين يدي الرب بالخضوع والذل والجمعية عليه ، والانقياد للحق ، وهو خمود نيران الشهوة وسكون دخان الصدور . وإشراق نور التعظيم في القلب ، وهو أيضًا : تذلل القلوب لعلام الغيوب .

ومن علاماته : أن العبد إذا خولف ورُدَّ عليه استقبل ذلك بالقبول والانقياد .

---

(١) وسوف يأتي لهذا مزيد بيان وتفصيل إذ أن مبنى الكتاب كله لأجل ذلك .

ومحل الخشوع القلب ، وثمرته على الجوارح ، قال ﷺ : « لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه » وقال بعض العارفين : حسن أدب الظاهر عنوان أدب الباطن ورأى بعضهم رجلًا خاشع المنكبين والبدن فقال : يا فلان ، الخشوع ههنا ، وأشار إلى صدره ، لا ههنا وأشار إلى منكبيه ، وكان حذيفة رضي اللَّه عنه يقول : (إياكم وخشوع النفاق، فقيل له : وما خشوع النفاق ؟ قال : أن ترى الجسد خاشعًا والقلب ليس بخاشع) .

وقال الفضيل بن عياض : (كان يُكرَهُ أن يُري الرجلُ من الخشوع أكثر مما في قلبه) .

وقال حذيفة رضي اللَّه عنه : (أول ما تفقدون من دينكم الخشوع ، وآخر ما تفقدون من دينكم الصلاة ، ورب مصلٍّ لا خير فيه ، ويوشك أن تدخل مسجد الجماعة فلا ترى فيهم خاشعًا) .

وقال سهل : من خشع قلبه لم يقرب منه الشيطان .

❊ جماع الخشوع :

وجماع الخشوع في ثلاثة مراتب :

الأولى : التذلل للأمر .

الثانية : والاستسلام للحكم .

الثالثة : والاتضاع لنظر الحق .

❃ **فأما التذلل للأمر** : فهو تلقيه بذلة القبول والانقياد والامتثال ومواطأة الظاهر الباطن مع إظهار الضعف والافتقار إلى الهداية للأمر قبل الفعل ، والإعانة عليه حال الفعل ، وقبوله بعد الفعل .

❃ **وأما الاستسلام للحكم الشرعي** : فبعدم معارضته برأي وشهوة .

❃ **وأما الاتضاع لنظر الحق** : فهو اتضاع القلب والجوارح ، وانكسارها لنظر الرب إليها واطلاعه على تفاصيل ما في القلب والجوارح وهذا أحد التأويلين في قوله تعالى : ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن : ٤٦] ، وقوله : ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ [النازعات : ٤٠] ، وهو مقام الرب على عبده بالاطلاع والقدرة والربوبية .

فخوفه من هذا المقام : يوجب له خشوع القلب لا محالة ، وكلما كان أشد استحضارًا له كان أشد خشوعًا ، وإنما يفارق القلب إذا غفل عن اطلاع الله عليه ونظره إليه . . واعلم أن نمو الخشوع إنما يكون بترقب آفات النفس والعمل ورؤية كل ذى فضل عليك فإن انتظار ظهور نقائص نفسك وعملك وعيوبهما لك : يجعل القلب خاشعًا لا محالة لمطالعة

عيوب نفسه وأعماله ونقائصهما : من الكبر والعجب ، والرياء وضعف الصدق ، وقلة اليقين ، وتشتيت النية ، وعدم تجرد الباعث من الهوى النفساني وعدم إيقاع العمل على الوجه الذي ترضاه لربك ، وغير ذلك من عيوب النفس ، ومفسدات الأعمال .

❋ كمال الخشوع :

ويكمل الخشوع بتصفية الوقت من مراءاة الخلق ، وتجريد رؤية الفضل ، فيخفي أحواله عن الخلق جهده كخشوعه وذله وانكساره ، لئلا يراها الناس فيعجبه اطلاعهم عليها ، ورؤيتهم لها ، فيفسد عليه وقته وقلبه وحاله مع اللّٰه وكم اقتطع في هذه المفازة من سالك ؟ والمعصوم من عصمه اللّٰه ، فلا شيء أنفع للصادق من التحقق بالمسكنة والفاقة والذل وأنه لا شيء ، وأنه ممن لم يصح له بعدُ الإسلامُ حتى يدّعي الشرف فيه .

وأما تجريد رؤية الفضل: فهو أن لا يرى الفضل والإحسان إلا من اللّٰه فهو المانُّ به بلا سبب من العبد ، ولا وسيلة سبقت منه توسل بها إلى إحسانه ، بل إن جميع ما وصله من خير فمن مِنَّةِ اللّٰه عليه وبفضله عليه من غير استحقاق منه ولا بذل عوض استوجب به ذلك كما قال تعالى : ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ

عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الحجرات : ١٧] .

❋ اعلم أن الخشوع قيام القلب بين يدي الرب بالخضوع والذلّ والجمعيّة عليه ، ورقة القلب وسكونه وانكساره وحرقته .

والخشوع : خمود نيران الشهوة ، وسكون دخان الصدور ، وإشراق نور التعظيم في القلب ، واستحضار عظمة الله وهيبته وجلاله .

والخشوع قاسم مشترك بين الأخلاق والعقيدة والعمل ، يغذوها بخشية الله ، فتؤدي مقصودها في النفس والقلب معًا .

الخشوع معنى شرعيّ وسلوك سنيّ ، فيه كل الانقياد لله ربّ العالمين .

قال الجنيد : الخشوع تذلل القلوب لعلام الغيوب .

والقلب أمير البدن ، فإذا خشع القلب ، خشع السمع والبصر والوجه وسائر الأعضاء وما ينشأ عنها ، حتى الكلام .

الخشوع يقظة دائمة لخلجات القلب وخفقاته ولفتاته حتى لا يتبلّد ، وحذرٌ من هواجسه و وساوسه ، واحتياط من سهواته وغفلاته ودفعاته ، خشية أن يزيغ وتعتريه القساوة .

والخشوع علمٌ يباشر القلب فيوجب له السكينة والخشية ،

والإخبات والتواضع والانكسار لله ، وكل أولئك من فيض الخشوع[1].

عن زيد بن أرقم رضي اللَّه عنه ؛ أن النبيّ ﷺ كان يقول : « اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ، وقلبٍ لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن دعوة لا تُسْتَجَابُ »[2] .

❁ الخشوع أول علم يُرْفَعُ من هذه الأمة :

– عن أبي الدرداء رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال : « أول شيء يُرْفع من هذه الأمة الخشوع ، حتى لا ترى فيها خاشعًا »[3] .

– وقال حذيفة رضي اللَّه عنه : (أول ما تفقدون من دينكم الخشوع ، وآخر ما تفقدون من دينكم الصلاة)[4] .

❁ ثناءُ اللَّه على الخاشعين :

قد مدح اللَّه في كتابه الخاشعين المنكسرين لعظمته ، فقال تعالى :

---

(١) انظر رسالة : « الخشوع وأثره في بناء الأمة » لسليم الهلالي ، و« الخشوع في الصلاة » لابن رجب ، و« صلاح الأمة » للعفاني .

(٢) رواه مسلم (٢٧٢٢) .

(٣) صحيح رواه الطبراني ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (٢٥٦٩) .

(٤) « مدارج السالكين » (٥٢١/١) .

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء : ٩٠] .

فأولى المنازل التي يحط فيها الخاشعون رحالهم : مغفرة من الله تمحق السيئات وتُربي الحسنات والأجر العظيم قال تعالى : ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [آل عمران : ١٩٩] .

❋ وللخاشعين البشرى من ربهم :

قال تعالى: ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ [الحج : ٣٤] .

ووصف الله المؤمنين بالخشوع في أشرف عبادتهم وهي الصلاة ، وبيّن أن الخشوع طريق الفلاح في الدنيا والآخرة ، يُحِسُّه المؤمن بقلبه ، ويجد مصداقه في واقع حياته ، وَعْدٌ من الله بالفلاح الذي لا يخطر على قلب بشر . قال تعالى : ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون : ١ ، ٢] .

❋ الخشوع طريق إلى أعالي الفردوس :

قال تعالى : بعد ذكر أوصاف المؤمنين في صدر سورة المؤمنون :

﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون : ١٠ ، ١١] .

❋ الخشوع ثبات على منهج الله :

قال تعالى : ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الحج : ٥٤] .

❋ القلب الخاشع بعيد عن الشيطان :

قال سهلٌ : (من خشع قلبه لم يقرب منه الشيطان)[1] .

عِتَابٌ من الله تعالى واستبطاءٌ للصحابة ، يدل على عظم منزلة الخشوع : ولولا عظم منزلة الخشوع وعُلوّها ، لما عاتب الله الصحابة أفضل القرون ، الذين لم يصلوا إلى تلك المرتبة السامية التي يريدها الله لهم بعد بضع سنين واستبطأهم .

قال تعالى : ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ۝ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الحديد : ١٦ ، ١٧] .

(١) مدارج السالكين (٥٢٢/١) .

قال ابن مسعود : (ما كان بين إسلامنا ، وبين أن عاتبنا اللّٰه بهذه الآية : ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ ، إلا أربع سنين)[1] .

رنة عتاب للمؤمنين الذين لم يبلغوا قمة الخشوع الذي يرضاه اللّٰه للعُصْبَةِ المؤمنة الأولى التي حملت المنهج الرباني . عتاب لجيل القدوة الذي استوى على سوقه في أحضان النبي الأسوة ﷺ .

(عتاب من المولى الكريم الرحيم ، واستبطاء للاستجابة الكاملة من تلك القلوب التي أفاض عليها من فضله ، عتاب فيه الوُدُّ ، وفيه الحض ، وفيه الاستجاشة إلى الشعور بجلال اللّٰه ، والخشوع لذكره ، وتلقِّي ما نزل من الحق بما يليق بجلال الحق من الروعة والخشية والطاعة والاستسلام .. إن هذا القلب البشرى سريع التقلب ، سريع النسيان وهو يشفّ ويشرق فيفيض بالنور ، ويَرِفُّ كالشعاع ، فإذا طال عليه الأمد بلا تذكير ولا تذكُّرٍ تبلّدَ وقسا ، وانطمست إشراقاته ، وأظلم وأَعْتَمَ . فلا بد من تذكير هذا القلب حتى يذكر ويخشع ، ولا بد من الطرق عليه حتى يرفَّ ويشفَّ ، ولا بد من اليقظة الدائمة كي لا يصيبه التبلد والقساوة ولكن لا يأس من قلب خمد وجمد وقسا

---

(١) رواه مسلم (٣٠٢٧) .

وتبلد ، فإنه يمكن أن تدبَّ فيه الحياة ، وأن يشرق فيه النور ، وأن يخشع لذكر اللّٰه ، فاللّٰه يحيي الأرض بعد موتها فتنبض بالحياة وتزخر بالنبت والزهر ، وتمنح الأُكُلَ والثمار ، وكذلك القلوب حين يشاء اللّٰه)[1] .

يحييها بعد قسوتها ، ويهدي الحيارى بعد ضلتهم ، ويفرج الكروب بعد شدتها ، كما يحيي الأرض الخاشعة المجدبة الهامدة بالغيث التهتان الوابل .. والقرآن ربيع قلب المؤمن ، كما أن الغيث ربيع الأرض .

قال ابن عباس : (إن اللّٰه استبطأ قلوب المؤمنين ، فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن)[2] .

❋ الخشوع ينتظم جوارح العبد جميعًا :

كان رسول اللّٰه ﷺ يقول في ركوعه في الصلاة : « ... اللهم لك ركعتُ وبك آمنت ، ولك أسلمتُ ، خشع لك سمعي وبصري ومخِّي وعظمي وعصبي ... »[3] .

❋ صفات الخاشع :

١ - الخوف من اللّٰه . قال تعالى : ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ * ٱلَّذِينَ إِذَا

---

(١) « في ظلال القرآن » (ص/٣٤٨٩) . (٢) « مدارج السالكين » (١/٥٢٠) .

(٣) رواه مسلم (٧٧١) (٢٠١) ، وأبو داود (٧٦١) ، والترمذى (٣٤٢١) ، وابن ماجة (١٠٥٤) .

﴿ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج : ٣٤، ٣٥] .

٢- البكاء من خشية اللّه . قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا * وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء : ١٠٧] . تهتز المشاعر وتلين القلوب ، ولا تكفي الألفاظ في تصوير ما يجيش في صدروهم من إحساس عظمة اللّه ، فإذا الدموع تنطلق معبّرة عن ذلك التأثر الغامر ، الذي تعجز الألفاظ عن تصويره .

٣- الصبر على ما أصابهم .

٤- إقام الصلاة .

٥- إيتاء الزكاة .

قال تعالى : ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ * ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الحج : ٣٤، ٣٥] .

٦- اليقين بلقاء اللّه والرجوع إليه . قال تعالى : ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة : ٤٥، ٤٦] .

٧- تعظيم شعائر اللّه . لن يعظم شعائر اللّه إلا خاشع لله ؛ لا

يخطو خطوة ولا يتحرك حركة إلا وهو ينظر فيها إلى اللّٰه ؛ فإنه إن لم يكن يراه فإن اللّٰه يراه ، فيجيش قلبه فيها بتقواه ، ويتطلع فيها إلى وجهه ورضاه .

❋ الخشوع في الصلاة :

قد شرع اللّٰه لعباده من العبادات ما يظهر فيه خشوع الأبدان الناشيء عن خشوع القلب وذُله وانكساره ، ومن أعظم ذلك الصلاة ، حين تستشعر قلوب الصالحين رهبة الموقف بين يدي اللّٰه ، فتسكن وتخشع ، فيسري الخشوع منها إلى الجوارح والملامح والحركات ويغشى أرواحهم جلال الله في حضرته ، فتختفي من أذهانهم جميع الشواغل ، ولا تشتغل بسواه ، وهم مستغرقون في الشعور به ، مشغولون بنجواه ، ويتوارى عن حسِّهم كل ما حولهم وكل ما بهم ، فما يضمون جوانحهم على شائبة مع جلال اللّٰه .

(والخشوع في الصلاة إنما يحصل لمن فرّغ قلبه لها ، واشتغل بها عما عداها ، وآثرها على غيرها ، وحينئذ تكون راحةً له وقُرَّةَ عَيْن . كما قال النبي ﷺ : « حُبِّبَ إليَّ الطيبُ والنساء ، وجعلت قرة عيني في الصلاة »[1] قال تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ

(١) صحيح رواه أحمد والنسائي ، وقد سبق تخريجه .

خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون : ٢] .

قال عليّ بن طلحة ، عن ابن عباس : خائفون ساكنون . وهو قول مجاهد والحسن وقتادة والزهري .

وعن عليّ بن أبي طالب رضي اللّه عنه : الخشوعُ : خشوع القلب ، وكذا قال إبراهيم النخعي .

قال ابن سيرين : كانوا يقولون : لا يجاوز بصرهُ مصلاّه) .

وعن سعيد بن جبير رحمه اللّه : ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون : ٢] يعني : متواضعين : لا يعرف من عن يمينه ولا مَن عن شماله ، ولا يلتفت ؛ من الخشوع لله عز وجل .

وعن مجاهد : ﴿وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة : ٢٣٨] قال : القنوت : الركون والخشوع ، وغضُّ البصر ، وخفضُ الصوت .

قال : وكان العلماء إذا قام أحدهم في الصلاة ، هاب الرحمن عز وجل ، عن أن يَشِذَّ نظره أو يلتفت أو يقلب الحصى أو يعبث بشيءٍ ، أو يحدِّث نفسه من أمر الدنيا إلاّ ناسيًا ما دام في صلاته .

وعن مجاهد رحمه اللّه في قوله تعالى : ﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الفتح : ٢٩] قال : الخشوع في الصلاة .

وللّه دَرُّ القائل :

ألا في الصلاة الخير والفضل أجمع ... لأن بها الآراب لله تخضع
وأول فرض من شريعة ديننا ... وآخر ما يبقى إذا الدين يرفع
فمن قام للتكبير لاقته رحمة ... وكان كعبدٍ بابَ مولاه يقرع
وصار لرب العرش حين صلاته ... نجيًا فيا طوباه لو كان يخشع

قال فضيلة الشيخ العلامة محمد المختار الشنقيطيُّ :

(الخشوع في الصلاة هو لذتها وحلاوتها ، وليس للإنسان إلا ما عقل من صلاته وقد أخبر اللّٰه عز وجل في كتابه أن الفلاح لا يكون إلا بالخشوع في الصلاة . وأعظم الأسباب التي تعينك على الخشوع في الصلاة سببٌ أشار اللّٰه عز وجل إليه بقوله : ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَـٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة : ٤٥، ٤٦] .

قال بعض العلماء : في هذه الآية دليل على أن كثرة ذكر الآخرة أعظم معين على الخشوع في الصلاة .

– وقد يكون هناك سبب يمنعك من الخشوع في الصلاة .

أ– إما مظلمة بينك وبين اللّٰه سلبك اللّٰه بها الخشوع في الصلاة ، كحدٍّ من حدود اللّٰه أو حرمة من محارم اللّٰه في سمع أو بصر أو لسان .

ب– وقد تكون غيبة لمسلم .

ج- وقد تكون عداوة لمسلم ، فآذنك الله بها بحرب .

- السبب الثاني الذي يسلب الخشوع في الصلاة هو : الانشغال بالدنيا ، وشرود الذهن أثناء الوقوف بين يدي الله عز وجل ، فإيَّاك ، ثم إياك وانشغال النفس بالدنيا إذا دخلت إلى المسجد .

ذُكِرَ عن بعض السلف أنه صلى بالناس عشرين سنة ، ما سها في صلاةٍ قط ، قالوا : أممتنا في الصلاة عشرين عامًا ما سهوتَ في صلاةٍ قط ، قال : والله الذي لا إله إلاّ هو ما دخلت المسجد وفي قلبي غير الله .

من أراد الخشوع بمجرد أن تطأ قَدَمُهُ المسجد يدخل وليس في قلبه إلاّ الله .

هذه المساجد بيوت الله اختارها الله لذكره ، واصطفاها للإنابة إليه لتمجيده وشكره ، إذا دخلها الإنسان خَلّف الدنيا وراء ظهره .

فإذا أردت الخشوع فاجتهد في تحصيل هذه الأسباب ، ونسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يرزقنا وإياكم حلاوة الخشوع والإخلاص فيها)[1] .

---

(١) عن شريط بعنوان « حلاوة الإيمان » لفضيلة الشيخ محمد بن محمد المختار الشنقيطي .

❋ الخشوع واجبٌ في الصلاة وهذا أرجح الأقوال :

قال القرطبي : (اختلف الناسُ في الخشوع : هل هو من فرائض الصلاة ، أم من فضائلها ومكمّلاتها ؟ على قولين ؛ والصحيح : الأول : ومحله القلب) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : قال اللّه تعالى : ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ﴾ [البقرة : ٤٥] ، وقال تعالى : ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ﴾ [الشورى : ١٣] ، فقد دَلَّ كتابُ اللّه عز وجل على مَن كَبُرَ عليه ما يحبه اللّه ، وأنه مذموم بذلك في الدين ، مسخوطٌ منه ذلك ، والذمُّ والسُخْطُ لا يكون إلا لترك واجب أو فعل مُحرَّم . وإذا كان غير الخاشعين مذمومين ، دَلَّ ذلك على وجوب الخشوع .

ويدلُّ على وجوب الخشوع في الصلاة : أن النبي ﷺ توعَّد تاركيه ؛ كالذي يرفع بصره إلى السماء ، فإنه حرّكه ورفعه ، وهو ضد حال الخاشع .

عن أنس بن مالك رضي اللّه عنه قال : قال رسول اللّه ﷺ : « ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم ؟! » . فاشتد قوله

في ذلك فقال : « لينتهُنَّ عن ذلك أو لتخطفنَّ أبصارهم »[1] .

وعن جابر بن سمرة رضي اللَّه عنه قال : دخل رسول اللَّه ﷺ المسجد وفيه ناسٌ يُصلون رافعي أبصارهم إلى السماء ، فقال : « لينتهينَّ رجال يشخصون أبصارهم إلى السماء ، أو لا ترجع إليهم أبصارهم »[2] انتهى باختصار[3] .

وذهب إلى الوجوب أيضًا : الحافظ زين الدين العراقي في كتابه القيم : « طرح التثريب في شرح التقريب » في رَدِّه على النووي[4] :

(لو ترك العبد واجبًا من واجبات الصلاة عمدًا ، لأبطلها تركه . وغايتُه أن يكون بعضًا من أبعاضها ، بمنزلة فوات عضو من أعضاء العبد الـمُعْتَقِ في الكفارة ، فكيف إذا عدمت روحها ولُبُّها ومقصودها (الخشوع) ؟! وصارت بمنزلة العبد الميِّت ؟! إذا لم يُعتدَّ بالعبد المقطوع اليد بعتقِه تقرُّبًا إلى اللَّه تعالى في كفارة واجبة ، فكيف يُعتدّ بالعبد الميت ؟! .

---

(١) رواه البخاري (٧٥٠) .

(٢) رواه مسلم (٤٢٨) .

(٣) فتاوى شيخ الإسلام (٢٢/٥٥٣- ٥٧٢) .

(٤) طرح التثريب (٢/٣٧٢) .

وقال بعض السلف : الصلاة كجارية تُهْدَى إلى ملك من الملوك ، فما الظَّنُّ بمن يهدي إليه جارية شلاء أو عوراء أو عمياء ، أو مقطوعة اليد والرجل ، أو مريضة ، أو دميمة ، أو قبيحة ، حتى يهدي إليه جارية ميتة بلا روح ، وجارية قبيحة ، فكيف بالصلاة التي يهْدِيها العبد ، ويتقرَّب بها إلى ربه تعالى ؟! والله طيِّبٌ لا يقبل إلا طيبًا ، وليس من العمل الطيب : صلاة لا روح فيها ، كما أنه ليس من العتق الطيِّب : عتق عبدٍ لا روح فيه .

وتعطيل القلب عن عبودية الحضور والخشوع : تعطيلٌ لملِكِ الأعضاءِ عن عبوديته وعزل له منها . فماذا تعني طاعة الرعية وعبوديتها ، وقد عُزِل مالكُها وتعطّل)[1] .

❋ مظاهر الخشوع في الصلاة :

١- وضع اليمين على الشمال في حال القيام :

قال العلامة ابن رجب الحنبلي : (ومما يظهر فيه الخشوع والذلُّ والانكسار من أفعال الصلاة : وضع اليدين إحداهما على الأخرى في حال القيام ، وقد رُويَ عن الإمام أحمد رحمه الله : أنه سئل عن المراد بذلك ، فقال : هو ذلٌّ بين يَدَيْ عزيز .

(١) مدارج السالكين .

قال علي بن محمد المصري الواعظ رحمه الله تعالى : ما سمعت في العلم بأحسن من هذا : عن أبي صالح السَّمَّان رحمه اللّٰه تعالى قال : يُبْعَث الناس يوم القيامة هكذا . ووضع إحدى يديه على الأخرى .

وملاحظة هذا المعنى في الصلاة يوجب للمصلي أن يتذكر وقوفه بين يدي اللّٰه تعالى للحساب .

وكان ذو النون - رحمه اللّٰه تعالى - يقول في وصف العُبَّاد : لو رأيت أحدَهم وقد قام إلى صلاته ، فلما وقف في محرابه ، واستفتح كلام سيده ؛ خطر على قلبه أن ذلك المقام هو المقام الذي يقوم فيه الناس لرب العالمين ، فانخلع قلبه وذهل عقله) .

٢- إقبال المصلِّي على اللّٰه عز وجل وعدم التفاته :

قال ابن رجب : (ومن ذلك إقباله على اللّٰه عز وجل وعدم التفاته إلى غيره وهو نوعان :

- **أحدهما** : عدم التفات قلبه إلى غير ما هو مباح له ، وتفريغ القلب للرب عز وجل .

عن عمرو بن عبسة رضي اللّٰه عنه ، عن النبي ﷺ ، أنه قال في فضل الوضوء وثوابه ، ثم قال : « فإن هو قام وصلى ، فحمد اللّٰه وأثنى

عليه ، ومجّدَهُ بالذي هو أهله ، وفرّغ قلبه لله ؛ انصرف من خطيئته كيوم ولدته أمه »[1] .

الثاني : عدم الالتفات بالنظر يمينًا وشمالًا ، وقصر البصر على موضع السجود ، وهو من لوازم خشوع القلب وعدم التفاته .

عن عائشة رضي اللّٰه عنها : سألتُ النبي ﷺ عن الالتفات في الصلاة ، فقال : « هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد »[2] .

وفي حديث الحارث الأشعري : « ... وآمركم بالصلاة ، فإذا قُمْتُمْ إلى الصلاة ، فلا تلتفتوا ؛ فإن اللّٰه ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ، ما لم يلتفت »[3] .

وهو قسمان: التفات القلب ، والتفات الجوارح .

ولا يزال اللّٰه مقبلًا على عبده ما دام العبد مقبلًا على صلاته ، فإذا التفت بقلبه أو بصره أعرض اللّٰه تعالى عنه ...

قال حسان بن عطية : (إن الرجلين ليكونان في الصلاة الواحدة ، وإن ما بينهما في الفضل كما بين السماء والأرض) وذلك

---

(١) رواه مسلم (٢٢٦) (٣) .　　(٢) رواه البخاري (٧٥١) .

(٣) رواه أحمد والترمذي والطيالسي وهو صحيح ، صححه الألباني في « صحيح الجامع (١٧٢٤) .

أن أحدهما مقبلٌ بقلبه على اللَّه – عز وجل – والآخر ساهٍ غافل .

فإذا أقبل العبد على مخلوق مثله بينه وبينه حجاب ؛ لم يكن إقبالًا ولا تقريبًا ، فما الظن بالخالق عز وجل ؟! وإذا أقبل على الخالق عز وجل وبينه وبينه حجاب الشهوات والوساوس والنفس مشغوفة بها ، ملأى منها ، فكيف يكون ذلك إقبالًا وقد ألهته الوساوس والأفكار وذهبت به كل مذهب ؟!

فإن الصلاة إنما تكفِّر سَيئات من أدَّى حَقَّها ، وأكمل خشوعها ، ووقف بين يدي اللَّه تعالى بقلبه وقالبه ، فهذا إذا انصرف منها وجد خِفّةً من نفسه ، وأحَسَّ بأثقالٍ قد وضعت عنه ، فوجد نشاطًا وراحة وروحًا ، حتى يتمنى أنه لم يكن خرج منها ؛ لأنها قرة عينه ونعيم روحه ، وجنة قلبه ، ومستراحه في الدنيا ، فلا يزال كأنه في سجنٍ وضيقٍ حتى يدخل فيها ، فيستريح بها لا منها ، فالمحبون يقولون : نصلي فنستريح بصلاتنا ؟ كما قال إمامهم وقدوتهم ونبيُّهم ﷺ : « يا بلال ، أرحنا بالصلاة » ولم يقل : أرحنا منها . وقال ﷺ : « جُعِلَت قرة عيني في الصلاة » . فمن جُعِلت قرّة عينه في الصلاة ؛ كيف تَقَرُّ عينه ﷺ بدونها ؟! وكيف يطيق الصبر عنها ؟!

فصلاة هذا الحاضر بقلبه الذي قُرَّةُ عينه في الصلاة هي التي

تصعد ولها نور وبرهان حتى يستقبل بها الرحمن عز وجل ...

والصلاة المقبولة أن يصلي العبد وقلبه متعلّق باللّٰه عز وجل ، ذاكرًا لله عز وجل على الدوام ، فأعمال هذا العبد تُعْرَض على اللّٰه عز وجل حتى تقف قبالته ، فينظر اللّٰه عز وجل إليه ، فإذا نظر إليها ، رآها خالصة لوجهه مرضيَّة وقد صدرت عن قلب سليم مخلص محبّ لله عز وجل متقرب إليه - أحبها ورضيها وقبلها .

وإثابته : رضا اللّٰه العمل لنفسه ، ورضاه عن معاملة عامِلِه ، وتقريبه منه ، وإعلاء درجته ومنزلته ؛ فهذ يعطيه بغير حساب .

مراتب الناس في الصلاة :

الأول : مرتبة الظالم لنفسه ، المفرّط ، وهو الذي انتقص من وضوئها ، ومواقيتها وحدودها وأركانها .

الثاني : من يحافظ على مواقيتها وحدودها ، وأركانها الظاهرة ووضوئها ، لكن قد ضيَّع مجاهدة نفسه في الوسوسة ، فذهب مع الوساوس والأفكار .

الثالث : من حافظ على حدودها وأركانها ، وجاهد نفسه في دفع الوساوس والأفكار ، فهو مشغول بمجاهدة عدوّه ، لئلاّ يسرق صلاته ، فهو في صلاة وجهاد .

الرابع : من إذا قام إلى الصلاة أكمل حقوقها ، وأركانها ، وحدودها ، واستغرق قلبه مراعاة حدودها وحقوقها ، لئلا يضيِّع شيئًا منها ، بل هَمُّهُ كلُّه مصروف إلى إقامتها كما ينبغي ، وإكمالها وإتمامها ، قد استغرق قلبَهُ شأنُ الصلاة وعبودية ربِّه - تبارك وتعالى - فيها .

الخامس : من إذا قام إلى الصلاة قام إليها كذلك ، ولكن مع هذا قد أخذ قلبه ووضعه بين يدي ربه عز وجل ، ناظرًا بقلبه إليه ، مراقبًا له ، ممتلئًا من محبته وعظمته ، كأنه يراه ويشاهدهُ ، وقد اضمحلت تلك الوساوس والخطرات ، وارتفعت حُجُبُها بينه وبين ربِّه فهذا بينه وبين غيره في الصلاة أفضل وأعظم ممَّا بين السماء والأرض ، وهذا في صلاته مشغول بربه عز وجل ، قرير العين به .

فالقسم الأول مُعاقب ، والثاني محاسَب ، والثالث مكفَّر عنه ، والرابع مثاب ، والخامس مقرَّب من ربه ، لأنّ له نصيبا ممن جُعلت قرة عينه في الصلاة . فمن قرّت عينه بصلاته في الدنيا ، قرّت عينه بقربه من ربه - عز وجل - في الآخرة ، وقرّت عينه أيضًا به في الدنيا ، ومن قرّت عينه بالله ؛ قرّت به كل عين ، ومن لم تقرّ عينه بالله تعالى ، تقطعت نفسه على الدنيا حسرات)[1] .

---

(١) « الوابل الصيب » لابن القيم (ص٢٥ - ٢٩) بتصرف .

٣- الركوع :

ومن الهيئات التي يظهر فيها الخشوع : « الركوع »

قال ابن رجب : (ومن ذلك : الركوع ؛ وهو ذُلٌّ بظاهر الجسد . ولهذا كانت العرب تأنف منه ولا تفعله ؛ حين بايع بعضهم النبي ﷺ أن لا يَخِرَّ إلاّ قائمًا[١] ؛ يعني يسجد مع غير ركوع ، كذلك فسَّره الإمام أحمد رحمه اللّه والمحققون من العلماء . وتمام الخضوع في الركوع : أن يخضع القلب لله ويذلَّ له ، فيتم بذلك خضوع العبد بباطنه وظاهره لله عز وجل ، ولهذا كان النبيُّ ﷺ يقول في ركوعه : « خشع لك سمعي وبصري ومُخي وعظمي ، وما استقلت به قدمي »[٢] .

إشارة إلى أن خشوعه في ركوعه قد حصل بجميع جوارحه ، ومن أعظمها القلب الذي هو ملك الجوراح ، والأعضاء كلها تبع له ولخشوعه)[٣] .

---

(١) وهو حكيم بن حزام ، أخرجه النسائي عنه بسند حسن ، والطبراني في الكبير ، والطحاوي في « مشكل الآثار » .

(٢) رواه مسلم (٧٧١) (٢٠١) ، وأبو داود (٧٦١) ، وابن ماجة (١٠٥٤) .

(٣) الخشوع في الصلاة (ص ٢٦ - ٢٨) .

٤- السجود :

(ومن ذلك : السجود ، وهو أعظم ما يظهر فيه ذُلُّ العبد لربِّه عز وجل ، حيث جعل العبد أشرف أعضائه وأعزّها عليه وأعلاها عليه حقيقة - أوضع ما يمكنه ، فيضعه في التراب متعفِّرًا ، ويتبع ذلك انكسار القلب وتواضعه وخشوعه لله عز وجل)[١] .

٥- وصف اللّه تعالى بصفات الكمال ونعوت الجلال :

(ومن تمام خشوع العبد لله عز وجل وتواضعه له في ركوعه وسجوده : أنه إذا ذَلَّ لربه بالركوع والسجود وصَفَ ربَّه حينئذٍ بصفات العِزّ والكبرياء والعظمة والعلوّ ، فكأنه يقول الذل والتواضع وصفي ، والعلو والعظمة والكبرياء وصفك)[٢] .

قال الحسن رحمه اللّه : (إذا قمت إلى الصلاة قانتًا ، فقم كما أمرك اللّه ، وإياك والسهو والالتفات . إياك أن ينظر اللّه إليك وتنظر إلى غيره ، وتسأل اللّه الجنة وتعوذ به من النار ، وقلبك ساهٍ لا تدري ما تقول بلسانك)[٣] .

٦- ذِكْر الموت في الصلاة :

قال ﷺ : « أذكر الموت في صلاتك ، فإن الرجل إذا ذكر الموت

(١) (٢) الخشوع في الصلاة (ص ٢٦، ٢٧) .
(٣) السابق (ص٢٩) .

في صلاته ، لحريٌّ أن يحسن صلاته ، وصلِّ صلاة رجل لا يظن أنه يصلي صلاة غيرها ، وإياك وكل أمر يعتذر منه »[1] .

وا مصيبتاه على ترك الخشوع :

قال حاتم الأصم : (فاتتنى صلاة الجماعة ، فعزَّاني أبو إسحاق البخاري وحده ، ولو مات لي ولدٌ لعزَّاني أكثر من عشرة آلاف ، لأن مصيبة الدين عندهم أهون من مصيبة الدنيا)[2] .

درجات الخشوع :

١- وجل القلب :

إنها الارتعاشة التي تنتاب القلب الخاشع الموصول بالله ، فتغشّاه جلالته وتتمثل عظمة الله ومهابته إلى جانب تقصيره وذنبه . قال تعالى : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال : ٢] ، وقال تعالى : ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ * ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج : ٣٤ ، ٣٥] .

٢- قشعريرة الجلد :

ثم تسري هذه الشحنة الإيمانية في الجسد المؤمن ، فيقشعِرُّ

(١) حسن رواه الديلمي في « مسند الفردوس » عن أنس ، وقد سبق .
(٢) المستطرف .

جلده ؛ قال تعالى : ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ﴾ [الزمر : ٢٣] .

٣- البكاء :

ثم تفيض أعينهم بالدمع ، قال تعالى : ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾ [المائدة : ٨٣] ، وقال : ﴿وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعٗا﴾ [الإسراء : ١٠٩] .

٤- لينُ القلب والجلد جميعًا :

ويتزوَّد الخاشع ببرد اليقين ، ويُحِسُّ بثلج الإيمان ؛ قال تعالى : ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ﴾ [الزمر : ٢٣] .

٥- السكينة :

وهي الوقار والسكون الذي يُنزله اللَّه في قلب عبده عند اضطرابه من شدة المخاوف فلا ينزعج بعد ذلك لما يرد عليه ، ويُوجب له زيادة الإيمان وقوة اليقين . والثبات والسكينة إذا نزلت على القلب ؛ سكن

بها وخشعت إليها الجوارح ، واكتسبت الوقار ولذلك فهي تجمع قوة و روحًا ، يسكن إليه الخائف ، ويتسلى به الحزين والضَّجِر فإذا باشرت قلبه ، سكَّنت خوفه ، وسلّت حزنه ؛ فإنها لا حزن معها ، فهي سلوة المحزون ، ومذهِبَةُ الهموم والغموم ، وكذلك أذهبت وَخْمَ ضجره وبعثت نشوة العزم .

❋ سكينة الوقار والخشوع :

أنزلها اللَّه في قلوب أهلها ونعتهم بها ، وهي ضياء تلك السكينة التي ذكرناها وثمرتها وعنها نشأت ، ولما كان النور والحياة والقوة مما يثمر الوقار ، كانت سكينة الوقار كالضياء لتلك السكينة ؛ إذ هو علامة حصولها ، ودليل عليها كدلالة الضياء على حامله .

٦- الإخبات :

وهو التواضع والسكون إلى اللَّه عز وجل ، وهو أول مقامات الطمأنينة ؛ كالسكينة واليقين ، والثقة باللَّه ونحوها . فالإخبات : مقدمتها ومبدؤها ، وهو ورود المأمَنِ من الرجوع والتردد .

ولما كان الإخبات أول مقام يتخلّص فيه السالك من التردد - الذي هو نوع غفلة وإعراض - والسالك مسافر إلى ربّه ، سائر إليه على مدى أنفاسه ، لا ينتهي مسيره إليه ما دام نَفَسُهُ يصحبه - شبَّه حصول

الإخبات له بالماء العذب الذي يرده المسافر على ظمأ وحاجة في أول مناهله ؛ فيرويه مورده ، ويزيل عنه خواطر تردُّده في إتمام سفره ، أو رجوعه إلى وطنه لمشقة السفر . فإذا ورد ذلك الماء زال عنه التردُّد ، وخاطر الرجوع . كذلك السالك إذا ورد مورد « الإخبات » تخلّص من التردد والرجوع ونزل أول منازل الطمأنينة بسفره ، وجَدَّ في السير .

٧- الطمأنينة :

(وهي نهاية الإخبات ، ولذلك فهي سكون القلب والنفس مع قوة الأمن الصحيح الذي لا يكون من غرور ؛ لأن الغرور قد ينزل القلب والنفس ، ولكن هيهات أن تطمئن به النفس أو يطمئن به القلب ، لأنه سرعان ما يتركه ، ولكن الطمأنينة لا تفارق صاحبها ، لأنه في مقام الرجوع إلى اللّه ، حيث لا يبقى معه شيءٌ من مخاوف الظنون والأوهام ، وكأنه ينظر إليه نظر العينْ ، فيأمَنُ به اضطراب قلبه وقلق نفسه ، قال تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد : ٢٨] ، وقال جلَّ شأنه : ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ [الفجر : ٢٧ - ٣٠] .

وفي هذا دليل أن الطمأنينة طريق الرجوع إلى اللّه ؛ فإن النفس لا

ترجع إلى ربها ، إلاّ إذا كانت مطمئنة ، فهناك ترجع إليه ، وتدخل في عباده الآمنين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، وهكذا يتبينّ لك أيها العبد الخاشع الراجع إلى ربه ، أن الخشوع سبع درجات طباقًا ، من ارتقى فيها بسلم الإخلاص ، وتوكّأ على عصا الاتّباع وَرَدَ مَعِينَ الفلاح)[1] .

تفاوت الخشوع في القلوب :

(متى تكلف الإنسان تعاطي الخشوع في جوارحه وأطرافه ، مع فراغ قلبه من الخشوع وخُلوِّه منه - كان ذلك خشوع نفاق ، وهو الذي كان السلف يستعيذون منه .

قال أبو الدرداء : استعيذوا بالله من خشوع النفاق . قالوا : وما خشوع النفاق ؟ قال : أن ترى الجسد خاشعًا والقلب ليس بخاشع .

ويتفاوت الخشوع في القلوب بحسب تفاوت معرفتها لمن خشعت له ، وبحسب تفاوت مشاهدة القلوب للصفات المقتضية للخشوع ؛ فَمِنْ خاشعٍ لقوَّة مطالعته لقرب الله من عبده ، واطّلاعِه على سرِّه وضميره المقتضي للاستحياء من الله ومراقبته في الحركات والسَّكَنات . ومِنْ خاشع لمطالعته لكماله وجماله المقتضي للاستغراق

(١) « الخشوع » لسليم الهلالي (ص٦١) .

في محبته والشوق إلى لقائه ورؤيته . ومِنْ خاشع لمطالعته شدَّة بطشه وانتقامه وعقابه ، المقتضي للخوف منه . وهو سبحانه جابر المنكسرة قلوبهم من أجله ، وهو سبحانه وتعالى يتقرَّب ممن يناجيه في الصلاة ويُعَفِّر وجهه في التراب بالسجود ، كما يتقرب من عباده الداعين له ، السائلين له ، المستغفرين من ذنوبهم بالأسحار ، ويجيب دعاءَهم ، ويعطيهم سؤالهم ، ولا جبر لانكسار العبد أعظم من القُرْبِ والإجابةِ)[1] .

وصف الخاشعين :

قال الحسن البصري : (إن المؤمنين لمَّا جاءتهم هذه الدعوة من اللَّه، صدّقوا بها وأفضى يقينُها إلى قلوبهم ، وخشعت لله قلوبهم وأبدانهم وأبصارهم . فواللَّه ما كانوا بأهل جدلٍ ولا باطل ، ولا اطمأنوا إلا إلى كتاب اللَّه ، ولا أظهروا ما ليس في قلوبهم ، ولكن جاءهم عن اللَّه أمرٌ فصدّقوا به فنعتهم اللَّه تعالى في القرآن أحسن نعتٍ ، فقال : ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان : ٦٣] قال : حلماء لا يجهلون ، وإذا جُهِلَ عليهم حلموا ، يصاحبون عباد اللَّه نهارهم بما

---

(١) الخشوع في الصلاة (ص١٣، ١٤) .

يسمعون ، ثم ذكر ليلهم خير ليل ؛ فقال : ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ [الفرقان : ٦٤] ، تجري دموعهم على خدودهم فرقًا من ربهم .

وقال رحمه اللّه : لأمرٍ ما سَهِرُوا ليلهم ، لأمرٍ ما خشعوا نهارهم ؛ فقال : ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان : ٦٥] . قال : وكل شيء يصيب ابن آدم ثم يزول عنه فليس بغرام ، إنما الغرام الملازم له ما دامت السماوات والأرض ، قال : صدق القوم واللّه الذي لا إله إلا هو – فعملوا وأنتم تَتَمَنَّوْن ؛ فإياكم وهذه الأماني – رحمكم اللّه – فإن اللّه لم يُعْطِ عبدًا بأمنيته خيرًا قط في الدنيا والآخرة . وكان يقول : يا لها موعظة لو وافقت من القلوب حياة)[1] .

قال فقيد الإسلام سيد قطب ، طَيَّب اللّه ثراه ، وأعلى في الجنة مثواه :

(هذا مشهدٌ حيٌّ يرتسم لهذه الفئة من الناس ، إنهم إذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول من هذا القرآن ، اهتزّت مشاعرهم ولانت قلوبهم ، وفاضت أعينهم بالدمع تعبيرًا عن التأثُّر العميق العنيف بالحقّ الذي

(١) السابق (ص٢٠، ٢١) .

سمعوه ، والذي لا يجدون له في أول الأمر كفاءً من التعبير إلا الدمع الغزير ، وهي حالة معروفة في النفس البشرية ، حين يبلغ بها التأثّر درجة أعلى من أن يفي بها القول ، فيفيض الدمع ليؤدي ما لا يؤديه القول ، وليطلق الشحنة الحبيسة من التأثر العميق العنيف .

ثم هم لا يكتفون بهذا الفيض من الدمع ، ولا يقفون موقفًا سلبيًا من الحقّ الذي تأثّروا به هذا التأثر عند سماع القرآن ، والشعور بالحق الذي يحمله ، والإحساس بما له من سلطان . إنهم لا يقفون موقف المتأثر الذي تفيض عيناه بالدمع ، ثم ينتهي أمره مع هذا الحق ، إنما هم يتقدّمون ليتخذوا من هذا الحقّ موقفًا إيجابيًا صريحًا .. موقف القبول لهذا الحقّ ، والإيمان به ، والإذعان لسلطانه ، وإعلان هذا الإيمان وهذا الإذعان في لهجة قويّة عميقة صريحة ، إنهم أولًا يعلنون لربّهم إيمانهم بهذا الحق الذي عرفوه ، ثم يَدْعُونه – سبحانه – أن يضمهم إلى قائمة الشاهدين لهذا الحق ، وأن يسلكهم في سلك الأمة القائمة عليه في الأرض – الأمة المسلمة – التي تشهد لهذا الدين بأنه الحق ، وتؤدي هذه الشهادة بلسانها وبعملها وبحركتها ، لإقرار هذا الحق في حياة البشر .

ثم هم بعد ذلك يستنكرون على أنفسهم أن يعوقهم معوّق عن الإيمان باللّٰه ؛ أو أن يسمعوا هذا الحق ثم لا يؤمنوا به ، ولا يأملوا بهذا الإيمان أن يقبلهم ربهم ويرفع مقامهم عنده فيدخلهم

مع القوم الصالحين .

فهو موقف صريح قاطع تجاه ما أنزل اللّٰه إلى رسوله من الحق .. موقف الاستماع والمعرفة ثم التأثر الغامر ، والإيمان الجاهز ، ثم الإسلام والانضمام إلى الأمة المسلمة .

لقد علم اللّٰه صدق قلوبهم وألسنتهم ، وصدق عزيمتهم على المضي في الطريق ، وصدق تصميمهم على أداء الشهادة لهذا الدين الجديد الذي دخلوا فيه ؛ ولهذا الصف المسلم الذي اختاروه واعتبارهم أن أداء هذه الشهادة - بكل تكاليفها في النفس والمال مِنَّةٌ يَمُنُّ اللّٰه بها على من يشاء من عباده ، واعتبارهم كذلك أنه لم يعد لهم طريق يسلكونه إلاّ هذا الطريق الذي أعلنوا المضي فيه ، ورجاؤهم في ربِّهم أن يُدْخِلهم مع القوم الصالحين .

لقد علم الله منهم هذا كله ، فقبل منهم قولهم ، وكتب لهم الجنة جزاءً لهم ، وشهد لهم سبحانه بأنهم محسنون ، وأنه يجزيهم جزاء المحسنين ، والإحسان أعلى درجات الإيمان والإسلام واللّٰه جل جلاله قد شهد لهذا الفريق من الناس أنه من المحسنين)[1] .

---

(١) « الظلال » (٢/٩٦٢ - ٩٦٣) .... « صلاح الأمة في علو الهمة » (٥/٥٨١-٦١٨) مبحث : « علو الهمة في الخشوع » لشيخنا الفاضل أبي تراب العفاني حفظه الله . بتصرف .

مراعاة المعاني الباطنة التي تتم بها حياة الصلاة

ويجمعها ستُّ جُمَلٍ وهي :

١- حضور القلب . ٢- والتفهم .
٣- والتعظيم . ٤- والهيبة .
٥- والرجاء . ٦- والحياء .

❋ **الأول : حضور القلب :**

فسببه الهمة ، فإن قلبك تابع لهمتك ، فلا يحضر إلا فيما يهمك ، ومهما أهمك أمر حضر القلب فيه شاء أم أبى ، فهو مجبول على ذلك ومسخر فيه ، فلا حيلة ولا علاج لإحضار القلب إلا بصرف الهمة إلى الصلاة ، والهمة لا تنصرف إليها ما لم يتبين أن الغرض المطلوب منوط بها ، وذلك هو الإيمان والتصديق بأن الآخرة خير وأبقى وأن الصلاة وسيلة إليها ، فإذا أضيف إلى هذا حقيقة العلم بحقارة الدنيا ومهانتها حصل من مجموعها حضور القلب في الصلاة ، وبمثل هذه العلة ، يحضر قلبك إذا حضرت بين يدي بعض الأكابر ، ممن لا يقدر على مضرتك ومنفعتك ، فإذا كان لا يحضر عند المناجاة مع ملك الملوك ، الذي بيده الملك والملكوت ، فلا تظن أن له

سببًا سوى ضعف الإيمان .

❁ **الثاني : « التفهم » :**

وهو اشتمال القلب على العلم بمعنى اللفظ ، وهذا مقام يتفاوت الناس فيه ، إذ ليس يشترك الناس في تفهم معاني القرآن والتسبيحات وكم من مَعَانٍ لطيفة يفهمها المصلي في أثناء الصلاة ، ولم يكن قد خطر بقلبه ذلك قبله ، فيقبل الإنسان على الفكر في المعاني ويتشمر لدفع الخواطر .

❁ **الثالث : « التعظيم » :**

وهو يتولد من : معرفة جلال اللَّه عز وجل وعظمته ، ومعرفة حقارة النفس وخستها ، وكونها عبدًا مربوبًا مسخرًا فيتولد من المعرفتين : الاستكانة والانكسار، والخشوع لله سبحانه .

❁ **الرابع : « الهيبة » :**

وهي خوف مصدره الإجلال والتعظيم ، وتتولد من المعرفة بقدرة اللَّه ونفوذ مشيئته .

❁ **الخامس : « الرجاء » :**

وسببه معرفة لطف اللَّه عز وجل ، وكرمه وعميم إنعامه ولطائف صنعه ومعرفة صدقه في وعده بالجنة بالصلاة .

❋ السادس : « الحياء » :

فباستشعاره التقصير في العبادة ، وعلمه بالعجز عن القيام بعظيم حق الله عز وجل ، ويقوى ذلك بالمعرفة بعيوب النفس وآفاتها ، وقلة إخلاصها وخبث دخلتها ، وميلها إلى الحظ العاجل ، مع العلم بعظيم ما يقتضيه جلال الله عز وجل وأنه مطلع على السر وخطرات القلب وبقدر الإيمان واليقين بهذه المعاني يخشع القلب)[1] .

قال ابن القيم : (كان بعض السلف يصلي في اليوم والليلة أربعمائة ركعة ، ثم يقبض على لحيته ويهزها ، ويقول لنفسه : يا مأوى كل سوء وهل رضيتك لله طرفة عين . وقال بعضهم : إني لأصلي ركعتين ، فأقوم عنهما بمنزلة السارق أو الزاني الذي يراه الناس حياءً من الله عز وجل)[2] .

(وباختلاف المعاني التي ذكرناها في القلوب ، انقسم الناس إلى غافل يتمم صلاته ولم يحضر قلبه في لحظة منها ، وإلى من يتمم ولم يغب قلبه في لحظة ، ولذلك لم يحس مسلم بن يسار بسقوط الأسطوانة في المسجد واجتماع الناس عليها . وجماعة كانت تصفر

---

(١) ملخصًا من « إحياء علوم الدين » للغزالي (١/١٩١، ١٩٢) .
(٢) « مدارج السالكين » (٢/٩٤- ٩٥) .

وجوههم وترتعد فرائصهم .

وكل ذلك غير مستبعدٍ فإن أضعافه مشاهدٌ في همم أهل الدنيا وخوف ملوك الدنيا مع عجزهم وضعفهم ، وخساسة الحظوظ الحاصلة منهم حتى يدخل الواحد على ملك أو وزير ويحدثه بمهمته ثم يخرج ، ولو سُئِلَ عمن حواليه ، أو عن ثوب الملك ، لكان لا يقدر على الإخبار عنه ، لاشتغال همه به ، عن ثوبه وعن الحاضرين إليه ، فحظ كل واحد من صلاته بقدر خوفه وخشوعه وتعظيمه ، فإن موقع نظر الله سبحانه القلوب دون ظاهر الحركات »[1] .

* * *

---

(١) « صلاح الأمة » (٢/٣٤٣) .

أهمية الصلاة ومكانتها

إن الصلاة فريضة فرضها الله على عباده المؤمنين قال الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء : ١٠٣] وقال تعالى : ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة : ٤٣] وعن بريدة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر »(١) وقد قال تعالى : ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ [التوبة : ١١] ، وعن عبد الله بن شقيق العقيلي رحمه الله قال : كان أصحاب النبي محمد ﷺ لا يرون شيئًا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة(٢) .

فإذا علم المسلم حكم الصلاة فإنه يجب عليه أن يتوب إلى الله تعالى ويستغفره ويندم على ما فات وإن الصلاة تؤدى جماعة في المساجد ، وإن الصلاة في البيوت ترك لسنة النبي ﷺ حيث لم

---

(١) رواه الترمذي (٢٦٢١) ، وقال : حسن صحيح .

(٢) رواه الترمذي في « كتاب الإيمان » (٢٦٢٢) بإسناد صحيح ، وابن نصر في « تعظيم قدر الصلاة » (٩٤٨) .

يرخص للرجل الأعمى والعاجز أن يصلي في بيته إلا لعذر من خوف أو مرض فكيف بالأصحاء الذين بطرتهم النعمة في بيوتهم وحاربوا اللّٰه بترك الصلاة ، فعن أبي هريرة رضي اللّٰه عنه قال : أتى النبيَّ ﷺ رجلٌ أعمى ، فقال : يا رسول اللّٰه ، ليس لي قائد يقودني إلى المسجد ، فسأل رسول اللّٰه ﷺ أن يرخص له فيصلي في بيته ، فلما ولّى دعاه ، فقال له : « هل تسمع النداء بالصلاة ؟ » قال : نعم . قال : « فأجب »[1] .

وعن ابن مسعود رضي اللّٰه عنه قال : من سرَّه أن يلقى اللّٰه غدًا مسلمًا فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن ، فإن اللّٰه شرع لنبيكم سنن الهدى ، وإنهن من سنن الهدى ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم ، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف)[2]. وفي رواية أخرى : أن رسول اللّٰه ﷺ علّمنا سنن الهدى وإن من سنن الهدى الصلاة في المسجد الذي يؤذن فيه ، فانظر رحمنا اللّٰه جميعًا إليهم كيف كانوا ثم تأمل وضعنا ؟ . وعن أبي الدرداء رضي اللّٰه عنه قال : سمعت رسول اللّٰه ﷺ يقول : « ما من ثلاثة في

(١) رواه مسلم (٢٥٥) (٦٥٣) .
(٢) رواه مسلم (٢٥٧) (٦٥٤) .

قرية ولا بَدْوٍ لا تقام فيهم الصلاة إلا قد استحوذ عليهم الشيطان فعليكم بالجماعة فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية »[1] .

وسُئِلَ ابنُ عباس رضي اللّٰه عنهما عن رجلٍ يقوم الليل ويصُوم النهار وهو لا يشهد الجمعة والجماعة فقال : هو في النار .

وهذا الصحابي الجليل عتّاب بن أسيد رضي اللّٰه عنه وقد ولّاه النبي ﷺ مكة المكرمة سمع برجال يتخلفون عن الصلاة جماعة في المساجد قال : يا أهل مكة واللّٰه لا أسمع برجال يتخلفون عن الصلاة في الجماعة في المساجد إلا ضربت أعناقهم ، فعلم الصحابة بذلك فزاده رفعة عندهم وارتفع قدره بل وصل الأمر بتهديد المتخلّف عن الصلاة جماعة في المسجد بأن يحرق عليه بيته فعن أبي هريرة رضي اللّٰه عنه أن النبي ﷺ قال : « والذي نفسي بيده لقد هممت أن آمر بحطب فيحتطب ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها ثم آمر رجلًا فيؤم الناس ، ثم أخالف إلى رجال فأحرق عليهم بيوتهم »[2] لأنهم لم يشهدوا صلاة الجماعة فمن حافظ على هذه الصلوات الخمس نجا يوم القيامة ومن ضيعها خاب وخسر . وعن عبد اللّٰه بن عمرو بن العاص رضي اللّٰه

(١) رواه أبو داود (٥٤٧) بسند حسن ، والبغوي (٧٩٣) ، والحاكم (١٠١ ٢) ، وابن خزيمة (١٤٨٦) .

(٢) متفق عليه : البخاري (٧٤٤) ، ومسلم (٦٥١) (٢٥٢) .

عنه أنه ذكر الصلاة يومًا فقال : (من حافظ عليها كانت له نورًا وبرهانًا ونجاةً ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نورًا ولا برهانًا ولا نجاةً ، وكان يوم القيامة مع : قارون ، وفرعون ، وهامان ، وأُبي بن خلف) .

قال تعالى : ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر : ٤٦] .

وقال عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه : (لا حظّ في الإسلام لمن ترك الصلاة) وقال علي رضي اللّه عنه : (من لم يصل فهو كافر) وقال ابن حزم : وقد جاء عن عمر وعبد الرحمن بن عوف ومعاذ بن جبل وأبي هريرة وغيرهم من الصحابة أن من ترك صلاة فرضٍ واحدٍ متعمدًا حتى يخرج وقتها فهو كافر مرتد والعياذ باللّه .

وقال عبد الحق الإشبيلي في كتابه : (ذهب جملة من الصحابة ومن بعدهم إلى تكفير تارك الصلاة متعمدًا لتركها حتى يخرج وقتها منهم : عمر ، ومعاذ ، وابن مسعود ، وابن عباس ، وجابر ، وأبو الدرداء ، وكذلك روي عن عليٍّ ومن بعدهم كالإمام أحمد وإسحاق وابن المبارك وإبراهيم النخعي والحكم بن عيينة وغيرهم من السلف كل هؤلاء ذهبوا إلى تكفير تارك الصلاة حتى يخرج وقتها ، فعلى المسلم أن يتقي اللّه تعالى وأن يحافظ على هذه الصلوات وأن نأمر أبناءَنا ومن تحت أيدينا فإن الحساب عسير وإن وراءنا يومًا ثقيلًا يجعل الولدان شيبًا

من شدة هوله وإليكم هذا الحديث في فضل صلاة الجماعة : عن أبي هريرة رضي اللّٰه عنه قال : قال رسول اللّٰه ﷺ : « صلاة الرجل في جماعة تضعف على صلاته في بيته وفي سوقه خمسًا وعشرين وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء ، ثم خرج إلى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رفعت له بها درجة وحطت عنه بها خطيئة فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلي عليه ما دام في مصلاه ما لم يحدث تقول : اللهم صلِّ عليه اللهم ارحمه ولا يزال في صلاة ما انتظر الصلاة »[1] .

نماذج من حرص سلفنا على الصلاة في جماعة المسجد

❋ الأول : حرصه ﷺ على صلاة الجماعة مع شدة مرضه :

روى البخاري ، عن عبيد اللّٰه بن عبد اللّٰه بن عتبة قال : دخلت على عائشة – رضي اللّٰه عنها – فقلت : ألا تحدثيني عن مرض رسول اللّٰه ﷺ ؟ قالت : بلى ، ثقل النبي ﷺ ، فقال : « أصلى الناس ؟ » قلنا : لا ، هم ينتظرونك . قال : « ضعوا لي ماءً في المخضب »[2] .

(١) متفق عليه ، وهذا لفظ البخاري .

(٢) المخضب أي : الإجانة .

قالت : ففعلنا ، فاغتسل فذهب لِيَنُوءَ[1] ، فأغمي عليه ، ثم أفاق ﷺ فقال : « أصلى الناس ؟ » قلنا : لا ، هم ينتظرونك يا رسول اللَّه . قال : « ضعوا لي ماءً في المخضب » قالت : فقعد فاغتسل ، ثم ذهب لينُوءَ فأغمي عليه ، ثم أفاق فقال : « أصلى الناس ؟ » قلنا : لا ، هم ينتظرونك يا رسول اللَّه ، فقال ﷺ : « ضعوا لي ماءً في المخضب » فقعد فاغتسل ، ثم ذهب لينُوءَ فأغمى عليه ، ثم أفاق فقال : « أصلى الناس ؟ » قلنا : لا ، هم ينتظرونك يا رسول اللَّه . والناس عكوف في المسجد ، ينتظرون النبي ﷺ لصلاة العشاء الآخرة ، فأرسل النبي ﷺ إلى أبي بكر - رضي اللَّه عنه - بأن يصلي بالناس . فأتاه الرسول فقال : إن رسول اللَّه ﷺ يأمرك أن تصلي بالناس . فقال أبو بكر - رضي اللَّه عنه - وكان رجلًا رقيقًا - يا عمر ، صلِّ بالناس . فقال له عمر : أنت أحق بذلك ، فصلى أبو بكر تلك الأيام ... الحديث[2] .

اللَّه أكبر ... كم كان صلوات ربي وسلامه عليه حريصًا على حضور صلاة الجماعة ، يشتد مرضه ، فيغتسل ، ثم يغمى عليه فيفيق ، فيغتسل للمرة الثانية ، ثم يغمى عليه فيفيق ، فيغتسل للمرة الثالثة ، كل ذلك لعله ﷺ يكسب نشاطًا يمكنه - بفضل اللَّه تعالى - من حضور

(١) لينوء : ليقوم لفظًا ومعنى .

(٢) صحيح رواه البخاري (٦٨٧) .

صلاة الجماعة في المسجد ، ثم يغمى عليه فيفيق ، فيجد نفسه غير قادر على الذهاب إلى المسجد ، فيرسل إلى أبي بكر الصديق رضي اللَّه عنه كي يصلي بالناس .. وليس هذا فحسب ، بل نجده ﷺ يخرج إلى صلاة الجماعة في المسجد ، حينما وجد في نفسه خفة فكيف كانت الخفة ؟ وكيف كان خروجه عليه الصلاة والسلام ، كي نتصور ذلك ، فلنقرأ ما رواه الإمام البخاري عن عائشة رضي اللَّه عنها : (فوجد النبي ﷺ من نفسه خفة فخرج يهادى[1] بين رجلين كأني أنظر رجليه تخطان[2] من الوجع ...[3] .

سبحان اللَّه .. لم يكن ﷺ يتمكن من المشي إلا اعتمادًا على رجلين وحتى بعد ذلك ، لم يكن يقدر على تمكين رجليه على الأرض نظرًا لشدة ضعفه ، لكنه مع ذلك كله خرج إلى صلاة الجماعة في المسجد)[4] .

فيا طيب عهدٍ كنت فيه مَنارنا فبعثت نور الحق من فارانِ
وأسرت فيه العاشقين بلمحة وسقيتهم كأسًا بغير جنان

---

(١) يهادي : أي يعتمد على رجلين متمايلًا في مشيه من شدة المرض .
(٢) لم يقدر على رفعهما من الأرض . (٣) رواه البخاري (٦٦٤) .
(٤) « أهمية صلاة الجماعة » للدكتور فضل إلهي (ص٦٨- ٦٩) بواسطة « صلاح الأمة » لأبي تراب العفاني حفظه الله (٢/٣٥٧ - ٣٥٩) .

أحرقت فيه قلوبهم بتوقّد الإيمان لا بتلهب النيرانِ
لم نبق نحن ولا القلوب كأنها لم تحظ من نار الهوى بدُخانِ

❁ الثاني : حث الابن على ملازمة المسجد :

قال أبو الدرداء لابنه : يا بني ، ليكن المسجد بيتك ، فإني سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول : « إن المساجد بيوت المتقين ، فمن كانت المساجد بيوته ، ضمن اللَّه له بالروح والرحمة والجواز على الصراط إلى الجنة »[1] .

❁ الثالث : تأديب الابن على التأخر عن صلاة الجماعة :

عن يعقوب عن أبيه ، أن عبد العزيز بن مروان بعث ابنه عمر إلى المدينة يتأدب بها وكتب إلى صالح بن كيسان يتعاهده ، وكان يلزمه الصلوات ، فأبطأ يومًا عن الصلاة ، فقال : ما حبسك ؟ قال : كانت مرجّلتي تسكّن شعري . فقال : بلغ من تسكين شعرك ، أن تؤثره على الصلاة . وكتب بذلك إلى والده ، فبعث عبد العزيز رسولًا إليه ، فما كلمه حتى حلق شعره)[2] .

❁ اهتمام ولي الأمر بصلاة الجماعة :

قال ثابت بن الحجاج : (خرج عمر إلى الصلاة فاستقبل الناس ،

---

(١) « الزهد » لهناد بن السري (٢/٣٦٢) ، وقال محقق الكتاب الشيخ محمد أبو الليث الخير آبادي : إسناده صحيح .

(٢) « السير » (٥/١١٦) .

فأمر المؤذن فقام وقال : والله لا ننتظر لصلاتنا أحدًا ، فلما قضى صلاته ، أقبل على الناس ثم قال : ما بال أقوام يتخلّفون يتخلَّف بتخلُّفهم آخرون ، والله لقد هممت أن أرسل إليهم ، فَيُجَأ في أعناقهم[1] ، ثم يقال : اشهدوا الصلاة)[2] .

– وكان الفاروق رضي الله عنه يتفقد الناس في صلاة الجماعة ، فقد روى مالك عن أبي بكر بن سليمان بن أبي حثمة : (أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد سليمان بن أبي حثمة في صلاة الصبح ، وأن عمر بن الخطاب غدا إلى السوق ، ومسكن سليمان بين السوق والمسجد النبوي ، فمر على الشفاء أم سليمان ، فقال لها : لم أر سليمان في الصبح . فقالت : إنه بات يصلي ، فغلبته عيناه . فقال عمر : لأن أشهد صلاة الصبح في الجماعة ، أحب إليّ من أن أقوم ليلة)[3] .

ثم انظر إلى علوّ همة الفاروق ، وإعانته الناس على صلاة الجماعة .

---

(١) فيجأ في أعناقهم : أي يضرب في أعناقهم .
(٢) « كنز العمال » (٨/٢٥٢) .
(٣) « الموطأ » كتاب صلاة الجماعة، باب ما جاء في صلاة العتمة والصبح (١/١٣١).

فقد روى ابن سعد ، عن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة ، قال : (جاء عمر - رضي اللّه عنه - إلى سعيد بن يربوع ، إلى منزله ، فعزّاه بذهاب بصره ، وقال : لا تدع الجمعة ولا الصلاة في مسجد رسول اللّه ﷺ . قال : ليس لي قائد . قال : فنحن نبعث إليك بقائد . فبعث إليه بغلام من السبي .

- وعن الحسن بن عليّ رضي اللّه عنهما ، يحدث عن خروج عليّ اليوم الذي طعن فيه من بيته ، حيث يقول : (فلما خرج من الباب نادى : أيها الناس ، الصلاة ، الصلاة كذلك كان يفعل في كل يوم ، ومعه دِرَّته يوقظ الناس)[1] .

❊ وعن عَدِيِّ بن حاتم الطائي أبو وهب رضي اللّه عنه قال : ما دخل وقت صلاة حتى أشتاق إليها .

وعنه : ما أقيمت الصلاة منذ أسلمت إلا وأنا على وضوءٍ[2] .

فهذا حرص الصحابة وشوقهم للصلاة والعبادة :

ومن عجب أني أحِنُّ إليهمُ وأسأل عنهم من لقيت وهم معي
وتطلبهم عيني وهم في سوادها ويشتاقهم قلبي وهم بين أضلعي

(١) « طبقات ابن سعد » (٣/٣٦- ٣٧) .
(٢) « السِّير » (٣/١٦٤) .

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع

وإن الناظر في مجتمعات المسلمين اليوم يجد الغفلة التي تجاوزت حدودها ، وإن من الأمور التي ينبغي أن ينبه عليها في مثل هذا الموضع أن العلماء لم يختلفوا في كفر تارك الصلاة متعمدًا من غير عذر لما سبق من الأدلة وإنما اختلفوا فيمن ترك الصلاة متكاسلًا ومتهاونًا ولم يجحد وجوبها فقال قوم : إنه يكفر كفرًا أصغر ، وذهب آخرون إلى أنه يكفر كفرًا أكبر وهذا هو ما رآه فضيلة والدنا وشيخنا عبد العزيز بن باز رحمه اللّٰه أن تارك الصلاة عمدًا أو تكاسلًا يكفر كفرًا أكبر ، فإذا مات لا يغسل ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين ولا يبرز قبره وإنما يطرح في حفرة كما فعل النبي ﷺ بقتلى بدر من المشركين .

هذا بالنسبة إذا مات ، أما في حياته فإن كان متزوجًا وهو تارك الصلاة ثم ذُكِّر ولم يصل وزوجته تصلي فيجب عليها مفارقته وأن لا تبقى معه لأن اللّٰه سبحانه يقول : ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ [الممتحنة : ١٠] .

* * *

ورود الأمر بالصلاة في القرآن

قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ [هود : ٢٩].

وقال تعالى: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ﴾ [إبراهيم : ٤٠].

وقال تعالى على لسان لقمان: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [لقمان : ١٧].

ولم يرد الأمر بالصلاة في القرآن إلا مقرونًا بلفظ الإقامة ، ففرق واسع جدًا بين أن يصلي الإنسان وبين أن يقيم الصلاة فكم من مصلٍ لا يعتبر في حكم الشرع مصليًا لأنه ما أقام الصلاة ، وها هو معلم الإنسانية الخير ﷺ يقول للمسيء صلاته ثلاث مرات : « ارجع فصلِّ فإنك لم تصلِّ »[1] فكم من المسلمين اليوم على صورة المسيء صلاته بل أشد يدخل الرجل في صلاته فلا يخشع له قلب ولا تهدأ له جارحة عن الحركة حتى ينفلت من صلاته .

(١) رواه البخاري (٧٩٣) ، ومسلم (٤٥) (٣٩٧) .

إن الصلاة لمن أعظم الفرائض خطرًا وأكثرها أثرًا وأعظمها مكانة بين أركان الإسلام . أكد الكتاب الكريم - القرآن - الأمر بها وأوجبها مباشرة بالخطاب الصريح ، وبذم المفرطين فيها ، ومدح المقيمين لها ، وبين جزاء المحافظين عليها ، وجاءت السنة المطهرة بالتفصيل : تارة بالتعليم المباشر ، كما في قصة الأعرابي وتارة بطلب القدوة والتأسي كما في قوله ﷺ : « صلوا كما رأيتموني أصلي » وهي فوق ذلك كله مناجاة ودعاء واستغفار واستنصار بمن بيده الخير كله وله الأمر كله وله الخلق كله ، وهي المحطة التي يَحُطُّ العابدون رِحالهم فيها مستمتعين بالقرب من حضرة ملك الملوك فيها يجدون لذة لا تعد لها لذات الدنيا حتى إن قائلهم ليقول : « لو علم أهل الدنيا ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف » .

لماذا لا نحس بلذة الصلاة ؟!

ومما يحزن أننا صرنا نؤدي الصلاة ولا نحس فيها بلذة وكأنها حمل نزيحه عن كواهلنا والسبب في ذلك هو : « أننا نؤديها ناقصة غير مستوفية الشروط والأركان » .

قال تعالى : ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون : ١ ، ٢] ، فالصلاة عمود الإسلام ، العمود الفقري

الذي تنتشر منه أضلاع الدين ويحملُ أحشاءَه وأطرافه ورأسه ، وإذا انكسر العمود الفقري ، فلا حركة ، ولا نشاط ، ولا استواء وإذا ضعف قلّت الحياةُ بحسب ذلك والأغذية الحية التي تقوي هذا العمود ، وتمنحه الصلابة والمتانة هي الصلاة وأفعالُها وأقوالها ، فليست الصلاة حركات تؤدّى وألفاظا تردد فحسب بل هي ما وراء ذلك :

ما يقوم بالنفس من محبة وإخلاص وإنابة واستجابة ورغبة ورهبة ، وتقوى ، كما صعد محمد ﷺ في معراجه إلى أن بلغ المكان والمكانة وتقبل الهدية الكريمة .

كذلك المؤمن يصعد بمحبته وإخلاصه وإنابته ورغبته ورهبته ، التي تثيرها من مكامنها الآيات المتلوةُ في خشوع وتأمل ، يصعد بها في معراجه إلى أن يبلغ المكانة ، فيسجد ويقترب ، ثم يسجد ويقترب ، حتى يلقى التحيات لله .

ويستعد لقبول هديته ، أكرم قول يردده لسان ، مع أكرم حركة يؤديها إنسان ، ما يقربه إلى الحضرة بين يدي الملك ، والعوائق دون ذلك كثيرة ، والمعيقون لك كثير حسدًا وبغيًا وعدوًا ، وغوائل الطريق كثيرة ، فقد حفت بالمكاره والصوارف .

والنفس تميل إلى الماديات والمحسوسات واللذة العاجلة فتقف

عندها وتتأبّى على المسير وهذه الكلمات تكبت المعيقين وتقضي على الغوائل وتكسر الحدود وتبعث النفوس .

فاقرأ معي هذه الكلمات ، اقرأها بتصديق وإيمان ، اقرأها بمحبة واستجابة للداعي ، اقرأها وأمثالها لتحيا ، فالصلاة نور ، والقرآن نور ، والله نور السموات والأرض ورسوله سِراج منير ، فاقرأها لتهتدي إلى النور ، وبعد ذلك سيكون لك مع الصلاة شأن آخر ، ولها طعم جديد »[1] .

إن مقتضى أمر الله تعالى : ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أن نمتثل حديث رسول الله ﷺ : « صلوا كما رأيتموني أصلي »[2] ونحن نعلم أن الشيطان يقعد لابن آدم في جميع طرق الخير حتى يسدها عليه كما أخبر الله عز وجل عنه في كتابه بقوله : ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف : ١٦] أي : لأقعدن لهم فيه لأفسد عليهم أعمالهم الصالحة إما بتركهم متابعة النبي ﷺ وإما بتركهم الإخلاص لله تعالى ، وهذان شرطا قبول الأعمال : الإخلاص والمتابعة ، فإذا فُقِدَ شرط منهما أو اختل رُدَّ العمل على صاحبه والعياذ بالله .

---

(١) من كلام الشيخ محمد سليمان الأشقر في « مقدمة لذة المناجاة » (ص٣ – ٥) .
(٢) رواه البخاري (٦٣١) ، وأحمد (٤٩٧) .

فإذا عرفنا هذه المقدمة وجب علينا أن نتعلم كيف نسلك سبيل الخير سالمين من الشيطان وكيف نستنقذ صلاتنا وسائر عبادتنا منه؟ سؤال حَرِيٌّ بطول الوقوف وحسن التدبر وهو :

❋ « كيف أستنقذ صلاتي من الشيطان » ؟

وحتى يرسخ هذا السؤال في أذهاننا نقدم له بمقدمة أخرى وهي : كلنا يعلم أن الله عز وجل خلق آدم أبا البشر ﷺ أصلا لعمارة الأرض وذلك نص قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة : ٣٠] ، فإذا كان الله تعالى خلق آدم عليه السلام لعمران الأرض فلماذا أسكنه الجنة قبل نزوله إلى الأرض؟! ولماذا قال له : ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة : ٣٥] .

الجواب : أن الله تعالى أسكن آدم الجنة قبل نزوله إلى الأرض ليعلمه درسًا لن تنفع حياة آدم ولا بنيه من بعده في الأرض إلا به وهذا الدرس هو :

❋ عداوة الشيطان :

﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر : ٦] فبعد أن كان آدم و زوجه في هذا النعيم المقيم الذي لا يجوع فيه ولا يعرى ، ولا يظمأ فيه ولا يضحى ، وسوس إليه الشيطان بحيلته الخبيثة حتى أخرجه

من هذا النعيم وأقسم له أنه له لمن الناصحين ومازال يوسوس لهما حتى دلّاهما بغرورٍ فأكلا من الشجرة التي نُهي عن الأكل منها ، فعندها لامَه ربه عز وجل بقوله : ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف : ٢٢] ثم قال لهما : ﴿ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ [طه : ١٢٤] فَحُرِمَ آدم مما كان فيه من النعيم الذي لا صخب فيه ولا نصب ، غير أن الله تعالى تداركه بتوبة منه عليه : ومن هنا استقرت عداوة الشيطان للإنسان في نفس آدم وبنيه ، فعداوة الشيطان لنا مستقرة في نفسه من قديم ، وأنت أيها الإنسان في جميع أعمالك الصالحة مع الشيطان في حرب ومجاهدة ، والحرب كرٌّ وفرٌّ ، فتارة يكر عليك فيختلس من أعمالك أشياء . وتارة تكر عليه وذلك بحضور القلب فلا يَجد عليك سبيلًا ، ولكن لابد لك من حصن تتحصن فيه من هذا العدو الماكر ، وإن أحصن حصن يتحصن فيه العبد من الشيطان هو الصلاة ، فإن غلبك في هذا الحصن كان لك فيما سوى ذلك أغلب . وإن غلبته كنت له فيما سوى ذلك أغلب ، واعلم أن الشيطان ليس له همة في الدنيا غيرك أيها العبد المؤمن ، لأن الكفار على نوعين :

نوع لا يؤمن بالجنة ولا بالنار ، ونوع يؤمن بالجنة ويؤمن بالنار ويطمع برغم كفره أن يكون من أهل الجنة ، لكن الشيطان بخلاف

هذين النوعين ، فهو يؤمن بالجنة ويؤمن بالنار ويعلم يقينًا أنه من أهل النار ، لذلك يريد منك في النار جليسًا وأنيسًا ، فأنت أمام عدوٍ ماكر خبيث لا تجدي معه الحيل ، ولا تفيد المحاورات ، ولا تقهره العصيُّ ، ولا ينكأه إلا الإخلاص لله رب العالمين ، ومتابعة سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فلذلك وجب عليك أن تتعلم كيف تنجو بعبادتك من هذا العدو الماكر ، وإذا كانت الصلاة هي أرجى أعمال العبد قبولا عند الله تعالى فلابد أن يعرف :

كيف يستنقذ صلاته من الشيطان ؟

حتى يكون العبد مؤديًا للصلاة على الوجه الصحيح ناجيًا بها من الشيطان راجيًا لها القبول عند الله تعالى ينبغي له أن يمتثل هذه الأمور :

١- أمور قبل الدخول في الصلاة .

٢- أمور أثناء الصلاة .

٣- أمور بعد الصلاة .

أولًا : الأمور التي قبل الدخول في الصلاة :

الأول : التطهر لها :

والتطهر للصلاة على قسمين :

١ - طهارة البدن من الحدثين الأكبر والأصغر وطهارة الثوب من النجاسة العينية ومن طهارة الثوب أن يكون من مال حلال ، فلا يكون

مغصُوبًا أو مسروقًا ، وطهارة المكان .

٢ – طهارة القلب ، واعلم أن طهارة البدن أمكن في القبول عند الله تعالى ، لكن طهارة القلب أرجى في القبول فاحرص على جمع الطهارتين حتى يجمع الله قلبك عليه في صلاتك .

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى عن طهارة القلب في قوله تعالى : ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر : ٥] : (وجمهور المفسرين من السلف ومن بعدهم على أن المراد بالثياب ههنا القلب والمراد بالطهارة إصلاح الأعمال والأخلاق ، فإن المأمور به إن كان طهارة القلب ، فطهارة الثوب وطيب مكسبه تكميل لذلك فإن خبث الملبس يكسب القلب هيئة خبيثة كما أن خبث المطعم يكسبه ذلك ، فإن الملابسة الظاهرة تسري إلى الباطن ، ولذلك حرم لبس الحرير والذهب على الذكور لما يكتسب القلب من الهيئة التي تكون لمن ذلك لبسه من النساء وأهل الفخر والخيلاء .

والمقصود : أن طهارة الثوب وكونه من مكسب طيب هو من تمام طهارة القلب وكمالها ، فإن كان المأمور به ذلك فهو وسيلة مقصودة لغيرها ، فالمقصود لذاته أولى أن يكون مأمورًا به وإن كان المأمور به طهارة القلب وتزكية النفس فلا يتم إلا بذلك فالقلب الطاهر لكمال حياته ونوره وتخلُّصه من الأدران والخبائث لا يشبع من القرآن

ولا يتغذى إلا بحقائقه ولا يتداوى إلا بأدويته بخلاف القلب الذي لم يطهره الله تعالى فإنه يتغذى من الأغذية التي تناسبه بحسب ما فيه من النجاسة فإن القلب النجس كالبدن العليل المريض لا تلائمه الأغذية التي تلائم الصحيح ودلّت الآية[1] على أن طهارة القلب موقوفة على إرادة الله تعالى وأنه سبحانه لما لم يرد أن يطهر قلوب القائلين بالباطل المحرفين للحق لم يحصل لها الطهارة .

ودلّت الآية على أن من لم يطهر الله قلبه فلابد أن يناله الخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة بحسب نجاسة قلبه وخبثه ولهذا حرم الله سبحانه الجنة على من في قلبه نجاسة وخبث فلا يدخلها إلا بعد طيبه وطهره ، فالجنة لا يدخلها خبيث ولا من فيه شيء من الخبث ، فمن تطهر في الدنيا ولقى الله طاهرًا من نجاسته دخلها بغير معوق ومن لم يتطهر في الدنيا فإن كانت نجاسته عينية كالكفار لم يدخلها بحال ، وإن كانت نجاسته كسبية عارضة دخلها بعدما يتطهر في النار من تلك النجاسة ثم لا يخرج منها حتى أن أهل الإيمان إذا جازوا الصراط حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فيهذبون ويُنَقَّوْنَ من بقايا بقيت عليهم قصرت بهم عن الجنة ولم توجب لهم دخول النار حتى إذا

(١) المقصود بالآية هنا قوله تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ﴾ [المائدة : ٤١] .

هُذِّبُوا ونُقُّوا أذن لهم في دخول الجنة ، والله سبحانه بحكمته جعل الدخول عليه موقوفًا على الطهارة فلا يدخل المصلي عليه حتى يتطهر وكذلك جعل الدخول إلى جنته موقوفًا على الطيب والطهارة فلا يدخلها إلا طيب طاهر ، فهما طهارتان :

طهارة البدن ، وطهارة القلب ، ولهذا شرع للمتوضئ أن يقول عقب وضوئه : « أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدًا رسول الله ، اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين »[1] فطهارة القلب بالتوبة ، وطهارة البدن بالماء فلما اجتمع له الطهوران صلح للدخول على الله تعالى والوقوف بين يديه ومناجاته) . انتهى من كلام ابن القيم رحمه الله[2] .

ما ينبغي استحضاره عند الطهارة

ينبغي أن يصاحبها شعورك بأنك تستعد لمقابلة عظيم ، وقد علمت احتفاء أهل الدنيا بمظاهرهم عند مقابلة عظمائهم ، وعظيمنا وهو الله لا ينظر إلى الصور بل إلى البواطن والنوايا ، فحين نغسل

---

(١) رواه مسلم (١٧) (٢٣٤) ، وأحمد (١٧٣٦٣) .

(٢) « إغاثة اللهفان » لابن القيم (١/٥٢- ٥٦) .

اليدين فلأنهما الجارحتان اللتان نبطش بهما وغسلهما للقاء الله فيه درس عميق في الكف عما لا يحل ، ولذلك يقول الرسول الأعظم ﷺ : « إذا توضأ العبد المسلم فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينيه مع الماء أو مع آخر قطر الماء ، فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يداه مع الماء أو مع آخر قطر الماء ، فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء أو مع آخر قطر الماء حتى يخرج نقيًا من الذنوب »[1] فالوضوء مع الغفلة عن هذه المعاني ، وعن تَحَدُّثِ السريرة بها وانشغال الفكر فيها لا يحدث إلا معنًى جامدًا لا روحانية فيه ، ولذلك ذكروا أن السيدة نفيسة رثت الإمام الشافعي رحمه الله عند موته بقولها : « رحم الله الشافعي لقد كان والله يحسن الوضوء » ، ففي الوضوء يقظة المشاعر والأحاسيس ومع الوضوء افتقار العبد إلى نفحات المغفرة ، ومع الوضوء حوار مع اليد والعين والرجل بأن لا تَعُدْنَ إلى الخطايا فينتفي العزم على المعصية ، وكفاك بها تهيئة لمقابلة الله ومناجاته ، ويا لها من روحانية تشد المؤمن ويستغرق فيها بجلال الرحمة ونعيم العفو وفضل الستر .

ولعل هذه المعاني المتجمعة في الوضوء والتفاعل معها هي مراد العلماء إذ يشترطون النية في كل عبادة تمييزًا لها عن العادة التي يفعلها

(١) رواه مسلم في « الطهارة » باب « خروج الخطايا مع الوضوء » .

الإنسان دون قصد للآخرة)[1] .

❁ الثاني : مراعاة أوقاتها :

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات »؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال : « إسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخطى إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط »[2] .

فعلى المسلم أن يراعي أوقات الصلاة ولا يؤخرها عن وقتها ، فقد صَحَّ عن النبي ﷺ « أن أحب الأعمال إلى الله تعالى الصلاة على وقتها »[3] .

ما ينبغي استحضاره عند مراعاة أوقاتها :

كأن الشارع الحكيم لما حضك على المحافظة على الصلاة في أوقاتها كأني به يقول لك :

أيها الإنسان تَنبَّه لرأس مالك ، تَنَبَّه لعمرك قد انسلخ منه جزءٌ فماذا فعلت فيه؟ وهذا جزء منه قد أقبل فسل نفسك على أي شيء

(١) « لذة المناجاة » طايس الجميلي (ص٧ – ٩) .
(٢) رواه مسلم (٤١) (٢٥١) ، والنسائي (١٤٣) .
(٣) صح من حديث ابن مسعود ، وقد سبق تخريجه .

عزمت في استغلاله؟ فليس هناك غفلة ولا تهاون في حساب دورات الفلك ، لذلك عليك أن تتزود مما بقي من عمرك لآخرتك . ولذلك ورد في الأثر عن الحسن البصري قال : « ما من يوم ينشق فجره إلا وينادي منادٍ من قبل الرحمن وبلسان ذلك اليوم : « يا ابن آدم أنا خلق جديد ، وعلى عملك شهيد فتزود مني بعمل صالح ، فإني لا أعود إلى يوم القيامة » وفي إعلان المؤذن ونداء الصلاة معنى يُمْتَحَنُ فيه العبد في إيمانه فإن أجاب وبادر كان ممن ينادى بلطفٍ يوم النداء الأعظم ، وناهيك به مغنمًا »[1] .

الثالث : إفراغ الأعضاء من شواغلها لتتفرغ للقاء ربها :

ويجب أن يتفرغ للصلاة قبلها بوقتٍ كافٍ يمكنه فيه التطهر على الوجه الصحيح لا سيما إن كان صاحب حرفة يحتاج إلى وقتٍ كافٍ لإزالة ما على بدنه من آثار العمل كالدهانات وغيرها من الأشياء التي تمنع وصول الماء إلى الجلد عند الطهارة ، وحتى يتسنى له الدخول في الصلاة بسكينة وخشوع ، لأن النبي ﷺ علمنا أن الإنسان إذا قام في محرابه للصلاة لزمه أن يفرغ قلبه من الشواغل والجواذب المانعة من

(١) « لذة المناجاة » لطايس الجميلي (ص٩) .

استقرار القلب وطمأنينته في الصلاة .

وتأسى أصحابه رضي الله عنهم بتعليمه عليه الصلاة والسلام وإليك من هديه هاتين الواقعتين :

❊ الواقعة الأولى :

ورد أنه ﷺ قال لعثمان بن طلحة : « إني نسيت أن أقول لك : أن تخمر القرنين ، فإنه لا ينبغي أن يكون في البيت شيءٌ يشغل الناس عن صلاتهم »[1] .

والراجح أنه قال هذا بعد ما أقيمت الصلاة وسويت الصفوف ويصح الاستدلال بذلك على أن المسلم ينبغي له أن يفرغ ما في قلبه من شواغل ليصفو له ذكر الله ومناجاته في صلاته .

❊ الواقعة الثانية :

ما ثبت أنه ﷺ خرج يشق الصفوف مسرعًا فتعلقت به أبصار الجماعة ثم بيَّن لهم أنه إنما شغله مال من مال الصدقة لم يقسمه فخرج لقسمته ثم عاد .

---

(١) رواه أحمد (٤/٦٨) في مسنده ، وأبو داود (٢٣٠) . والقرنان هما قرنا كبش إبراهيم الذي فدى به إسماعيل ولم يزالا في البيت حتى احترق فاحترقا معه . « المسند » (٥/٣٨٠) .

ثم إن الكراهة اللاحقة في المساجد المزخرفة والنهي عن زخرفتها والمنع من الصلاة على قارعة الطريق والنهي أن يصلي الرجل في حضرة الطعام ، والنهي أن يصلي وهو يدافع الأخبثين : البول والغائط والريح . لما في ذلك كله من التشويش على الفكر ويلحق به المنع من الصلاة في مبارك الإبل وندب الشرع إلى إزالة كل الأسباب الظاهرة في مكان الصلاة مما يُتَوَقَّعُ منه التشويش . هذه الإجراءات للصلاة والملازمة لها مطلوبة ولابد .

❋ واقعة الخميصة :

وهناك مشوشات يتجدد التفكر بها ما زالت موجودة فلابد من إزالتها وإلى ذلك تشير واقعة الخميصة - وهي نوع من الثياب - أهداها أبو جهم لرسول الله ﷺ فصلى بها ثم نزعها وقال : « اذهبوا بها إلى أبي جهم ، فإنها ألهتني عن صلاتي آنفًا »[١] .

وقضية شراك النعل التي أمر بنزعها لأن فكره تعلّق وتَشَوَّشَ بها[٢] .

وكذلك حديث النسائي حول خاتمه ﷺ حيث نزعه وقال : « لقد شغلني هذا نظرة إليه ونظرة إليكم » فهذه الإجراءات الصارمة بقلع أسباب التشويش وهي من المحبوبات الدنيوية فلا ينفع رد الفكر

---

(١) متفق عليه .

(٢) مرسل بسندٍ صحيح أخرجه ابن المبارك .

عن التفكر ما دامت الأسباب قائمة ، فجدير بالمسلم الحريص على تعظيم الله في افتتاح صلاته ألا يدع منازعًا ينازعه على أوثق عروة من عرى دينه)[1] .

❋ الرابع : استقبال القبلة :

إن استقبال القبلة أعظم شروط الصلاة وأقواها في حس المؤمن فهو أولا تعبير عن وحدة الأمة حول مقصد واحدٍ واتجاهٍ واحدٍ ليس للبشر فيه صنعة ولا للنفس القاصرة الهمة فيه مطلب ، فهو من موانع الفرقة والاختلاف وجوالب الألفة والوفاق ، وثانيًا : مقصود القبلة في الصلاة ليس مراده توجيه البدن ، وإن كان البدن هو الضابط للنية والمعين على تحقيقها إلا أنه يقدم في الفكر وفي النفس معنى قويًا مؤداه أن البدن لم يتجه نحو القبلة إلا بانتقاله عن سائر الجهات وتخليه عن كل الجواذب والشواغل إلا وجه الله ولذلك فإن الله تبارك وتعالى أمر عباده المؤمنين بالتوجه إلى البيت الحرام الذي هو أول بيت وضع للناس في الأرض لعبادة الله فهو ملتقى أفئدة المؤمنين وأنظارهم مما يحقق المعنى أفضل تحقيق ، وموضع نظر الرب سبحانه وتعالى قلب العبد

(١) « لذة المناجاة » .

فلابد من تخليته من كل الجواذب وتوجيهه إلى الله واستحضار هيبة الله والمذلة بين يديه والفقر إليه .

❋ الخامس : ستر العورة مع القدرة :

وستر العورة أيها المبارك هو الحد الأدنى من مظاهر التجمل ، فالقرآن الكريم أمر بني آدم بأخذ الزينة وهي حسن السمت ، وسن رسول الله ﷺ التطيب للصلاة ونهى عن أكل الثوم والبصل ونهى من أكل شيئًا ذا رائحة كريهة من إتيان المساجد . وهذه الأوامر والسنن ذات أثر فعَّال في التلذذ بالمقام في معية المؤمنين وجوار الصالحين ومنها تستطيع أن تفهم ما درج عليه أصحاب الحرف من اتخاذ ثياب خاصة للصلاة .

ولعلك تتشوش في صلاتك حين يجاورك في الصلاة شخص تقذرت ملابسه بالزيت والطين ، هذه الصورة الظاهرة حث عليها الشرع الحكيم مع أنها محط أنظار وحواس الخلق ، ومحل نظر الخالق سبحانه وتعالى هو الباطن فلابد من الحرص على ستر عورات الباطن فحين تعجبك ثيابك وعطرك وتشعر أنك ظفرت برضى من جاورك من المصلين أقبل على الباطن واستر عوراته التي لا يطلع عليها غير الله تعالى .

✻ كيف نستر عورة الباطن ؟

وستر عورة الباطن يكون بالندم على التفريط في حقوق الله ، والحياء من الله وهو مطلع على قبائح السريرة ، والخوف من لقائه مع ما أنت عليه من العيوب والبوائق ، فهذه ولاشك كفارات وسواتر لعورات الباطن . ولا يزال يدقق في سوءَات سلوكه ويمحوها حتى يخلص لله باطنه ويصفو من الأكدار ضميره فإن رافقه هذا الشعور وهو ينظر في أحوال نفسه لا شك سيظفر بمعاني الخشوع في استكماله لشروط صلاته لأن المرء إذا اعتنى بستر عورة الجسد وهي من حق الخلق أوجبه الخالق فعليه أن يبالغ في ستر عورة باطنة الذي هو موقع نظر الخالق تبارك وتعالى .

✻ ثانيًا : الأمور التي داخل الصلاة

الأول : التكبير ونصه : « الله أكبر » :

أخي .. إن قصدي ليس تعليمك شروط وأركان الصلاة فأنا أعلم يقينًا أنك أعلم مني وأفضل وهذا لا جدال فيه ، وإنما قصدي التعاون معك على تحصيل معرفة رُوحها فهذه الأركان لا تزيد عن كونها حركات ذات أثر صحي من ناحية الرياضة وقد يمارس مثلها غير المسلمين سعيًا وراء هذا الهدف بعد ثبوت جدواه طبيًا إنما أردت الروح

التي تحيلها إلى متعة لا تعادلها متع الدنيا لتثمر بعد ذلك إشراقة وسماحة في المعاملات والأخلاق .

إي والله أخي .. لو رزقنا بث الروح في هذه العبادة لحولت حياتنا إلى نمط جديد وخلق جديد لكن ما السبيل إلى ذلك؟!

أقول لك : إنه يسير على من يسره الله عليه ، فاسمع مني وأنصت إليّ بقلبك فإن الحديث حديث قلوب :

❋ معنى تكبيرة الإحرام :

إن أعظم ما في هذه العبارة : « الله أكبر » تكرارها في صلوات الفرد «١١٠» مرات في اليوم الواحد إذا اقتصر المصلي على صلاة الفرض .

إن هذا التكرار لهذه العبارة لهو مصدر إلهام بتعظيم الحق جل وعلا وتحريك اللسان بها سهل إن لم تترسب في حنايا القلب معاني تعظيم الله فإن قالها والقلب مكذب لمعانيها كان قلبه مكذبًا للسانه ، ولسانه صادقًا في الوصف إلا أن هذا الصدق صدق المنافقين الذين قال الله عنهم : ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون : ١] ، فهم في مقتضى ما نطقت به ألسنتهم صادقون إلا أن صدق اللسان لم يخرجهم من الدرك الأسفل من النار .

فما أقبح من كبَّر الله بلسانه وقلبه في أودية الشهوات هائم قال : « آه » . ولعل هذا هو السر في كثرة المصلين وقلة أثر صلاتهم في سلوكهم .

وهذا النوع من المصلين ربما أعطى المتنصلين من تكاليف الإسلام الفرصة للطعن بالصلاة وأثرها ، ومن ثم تهاون فيها من تهاون وتركها من ترك فهلك .

والتكبير هذا الذي يكرره المسلم في صلاته في اليوم ما يقارب مائة وخمسين مرة من أنجع الأسلحة لقمع الشيطان عن العبد وذلك إذا أحسن استخدامه لكن مما يؤسف أن السواد الأعظم من الناس يكرر هذه الكلمة العظيمة الجليلة ولا يدري معناها وحتى يكون العبد خاشعًا في صلاته متزن الوقوف بين يدي ربه في صلاته ينبغي له عند التكبير أن يسأل نفسه سؤالين وهما : من أنا؟ وبين يدي من أقف ؟

أما الجواب عن السؤال الأول « من أنا » فواضح :

أنا العبد الفقير الحقير الذي لا يستطيع أن يجلب لنفسه الخير حتى من نفسه .

أنا العبد الذي لا قوة لي ولا حولٌ ولا طولٌ ، الضعيف الذي إذا سأل ربه أن يأتيه بالبرد فأجابني وأتى به هربت منه وأنا أطلبه ، وإذا سألته أن يأتيني بالحر فأجابني وأتى به هرولت منه وأنا لا فكاك أحتاجه .

« من أنا » ؟

أنا الذي لا غنى لي عن ربي طرفة عين ولو وكلني إلى نفسي طرفة عين لهلكت .

أنا صاحب الفقر والعجز الدائمين المتلازمين .

أنا الظالم لنفسه الذي أهلك نفسه بالمعاصي وبارز بها ربه دون حياء .

أنا الذي أحتاج لمغفرة ربي ، لرحمته ، لرضوانه ، لستره عليَّ ، فكم من الخزايا والبلايا أغلقت بابي عليَّ وأنا أفعلها دون حياء من ربي .

أنا المذنب الذي لو ما غفر لي ربي خطاياي لكنت من الهالكين .

فالإجابة واضحة معروفة .

وأما الجواب عن السؤال الثاني : « بين يدي من أقف؟ »

أقف بين يدي الله العزيز الجبار الملك القهار الذي لا تنفعه طاعتي ولا تضره معصيتي أقف بين يدي الغني عني وعن عبادتي .

أقف بين يدي ربي الذي منَّ عليَّ بنعمة الإسلام وصرف قلبي عن الكفر والفسوق والعصيان .

وأقف بين يدي صاحب القدرة المطلقة التي لا تحدها حدود ولا تقيدها قيود .

إذا أتيت أهلي من الذي يستطيع أن يجعل هذا الماء الحقير يلتقي ببعضه فيكون منه بشر سويٌّ ، ومن الذي يقدر على أن يجعل هذا البشر بارًا بوالديه يقول : ﴿رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسراء : ٢٤] ، ومن الذي يقدر على أن يجعله عاقًا لهما؟

لي أصحاب من الذي يقدر على أن يغرس حبي في قلوبهم ، ومن الذي يقدر على نزعه؟

ومن الذي يقدر على وضع القبول لي في الأرض ومن الذي يقدر على رفعه؟

أذهب إلى مزرعتي فأحرثها وأسمدها وأبذرها وأسقيها ثم أنتظر خروج الزرع فلا يخرج فأتساءَل لم لم يخرج ؟! ونسيت أن الله قد كفَّل بالنبات ملكًا لهذه اخرجي ولهذه لا تخرجي ، فإذا خرجت : لهذه اثمري ولهذه لا تثمري ، فإذا أثمرت لهذه كوني ثمرًا يانعًا ولهذه لا تكوني .

مَنَّ الله عز وجل عليَّ بصحبة الصالحين وبطلب العلم فمن الذي يقدر على أن يثبت قلبي على هذه الطاعة ، ومن الذي يقدر أن يزيغه ، فقد أضل قومًا من قبلي على علمٍ عندهم .

أنا الذي أفسد وربي يصلح لي ما أفسدتُ :

هذا الهواء النقي الذي أعطاني الله إياه أفسده بدخان مصانعي

ومحارقي حتى يخرج منها غاز لو كثر في الجو لقتلني ، فيخرج ربي تبارك وتعالى النبات ليأخذ هذا الغاز ويخرج لي بدلا منه غازًا ضروريًا لحياتي لا غنى لي عنه .

هذا الماء العذب الفرات الذي منحني الله إياه أفسده بالاستعمال ثم ألقيه على الأرض فيصلحه ربي بأن يأمر الأرض فتمتص بعضه فتختزنه في بطنها فيسلكه ينابيع فيها حتى إذا حفرت عليه وجدته عذبًا فراتًا لا فساد به ، ثم يأمر الشمس فتبخر باقيه ليخرج إلى العنان لينزل مرة ثانية غيثًا مغيثًا ، هنيئًا مريئًا .

« الله أكبر » من أنا؟ ، وبين يدي من أقف؟

الحيتان في البحر تأكل من كائناته فيدخل فتات اللحم بين أسنانها فلا تقدر على نزعه ؛ لأنها ليس لها أيدٍ تنزعه بها ، فيهديها الله جل في علاه إلى أن تخرج على شواطئ البحار فتفتح أفواهها إلى السماء فتنزل الطيور الجائعة لتأكل هذا اللحم الذي بين أسنان الحيتان فتشبع وتنظف أفواه الحيتان .

من الذي نظم ؟ ومن الذي دبَّر ، ومن الذي أعطى كل شيءٍ خلقه ثم هدى ؟!

إنه الله لا إله إلا الله « الله أكبر » من أنا وبين يدي من أقف ؟

« **ثعابين البحر** » :

تلك المخلوقات العجيبة التي متى اكتمل نموها هاجرت من مختلف البرك والأنهار ، وإذا كانت في أوربا قطعت آلاف الأميال في المحيط قاصدة كلها إلى الأعماق السحيقة جنوبي برمودا وهناك تبيض وتموت ، أما صغارها تلك التي لا تملك وسيلة تعرف بها أي شيء سوى أنها في مياه قفرة فإنها تعاود أدراجها وتجد طريقها إلى الشاطئ الذي جاءت منه أمهاتها ، ومن ثم إلى كل نهر أو بحيرة أو بركة صغيرة ، لقد قاومت التيارات القوية ، وثبتت للإمداد والعواصف وغالبت الأمواج المتلاطمة على كل شاطئ وهي الآن يتاح لها النمو ، حتى إذا اكتمل نموها دفعها قانون خفي إلى الرجوع حيث كانت بعد أن تتم الرحلة كلها فمن أين ينشأ الحافز الذي يوجهها لذلك؟ إن الذي قدَّر حياتها في برك وأنهار أوربا وقدَّر سفرها إلى برمودا لتتناسل وتتزاوج وتموت في برمودا هو الذي هدى صغارها إلى العودة إلى مواطن عيش الآباء وعودتها إلى برمودا ثانية لتموت دون أن تضل الطريق ، وهو الله جل في علاه « الله أكبر » من أنا وبين يدي من أقف ؟

❋ **خلق الإنسان** :

لقد كان الإنسان نطفة – حيوانا منويًا – ناقصة في خصية

الرجل ، وكان النصف الآخر نطفة - بويضة - ناقصة في مبيض الأم ، فكل خلية في جسم الإنسان رجلا كان أو امرأة تنقسم إلى قسمين ، وكل قسم من هذين القسمين يكون خلية كاملة فيها (٤٦) حاملا وراثيًا - كروموزوم - إلا تلك الخلايا المنقسمة في خصية الرجل ، ومبيض المرأة والتي ينشأ عن انقسامها تكوين - الحيوانات المنوية - في الرجل « نطفة الرجل » ، والبويضة في الأنثى - نطفة الأنثى - فإن الانقسام فيها يكون مخالفًا لسائر الانقسامات في جميع خلايا الجسد لأن كل خلية منوية ذكرية أو أنثوية - حيوان منوي أو بويضة - لا يتكون إلا من (٢٣) حاملا وراثيًا - كروموزوم - فلماذا شذّت الخلية التي يتكون منها الحيوان المنوي في الرجل عن سائر خلايا الإنسان ، ولماذا شذّت الخلية التي تتكون منها بيضة المرأة عن سائر خلايا الإنسان في عدد الحوامل الوراثية في كل منهما؟

والجواب نعرفه بعد خروج نطفة الرجل من مكانها ، وخروج نطفة المرأة من المبيض ، والتقاء النطفتين في القرار المكين « رحم المرأة » حيث تتحد النطفتان فتتكون منهما خلية واحدة عدد الحاملات الوراثية (٤٦) كروموزوم ، ومن هنا نعرف لماذا حدث ذلك الاختلاف في انقسام الخلايا المنوية عن سائر خلايا جسم الإنسان ، ذلك لأن كل خلية في جسم الإنسان تعتبر وحدة مستقلة متكاملة ،

فيجب أن يكون عدد الحوامل الوراثية كاملا وقدره (٤٦) وأما الخلايا المنوية فإنه من المعروف والمفهوم والمعلوم أنها ستتحد مع بعضها لتكوين الجنين فيجب أن يكون في كل منها نصف القدر من الحاملات الوراثية حتى إذا تم الاتحاد تكونت خلية بشرية كاملة بالقدر الصحيح . فماذا تستنتج أيها العاقل من هذه الآية التي تحدث في كل إنسان بالغ ، بل في كل حيوان بالغ ؟

إن العاقل ليستنتج أن الذي يخلق النطفة الذكرية ناقصة في حواملها الوراثية (٢٣) كروموزوم يعلم أن مصير هذه النطفة المذكرة أن تتحد بالنطفة المؤنثة التي تتكون أيضًا من (٢٣) حاملا وراثيًا وبالاتحاد تنتج الخلية الإنسانية الكاملة المكونة من (٤٦) حاملا وراثيًا .

فهل تعلم الخصية في الرجل وكذا باقي التفاعلات الكيماوية ما أُعِدَّ في مبيض الأنثى من تكميل للنقص في عدد الحوامل الوراثية في الخلية المنوية المذكرة التي تنشأ في الخصية ؟! وهل تعلم الخصية وكذا المبيض أن مصير ما ينتجانه من خلايا ناقصة هو الاتحاد وتكميل بعضها البعض ؟

ثم تأمل كيف تتحول تلك النطفة المنوية بالغذاء السابح في دماء الأم إلى إنسان كامل التصوير والتكوين والتركيب . فجزءٌ من ذلك الغذاء يكون يدًا ، وجزء مماثل يكون اليد الأخرى . وجزء يكون القدم ، وجزء يكون القدم المساوية الأخرى وهكذا ، فمن يشرف على

ذلك التكوين الدقيق ، وعلى عملية البناء المنسقة المتساوية المتوازنة المتماثلة المتكاملة ؟

إن العقل ليستنتج مما يشاهد في خلق الإنسان وغيره من الكائنات أن خالق الإنسان والحيوان في ظلمات الأرحام أو داخل قبة البيضة لاشك خبير بما يخلق ، عليم بما يُنْشِئُ بصير بما يصنع . فمن صاحب هذه الحكمة والبصيرة والخبرة والإدراك ؟!

هل الغذاء السابح في الدم هو صاحب تلك الحكمة ، والخبرة والبصيرة ؟!

أم أن النطفة التي كوَّن المبيض نصفها من غذاء الأم ، وكونت الخصية نصفها من غذاء الأب هي التي نظمت وأدركت وأحكمت ، ووازنت ودققت ؟!

إن الغذاء لا يملك إرادة ، أو حكمة أو بصيرة . إن تلك الأحشاء والأمعاء لا تعي إلا ما جبلت عليه من الأعمال ، وحُدِّد لها من الأفعال دون زيادة أو نقصان .

إن تلك النطفة التي صنعتها الخصية في الذكر ، والمبيض في الأنثى لا تدري من أمرها شيئًا بل إن الإنسان المتكون عنها لا يزال جاهلا لا يملك بصيرة أو حكمة أو صوابًا لمدة عدد من السنين بعد ولادته ، ولا شك أيضًا أن الشمس أو القمر أو الرياح أو النبات أو

الحيوانات لم تدخل إلى بطن الأم لتصور ، وتركب ، وتكون هذه الآلاف العديدة التي تولد كل يوم من بني الإنسان ، وأطفال كل الكائنات الحية . فمن الخالق الحكيم البصير ؟)[1] .

إنه الله . لا إله إلا الله « الله أكبر » من أنا ؟ وبين يدي من أقف ؟!

سؤال لو تدبره العبد حق تدبره ، وكلمة لو وعاها بقلبه لوقف بين يدي ربه خير موقف .

أخي .. لا تتعجب إذا رأيتني أطلت البحث والنفس في أمر تكبيرة الإحرام لأنه يا أخي إذا سلمت لك التكبيرة الأولى ، وأدركت أن الله أكبر من كل ما سواه ، هانت تلك الشواغل وعظم عندك حق الله وأمر الله ، ونهي الله ، وشعرت بعزة الدنيا والآخرة كيف لا وأنت تستند إلى الله وتلوذ بحماه وتزهد فيما سواه .

وهل الصلاة إلا تعظيم لله ولجوء إليه واستعانة به وافتقار وذل بين يديه ، فكيف بالله تحصل لك هذه المعاني وقلبك يكذب لسانك في التكبير .

❋ الثاني : معنى رفع اليدين بالتكبير :

وسر رفع اليدين مع التكبير هو : أن رفعهما إلى حذو المنكبين

(١) « كتاب توحيد الخالق » لعبد المجيد الزنداني (ص٤٠- ٤٤) .

تعبير عن أنهما عضوا البطش والكسب والفعل لكنه أمام الله يكفهما بعد رفعهما إعلانًا عن الاستسلام لله وترك المعارضة لأوامره ونواهيه ، وإظهارًا لتمام الانقياد .

❋ **الثالث الدخول في الصلاة بالتوبة :**

وهو : أن تستفتح صلاتك بطلب المغفرة والمباعدة بينك وبين الذنوب والمعاصي وهذا يستلزم منك توبة .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه كان رسول الله ﷺ يسكت بين التكبير وبين القراءة إسكاتة ، فقلت : بأبي وأمي يا رسول الله إسكاتك بين التكبير والقراءة ما تقول ؟ قال : « أقول : اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب ، اللهم نقني من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس ، اللهم اغسلني من خطاياي بالماء والثلج والبرد »[1] .

قال العلامة الإمام ابن القيم رحمه الله : (وسألت شيخ الإسلام – يعني ابن تيمية رحمه الله – عن معنى دعاء النبي ﷺ : « اللهم طهرني من خطاياي بالماء والثلج والبرد » كيف يطهر الخطايا بذلك ؟ وما فائدة التخصيص بذلك ؟ وقوله في لفظ آخر : « والماء البارد » والحار أبلغ في الإنقاء ؟

(١) رواه البخاري (٧٤٤) ، وأحمد (٧١٦١) .

فقال : « الخطايا توجب للقلب حرارة ونجاسة وضعفًا ، فيرتخي القلب وتضطرم فيه نار الشهوة وتنجّسه فإن الخطايا والذنوب له بمنزلة الحطب الذي يمد النار ويوقدها ولهذا كان كلما كثرت الخطايا اشتدت نار القلب وضعفه ، والماء يغسل الخبث ويطفئ النار فإن كان باردًا أورث الجسم صلابة وقوة ، فإن كان معه ثلج وبرد كان أقوى في التبريد وصلابة الجسم وشدته فكان أذهب لأثر الخطايا » هذا معنى كلامه وهو محتاج إلى مزيد بيان وشرح ، فاعلم أن ههنا أربعة أمور : أمران حسّيّان ، وأمران معنويان ، فالنجاسة التي تزول بالماء هي ومزيلها حسيان ، وأثر الخطايا التي تزول بالتوبة والاستغفار هي ومزيلها معنويان ، وصلاح القلب وحياته ونعيمه لا يتم إلا بهذا وهذا ، فذكر النبي ﷺ من كل شطر قسمًا نبّه به على القسم الآخر ، فتضمن كلامه الأقسام الأربعة ، في غاية الاختصار وحسن البيان ، كما في حديث الدعاء بعد الوضوء : « اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين » ، فإنه يتضمن ذكر الأقسام الأربعة ، ومن كمال بيانه ﷺ وتحقيقه لما يخبر به ويأمر به : تمثيله الأمر المطلوب المعنوي بالأمر المحسوس وهذا كثير في كلامه ، كقوله في حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه : « سل الله الهدى والسداد ، واذكر بالهدى هدايتك الطريق ، وبالسداد سداد

السهم »[1] إذ هذا من أبلغ التعليم والنصح ، حيث أمره أن يذكر إذا سأل الله الهدى إلى طريق رضاه وجنته : كونه مسافرًا ، وقد ضل عن الطريق ولا يدري أين يتوجه ، فطلع له رجلٌ خبيرٌ بالطريق عالمٌ بها ، فسأله أن يدله على الطريق ، فهكذا شأن طريق الآخرة ، تمثيلا لها بالطريق المحسوس للمسافر وحاجة المسافر إلى الله سبحانه إلى أن يهديه تلك الطريق ، أعظم من حاجة المسافر إلى بلد إلى من يدله على الطريق الموصل إليها ، وكذلك السداد وهو إصابة القصد قولا وعملا فمثله مثل رامي السهم إذا وقع سهمه في نفس الشيء الذي رماه ، فقد سدد سهمه وأصاب ولم يقع باطلا ، فهكذا المصيب للحق في قوله وعمله بمنزلة المصيب في رميه ، وكثيرًا ما يُقْرَنُ في القرآن هذا وهذا فمنه قوله تعالى : ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة : ١٩٧] أمر الحاج بأن يتزودوا لسفرهم ولا يسافروا بغير زاد ، ثم نبههم على زاد سفر الآخرة وهو التقوى ، فكما أنه لا يصل المسافر إلى مقصده إلا بزاد يبلغه إياه فكذلك المسافر إلى الله تعالى والدار الآخرة لا يصل إلا بزاد من التقوى ، فجمع بين الزادين ومنه قوله تعالى : ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ

---

(١) صحيح . رواه النسائي (٥٢٢٥) ، وابن ماجة (٣٦٤٨) ، وأصله في « صحيح مسلم » (٢٠٧٨) (٦٥) .

ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف : ٢٦] فجمع بين الزينتين : زينة البدن باللباس ، وزينة القلب بالتقوى ، زينة الظاهر والباطن ، وكمال الظاهر والباطن ، ومنه قوله تعالى : ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه : ١٢٣] ، فنفى عنه الضلال الذي هو عذاب القلب والروح ، والشقاء الذي هو عذاب البدن والروح أيضًا ، فهو منعَّم القلب والبدن بالهدى والفلاح ، ومنه قول امرأة العزيز عن يوسف عليه السلام لما أرته النسوة اللائمات لها في حبه : ﴿فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ﴾ [يوسف : ٣٢] فأرتهن جماله الظاهر ، ثم قالت : ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ﴾ [يوسف : ٣٢] ، فأخبرت عن جماله الباطن بعفته ، فأخبرتهن بجمال باطنه ، وأرتهن جمال ظاهره فَنبَّه ﷺ بقوله : « اللهم طهرني من خطاياي بالماء والثلج والبرد » على شدة حاجة البدن والقلب إلى ما يطهرهما ويبردهما ويقويهما وتضمَّن دعاؤه سؤال هذا وهذا والله أعلم ، وأسرار كلماته وأدعيته ﷺ فوق ما يخطر بالبال)[1] .

❋ الرابع : دعاء الاستفتاح :

وسوف نورد صيغة من صيغ دعاء الاستفتاح ونوضح معانيها

(١) « إغاثة اللهفان » لابن القيم (١/٥٧- ٥٩) بتصرف .

فأقول : عن عليّ رضي الله عنه قال : « كان النبي ﷺ إذا قام إلى الصلاة قال : « وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفًا وما أنا من المشركين ، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين[1] ، اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت ، أنت ربي وأنا عبدك ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعًا ، لا يغفر الذنوب إلا أنت واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت لبيك وسعديك والخير كله في يديك والشر ليس إليك أنا بك وإليك تباركت وتعاليت أستغفرك وأتوب إليك »[2] .

ونحن لن نشرح هذا الدعاء شرحًا مستفيضًا كما هو مشروح في أمهات الكتب حتى لا يطول بنا المقام ولكن نوضح لك المعاني التي لابد أن تستقر في ذهن المصلي عند استفتاح صلاته فأقول :

❋ معاني دعاء الاستفتاح :

إن هذا الدعاء تناول كبريات القضايا وإليك طرفًا منها :

١ - الاستسلام لله والتوجه إليه وحده بالعبادة .

(١) والمسلم إذا استفتح بهذا الدعاء يقول : « وأنا من المسلمين » بدل : « وأنا أول المسلمين » .

(٢) رواه مسلم في « صلاة المسافرين » باب « صلاة النبي ودعائه من الليل » .

٢ – الاعتراف له بخلق الكون كله .

٣ – العزم بالعدول والميل عن الباطل ، ونفي الإشراك بكل صوره .

٤ – الإذعان التام والتنازل عن حق الحياة والممات وأنها لله وحده هو يصرفها على وفق مناهجه فليس لي مع قوله قول ، وليس لي على شرعه اعتراض .

٥ – الإعلان عن أن العبد أُمِرَ بذلك التخلي من قِبَلِ الله وأنه لا يشاركه في عبده أحد مهما كان .

٦ – تأكيد معنى الإسلام والانضمام إلى جماعة المسلمين .

فتأمل هذه المعاني يا أخي وأنت تتلفظ بها مع التأني سترى يقينًا من أين يدخل الخلل في صلاتنا عند فقدنا لهذه المعاني الكبار ، وتعالى بنا لنحاسب أنفسنا ونتذاكر أحوال الغافلين عن مقاصد صلاتهم ، وانظر كيف يؤدونها ثم تأمل قوله تعالى : ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون : ٤، ٥] ، وإن كان في تاركي الصلاة أظهر ولكنه يشمل الذين يدخلون في صلاتهم ويخرجون منها دون أن يفقهوا من هذه المعاني شيئًا .

❋ فقد المعاني لدى المصلين :

هل ترى الذي يخرج من صلاته ليمارس حياة الخضوع لشهواته

على حساب دينه استسلم لله وترك معارضته ؟!

– أم هل ترى من نصب نفسه إلاهًا يشرع لعباد الله ما لم يأذن به الله اعترف بملكية الله للكون ؟!

– أم هل ترى المُصِرَّ على مناهج الباطل وقوانين الأرض صادقًا في عزمه ؟!

– أم هل ترى الذي يدعو أصحاب القبور ويطوف بقبورهم ويقبل أحجارها أخلص صلاته ونسكه لله وحده ؟!

– أم هل ترى الذي ترك حياته لقوانين الغرب تنظمها صادقًا في قوله : « ومحياي ومماتي لله رب العالمين » .

– أم هل ترى الذي ينسب الأمر بهذا التجرد لله وحده ثم تراه يعصي أوامر الله مع تكراره لهذا الدعاء مرات عديدة في اليوم هل تراه يعي ما يقول في صلاته ؟!

– ثم اعلم يا أيها المبارك أن ما تَشكُبُهُ هذه المفاهيم في النفس من تحديد الوجهة ووضوح الرؤية وتوحيد جهة الأمر يسمو بهذا الإنسان سموا فريدًا فيرفعه إلى المستوى اللائق به وحين يفتقد الإنسان هذه المعاني في حياته لن يكون إلا كما وصفه خالقه العالم به :

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾

[المعارج: ١٩ - ٢٣] ، فالتأمل أيها الحبيب في معاني هذه الكلمات هو روح هذه العبادة ومبناها و أساسها وبه تحصل اللذة التي نفتقدها في زحمة اللهاث وراء المقاصد الهابطة التي لم يأذن الله بها .

❁ الخامس : الاستعاذة :

ونصها : « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » ولك أن تزيد : « أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم » .

قال ابن جرير رحمه الله : « والاستعاذة : الاستجارة ، وتأويل قول القائل : « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » أستجير بالله دون غيره من سائر خلقه من الشيطان أن يضرني في ديني أو يصدني عن حق يلزمني لربي »[1] .

قال ابن القيم رحمه الله : (ومعنى « استعذ بالله » امتنع به واعتصم به والجأ إليه ، فأمر سبحانه بالاستعاذة به من الشيطان عند قراءة القرآن وفي ذلك وجوه :

– **منها** : أن القرآن شفاء لما في الصدور يذهب ما يلقيه الشيطان فيها من الوساوس والشَّهوات والإرادات الفاسدة فهو داوء لما أقرَّ فيها الشيطان ، فأمر أن يطرد مادة الداء ويخلِّي منه القلب ليصادف الدواء محلا خاليًا فيتمكن منه ويؤثر فيه كما قيل :

(١) « تفسير ابن جرير » (٧٦/١) .

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى   فصادف قلبًا خاليًا فتمكَّنا

فيجيء هذا الدواء الشافي إلى القلب قد خلا من مزاحم ومضاد له فينجع فيه .

– **ومنها** : أن القرآن مادة الهدى والعلم والخير في القلب كما أن الماء مادة النبات والشيطان نار يحرق النبات أولا فأول ، فكلما أحَسَّ بنبات الخير من القلب سعى في إفساده وإحراقه فأُمِر أن يستعيذ بالله عز وجل منه لئلا يفسد عليه ما يحصل له بالقرآن والفرق بين هذا الوجه والوجه الذي قبله أن الاستعاذة في الوجه الأول لأجل حصول فائدة القرآن ، وفي الوجه الثاني لأجل بقائها وحفظها وثباتها ، وكأن من قال : إن الاستعاذة بعد القراءة لاحظ هذا المعنى وهو لعمر الله ملحظ جيد إلا أن السنة وآثار الصحابة إنما جاءت بالاستعاذة قبل الشروع في القراءة وهو قول جمهور الأمة من السلف والخلف وهو محصِّل للأمرين .

– **ومنها** : أن الملائكة تدنو من قارئ القرآن وتستمع لقراءته كما في حديث أسيد بن حضير لما كان يقرأ ورأى مثل الظلة فيها مثل المصابيح ، فقال عليه الصلاة والسلام : « تلك الملائكة »[1] والشيطان ضد الملك وعدوه فأُمِرَ القارئ أن يطلب من الله تعالى مباعدته عنه

(١) رواه البخاري (٥٠١٨) ، ومسلم (٧٩٦) .

حتى يحضره خاص ملائكته فهذه منزلة لا يجتمع فيها الملائكة والشياطين .

– **ومنها** : أن الشيطان يجلب على القارئ بخيله ورَجله حتى يشغله عن المقصود بالقرآن وهو تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد به المتكلم به سبحانه فيحرص بجهده على أن يحول بين قلبه وبين مقصود القرآن ، فلا يكمل انتفاع القارئ به فأمر عند الشروع أن يستعيذ بالله عز وجل منه .

– **ومنها** : أن القارئ يناجي الله تعالى بكلامه ، والله تعالى أشد إذنًا للقارئ الحسن الصوت بالقرآن من صاحب « القينة إلى قينته »[1] والشيطان إنما قراءته الشعر والغناء فأُمِرَ القارئ أن يطردهُ بالاستعاذة عند مناجاة الله تعالى واستماع الرب قراءته .

– **ومنها** : أن الله سبحانه أخبر أنه ما أرسل من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته والسلف كلهم على أن المعنى : إذا تلا ألقى الشيطان في تلاوته ، قال الشاعر في عثمان :

تمنى كتاب الله أول ليله وآخره لاقى حمام المقادر

فإذا كان هذا فعله مع الرسل عليهم السلام فكيف بغيرهم ؟

---

(١) رواه البخاري (٥٠٢٣) ، ومسلم (٧٩٢) .

ولهذا يُغَلِّط القارئ تارة ويُخَلِّطُ عليه القراءة ، ويشوِّشها عليه فيخبط عليه لسانه أو يشوِّش عليه ذهنه وقلبه ، فإذا حضر عند القراءة لم يعدم منه القارئ هذا ، أو هذا وربما جمعهما له ، فكان من أهم الأمور الاستعاذة بالله تعالى منه .

– **ومنها** : أن الشيطان أحرص ما يكون على الإنسان عندما يهم بالخير أو يدخل فيه ، فهو يشتد عليه حينئذٍ ليقطعه عنه ، وفي الصحيح عن النبي ﷺ : « إن شيطانًا تفلّت عليَّ البارحة فأراد أن يقطع عليّ صلاتي . . . الحديث »[1] .

وكلما كان الفعل أنفع للعبد وأحب إلى الله تعالى كان اعتراض الشيطان له أكثر ، وفي مسند الإمام أحمد رحمه الله من حديث سبرة بن أبي الفاكه أنه سمع النبي ﷺ يقول : « إن الشيطان قعد لابن آدم بأَطْرُقِهِ فقعد له بطريق الإسلام ، فقال : أتسلم وتذر دينك ودين آبائك وآباء آبائك ، فعصاه فأسلم ، ثم قعد له بطريق الهجرة ، فقال : أتهاجر وتذر أرضك وسماءك ؟ وإنما مثل المهاجر كالفرس في الطِّوَلِ فعصاه وهاجر ، ثم قعد له بطريق الجهاد وهو جهاد النفس والمال فقال : تقاتل فتقتل ، فتنكح المرأة ويقسم المال قال : فعصاه فجاهد »[2]

(١) رواه البخاري (٤٨٠٨) .

(٢) رواه أحمد (١٥٩٣٨) ، والنسائي (٣١٣٤) ، وهو صحيح . والطِّوَل : بكسر =

فالشيطان بالرصد للإنسان على طريق كل خير ، وقال منصور عن مجاهد رحمه الله : « ما من رفقة تخرج إلى مكة إلا جهز معهم إبليس مثل عدتهم » رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ، فهو بالرصد ، ولا سيما عند قراءة القرآن فأمر سبحانه العبد أن يحارب عدوه الذي يقطع عليه الطريق ، ويستعيذ بالله تعالى منه أولا ، ثم يأخذ في السير كما أن المسافر إذا عرض له قاطع طريق اشتغل بدفعه ثم اندفع في سيره .

– **ومنها** : أن الاستعاذة قبل القراءة عنوان وإعلام بأن المأتي به بعدها القرآن ولهذا لم تشرع الاستعاذة بين يدي كلام غيره ، بل الاستعاذة مقدّمة وتنبيه للسامع أن الذي يأتي بعدها هو التلاوة فإذا سمع السامع الاستعاذة استعدَّ لاستماع كلام الله تعالى ثم شُرِعَ ذلك للقارئ وإن كان وحده لما ذكرنا من الحكم وغيرها ، فهذه بعض فوائد الاستعاذة وقد قال أحمد في رواية حنبل : « لا يقرأ في صلاة ولا غير صلاة إلا استعاذ لقوله عز وجل : ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل : ٩٨] ، وقال في رواية ابن مشيش : « كلما

= الطاء وفتح الواو : الحبل الطويل يشد أحد طرفيه في وتدٍ والطرف الآخر في يد الفرس ليدور فيه ويرعى ولا يذهب لوجهه .

قرأ يستعيذ » ، وقال عبد الله بن أحمد : « سمعت أبي إذا قرأ استعاذ . يقول : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، إن الله هو السميع العليم » وفي المسند والترمذي من حديث أبي سعيد الخدري قال : « كان النبي ﷺ إذا قام إلى الصلاة استفتح ثم يقول : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه »[1] .

وقال ابن المنذر : (جاء عن النبي ﷺ أنه كان يقول قبل القراءة : « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » واختار الشافعي وأبو حنيفة والقاضي في الجامع أنه كان يقول : « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » وهو رواية عن أحمد لظاهر الآية ، وحديث ابن المنذر ، وعن أحمد من رواية عبد الله : « أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم » لحديث أبي سعيد وهو مذهب الحسن وابن سيرين ويدل عليه ما رواه أبو داود رحمه الله في قصة : « أن النبي ﷺ جلس وكشف عن وجهه ، وقال : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم » وعن أحمد رواية أخرى أنه يقول : « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم إن الله هو السميع العليم » وبه قال سفيان الثوري ومسلم بن يسار واختاره القاضي في « المجرد » وابن عقيل لأن قوله : ﴿فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ

(١) رواه أحمد (٢٥٢١٤) ، والترمذي (٢٤٢) ، وصححه أحمد شاكر في « تحقيق سنن الترمذي » .

﴿ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ ظاهره أنه يستعيذ بقوله : ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ ، وقوله في الآية الأخرى : « فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم » يقتضي أن يلحق بالاستعاذة وصفه بأنه هو السميع العليم في جملة مستقلة بنفسها مؤكدة بحرف « إن » لأنه سبحانه هكذا ذكرَ . وقال إسحاق : الذي أختاره ما ذكر عن النبي ﷺ : « اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم من همزه ونفثه ونفخه » وقد جاء في الحديث تفسير ذلك قال : (وهمزه : الموتة ، ونفخهُ : الكبر ، ونفثه : الشعر) وقال تعالى : ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝٩٧ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون : ٩٧ - ٩٨] ، والهمزات : جمع همزة كتمرات وتمرة ، وأصل الهمز الدفع قال أبو عبيد عن الكسائي : (همزته ، ولمزته ، ولهزته ، ونهزته إذا دفعته والتحقيق : أنه دفع بنخز وغمز يشبه الطعن ، فهو دفع خاص ، فهمزات الشياطين : دفعهم الوساوس والإغواء إلى القلب ، قال ابن عباس والحسن : (همزات الشياطين : نزغاتهم و وساوسهم) وفُسِّرت همزاتهم بنفخهم ونفثهم وهذا قول مجاهد ، وفُسِّرت بخنقهم وهو الموتة التي تشبه الجنون ، وظاهر الحديث أن الهمز نوع غير النفخ والنفث ، وقد يقال وهو الأظهر : إن همزات الشياطين إذا أفردت دخل فيها جميع إصاباتهم لابن آدم وإذا قُرِنَت بالنفخ والنفث كانت

نوعًا خاصًا ، كنظائر ذلك . ثم قال : « وأعوذ بك رب أن يحضرون » قال ابن زيد : (في أموري ، وقال الكلبي : عند تلاوة القرآن ، وقال عكرمة : عند النزع والسياق ، فأمره أن يستعيذ من نوعي شرٍّ إصابتهم بالهمز وقربهم ودنوهم منه فتضمنت الاستعاذة أن لا يمسوه ولا يقربوه ، وذكر ذلك سبحانه عقيب قوله : ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون : ٩٦] فأمره أن يتحرز من شر شياطين الإنس بدفع إساءتهم إليه بالتي هي أحسن ، وأن يدفع شرَّ شياطين الجن بالاستعاذة منهم .

ونظير هذا قوله في سورة الأعراف : ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف : ١٩٩] .

فأمره بدفع شر الجاهلين بالإعراض عنهم ، ثم أمره بدفع شر الشيطان بالاستعاذة منه فقال : ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف : ٢٠٠] ونظير ذلك قوله في سورة فصلت : ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت : ٣٤] فهذا لدفع شر شياطين الإنس ثم قال : ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ فأكد بأن وبضمير الفصل وأتى باللام في « السميع العليم » ، وقال في الأعراف : ﴿إِنَّهُۥ

﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ، وسر ذلك والله أعلم أنه حيث اقتصر على مجرد الاسم ولم يؤكده أريد إثبات مجرد الوصف الكافي في الاستعاذة والإخبار بأنه سبحانه يسمع ويعلم ، فيسمع استعاذتك فيجيبك ، ويعلم ما تستعيذ منه فيدفعه عنك فالسمع لكلام المستعيذ والعلم بالفعل المستعاذ منه ، وبذلك يحصل مقصود الاستعاذة وهذا المعنى شامل للموضعين ، وامتاز المذكور في سورة فصلت بمزيد التأكيد والتعريف والتخصيص لأن سياق ذلك بعد إنكاره سبحانه على الذين شكوا في سمعه لقولهم وعلمه بهم كما جاء في الصحيحين من حديث ابن مسعود قال : (اجتمع عند البيت ثلاثة نفر قرشيان وثقفي أو ثقفيان وقرشي ، كثير شحم بطونهم ، قليل فقه قلوبهم ، فقالوا : أترون الله يسمع ما نقول ؟ فقال أحدهم : يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا ، فقال الآخر : إن سمع بعضه سمع كله ، فأنزل الله عز وجل : ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[1]. فجاء التوكيد في قوله : ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ في سياق هذا الإنكار : أي هو وحده الذي له كمال قوّة السمع وإحاطة العلم لا كما يظن به

(١) رواه البخاري (٤٨١٦) ، والآية رقم ٢٢ - ٢٣ من سورة فصلت .

أعداؤه الجاهلون : أنه لا يسمع إن أخفوا . وأنه لا يعلم كثيرًا مما يعملون ، وحَسَّنَ ذلك أيضًا أن المأمور به في سورة فصلت دفع إساءتهم إليه بإحسانه إليهم وذلك أشق على النفوس من مجرد الإعراض عنهم ولهذا عقَّبه بقوله : ﴿وَمَا يُلَقَّـٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت : ٣٥] فحسَّن التأكيد لحاجة المستعيذ وأيضًا فإن السياق ههنا لإثبات صفات كماله وأدلة ثبوتها وآيات ربوبيته وشواهد توحيده ولهذا عقَّب ذلك بقوله : ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ﴾ وبقوله : ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً﴾ فأتى بأداة التعريف الدالة على أن من أسمائه « السميع العليم » كما جاءت الأسماء الحسنى كلها معرفة ، والذي في الأعراف في سياق وعيد المشركين وإخوانهم من الشياطين و وعد المستعيذ بأن له ربًا يسمع ويعلم ، وآلهة المشركين التي عبدوها من دونه ليس لهم أعين يبصرون بها ، ولا آذان يسمعون بها فإنه سميع عليم ، وآلهتهم لا تسمع ولا تبصر ولا تعلم فكيف تسوونها به في العبادة ، فعلمت أنه لا يليق بهذا السياق غير التنكير ، كما لا يليق بذلك غير التعريف ، والله أعلم بأسرار كلامه » . انتهى من كلام ابن القيم[1] .

« وينبغي ألا يخفى عليك أن للإنسان عدوين أحدهما محسوس

(١) « إغاثة اللهفان » لابن القيم (١/٩١- ٩٧) .

ندافعه بوسائلنا الممكنة وتتنوع تلك الوسائل بحسب قوة العدو المحسوس ودهائه ونوعية سلاحه ، فما نواجه به الإنسان والحيوان المفترس غير ما نواجه به الجهل والمرض ، وكلها قد تكون محسوسة وعدونا الذي نريد الدخول معه في معركة حماية الصلاة وقطف ثمرتها هو الشيطان عليه لعنة الله فليس لنا قدرة على منازلته هنا إلا أن نحتمي بحمى الله الذي لا يضام .

والخبيث قد قال متوعدًا : ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف : ١٦] ، والصلاة هي رأس مال العبد المؤمن وأمارة الصراط المستقيم فلا بد أن يسعى الشيطان إلى تضييعها علينا بكل وساوسه ومكره ولذلك : أُمِرَ العبدُ أن يستعيذ بالله عند قراءته للقرآن بقوله تعالى : ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ ومهمته في صلاة العبد أن يقول له : يا فلان اذكر الأمر كذا حتى إنه ليخطر في بال المصلي أمورًا يجهد فكره بحثًا عنها لا تخطر في باله في غير الصلاة ، ولو أجهد فكره بحثًا عنها ، فإذا استعاذ العبد منه بالله تعالى صادقًا معلنًا أنه لا حول له في دفعه – لأنه لا يملك أداة دفعه من الأسباب المقدرة للبشر – وقاه الله وكفاه بها ، ثم أن منها عزمك على ترك ما يريده بك عدوك إلى ما يريده منك ربك وخالقك ففي الاستعاذة بالله عزم على مطاردة النزوات والشهوات والأهواء المخالفة

لأمر الله ونهيه »[1] .

أخي ..

إن كلمة هذا شأنها لمن أنجع الوسائل لقمع الشيطان عن العبد إذا أحسن استخدامها وصدق في استعاذته بربّه من شيطانه .

❃ السادس : البسملة :

وهي أيضًا من الأسلحة القوية ومعناها : أي أبدأ في صلاتي وقراءتي « باسم الله » وفيها الاستعانة بالله وهي طلب العون منه تعالى ، واشتملت على اسم الله الأعظم وهو : « الله » لأنه يوصف بجميع الصفات وهو ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين واشتملت على اسمين آخرين من أسمائه الحسنى وهما : « الرحمن الرحيم » اسمان رفيقان أحدهما أرفق من الآخر أى أوسع رحمة وهما مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة . فالرحمن أشد مبالغة من رحيم .

قال الأستاذ الدكتور الشيخ محمد خليل هراس رحمه الله : « اسمان كريمان من الأسماء الحسنى يدلان على اتصافه تعالى بصفة الرحمة ، وهي صفة حقيقية لله عز وجل على ما يليق به ، فلا يجوز القول بأن المراد بها لازمها ، كإرادة الإحساس ونحوه

(١) « لذة المناجاة » طايس الجميلي : مكتبة السندس .

كما تزعم المعطلة .

واختلف في سر الجمع بين هذين الاسمين الكريمين بعد الاتفاق على أن أولها « الرحمن » أكثر مبالغة من « الرحيم » ، فقيل : المراد بالرحمن : الذي وسعت رحمته جميع خلقه في الدنيا .

وبالرحيم : الذي تخص رحمته المؤمنين في الآخرة كما قال تعالى : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف : ١٥٦] .

وقد ذهب العلامة ابن القيم رحمه الله إلى أن « الرحمن » دالٌّ على الصفة القائمة بالذات وأما الرحيم فدال على تعلقها بالمرحوم ، فهو الرحمن في ذاته ، الرحيم لعباده بالفعل بتلك الرحمة ، ولعل مما يشهد لهذا أن اسمه تعالى « الرحمن » لم يستعمل في القرآن متعديًا بخلاف « الرحيم » قال تعالى : ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب : ٤٣] ، وقال : ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة : ١٤٣] ، وفي الحديث الصحيح : « أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسمًا من اسمي ، فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها قطعته »[1] .

---

(١) رواه الترمذي (١٩٠٧) ، وأبو داود (١٦٩٤) ، وأحمد (١٦٦٢) ، « صحيح الجامع » (٤٣١٤) .

واسمه تعالى : « الرحمن » من الأسماء المختصة به فلا يطلق على غيره ، ولهذا يقع في ابتداء الكلام وتجري عليه النعوت كاسم الجلالة تمامًا قال تعالى : ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه : ٥] ، وقال : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْۤ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا وَزَادَهُمۡ نُفُورٗا۩﴾ [الفرقان : ٦٠] ، وقال : ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ [الإسراء : ١١٠] .

قيل : كانت العرب لا تعرف اسمه تعالى « الرحمن » حتى رد الله عليهم بهذه الآية ولهذا قال كفار قريش يوم الحديبية لما قال رسول الله ﷺ لعليٍّ : اكتب : « بسم الله الرحمن الرحيم » : لا نعرف الرحمن ولا الرحيم . وفي بعض الروايات : لا نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة .

قال الحسن : « الرحمن اسم لا تستطيع الناس أن ينتحلوه تسمى به تبارك وتعالى » . انتهى[1] .

« ألم تر إلى حال ممثلي الرؤساء والملوك يفخرون ، إنهم يتكلمون بأسماء ملوكهم فيختالون على الناس ويشعرون بأنهم أداة صالحة للتحدث بلسان عظمائهم .

---

(١) « عقيدة القرآن والسنة » . أ . د . محمد خليل هراس رحمه الله (ص١٦١ - ١٦٣) .

ويحملهم هذا على أن لا يتجاوزوا دائرة الإذن لهم في التحدث ويركزوا حديثهم ويتحفظوا أيما تحفظ لئلا يقعوا تحت طائلة مسؤولية المخلوق ولم نجد متحدثًا باسم ملك أو رئيس أو أمير يهذي في كلامه أو يشط في ألفاظه .

فأنت أول كلامك « باسم الله » فلا بد أن يغمرك شعور بالعزة المستمدة من عزة الله إذ موقفك موقف من يتبرك باسمه ويخاطبه بكلامه ، فلولا فضله عليك لم تقف هذا الموقف ، ألا ترى إلى مئات بل ألوف الناس محرومين بذنوبهم من هذا الموقف فأسعدك وخصَّك وأكرمك وما ذلك إلا لأنه الموصوف بالرحمة المضاعفة فالرحمة صفة ذاته سبحانه والرحيم صفة فعله عز وجل . سرّح فكرك وأعمله في مظاهر رحمته الملازمة لاسمه وماذا تفيض على القريبين منه والمتشبهين بصفاته من اللين للخلق والرحمة لعباد الله فالراحمون يرحمهم الرحمن (ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء) ، ثم ابحث عن مظاهر الرحمة في سلوكك وناقش نفسك وقس المسافة بين صفات الله وصفاتك فإن وقفت على حقيقة ذلك فأنت أحد اثنين : إما بعيد عن رتبة الراحمين فاسع في تحصيلها وإما قريب فاحمد الله واشكره واسأله الزيادة فهو القائل : ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم : ٧] ، ولا مانع من أن تستحضر

في ذهنك من صور رحمته تعالى لخلقه ما يقوي هذا الشعور . وخذ من ذلك مثلًا :

إجراؤه الأرزاق على ضعاف مخلوقاته من غير كسب منها ولا أداة ولعل أقربها منك بداية خلقك وما أجراه عليك من العناية والرعاية والخلق والتدبير والرزق وأنت في ظلمات الأرحام أعجز من أن تجلب لنفسك خيرًا أو تدفع عنها شرًا وكيف وضعك موضعًا مأمونًا ، وأجرى لك من أسباب الغذاء والإنعاش ما حفظك به في ذلك الموضع ثم إذا أخرجك طفلا حَنَّنَ عليك القلوب وأجرى لك اللبن المعقَّم بدرجة حرارة يحس بها الطفل باردة سائغة صيفًا ، دافئة سائغة شتاءً .

ولو ذهبت تحدث نفسك بمظاهر الرحمة لاستغرقت في البسملة وحدها وقتًا طويلا ولذلك كان الرسول ﷺ إذا قرأها مَدَّ كل لفظ من ألفاظها مدة تشعر بالتأمل والفكر » .

السابع التدبر فيما أقول :

ولو تدبر الإنسان في صلاته فيما يقوله وما يقرأه لرأى من جمال كلام الله تعالى العجب وقد أمرنا الله سبحانه بالتدبر في آيات كتابه فقال عز من قائل : ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص : ٢٩] ، وقال سبحانه : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد : ٢٤] ، وقال عز شأنه : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ

﴿ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء : ٨٢] فلو أردنا أن نتدبر مثلا في الفاتحة لوجدنا فيها وحدها من المعاني ما يضيق المقام عن حصره ولا مانع من أن نقف مع بعض الإشارات في الفاتحة فنقول : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ :

وبعد وصفه والتحدث باسمه تنسب له المحامد بقوله تعالى : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ .

« فالحمد استغراقٌ لجنس المحامد والثناء لمستحقها وهو الله تعالى واحذر هنا من أن تشعر أن لأحدٍ عليك نعمة غير مرتبطة بأسباب الله سبحانه فينتقض بذلك حمده ويكذب ضميرك لسانك ...، وتحضر في نفسك أن الله استحق الحمد كله لأنه مصدر الخير كله في الحياة وبعد الممات وإن أردت معرفة أنواع الأفضال الإلهية فاذكر نعمه المتعاقبة عليك .

« رب » وهو المربي لخلقه ومن أعظم نعمه على خلقه هذا القرآن وهو المنهاج التربوي الفريد ، وتربيته سبحانه لخلقه من أدواتها هذا الكون بنظمه التي يخدم بعضها بعضًا كل هذا لخدمة الإنسان وتكريم الإنسان ومن تربيته لعباده إيجاده فيهم قابلية التفريق بين التقوى والفجور وبين الهداية والضلال وتأهيله لهم لقبول شرعه سبحانه .

فاللهم لك الحمد حمدًا كثيرًا مع بقائك .

ولك الحمد حمدًا لا منتهى له دون علمك .
ولك الحمد حمدًا لا منتهى له دون مشيئتك .
ولك الحمد حمدًا لا آخر لقائله إلا رضاك .

« العالَمين » وهو جمع عالَم – والعالم اسم لما يُعْلَمُ به كالخاتم لما يختم به وهو شامل لكل ما سوى الله سبحانه ، ثم استحضر في ذهنك هذه الأكوان بجملتها وتفصيلها الدال على عظمته سبحانه وتعالى ، وبعض العلماء يرى أن – العالمين – يطلق ويراد به ما يَعْلَم ويفقه وهو عالم الملائكة وعالم الإنس وعالم الجن ، وتذكر العوالم الأخرى على سبيل الاستتباع ، فعالم النبات وعظمة الله فيه إنباتًا وإزهارًا وإثمارًا ، وتخصيص كل بخصيصته – يسقى بماء واحد ويثمر في تربة واحدة ، وتختلف الطعوم والروائح والألوان والفوائد ، فأي عالم هذا وأي خلق هذا سبحانه وتعالى من إله .

وعالم الجماد وعجائبه وألوانه وخصائصه وقوانين وجوده وتستطيع يا أخي أن توسع دائرة الفكر في هذا العالم ما استكْشِفَ منه وما لم يُسْتَكْشَفْ ، وعالم البشر وتميُّزه عن بقية العوالم بمميزاته وتعقيده ويكفي أن أنبهك إلى قضية الإعجاز في خلق البشر هذا الإعجاز يتجلى في أنك لو ذهبت لإحصاء البشر بخمسة آلاف مليون نسمة ودققت النظر جيدًا في هذا العدد الرهيب لم تجد اثنين منهم

يتشابهان تشابهًا تامًا . ما هذا ؟! بينما يمكنك أن تجد في عالم النبات أو بعض فصائله تشابهًا كاملا يستحيل عندك معه أن تميز نبتة عن أخرى أو ثمرة عن أختها من ذات الفصيلة ويحصل مثل هذا في عالم الحيوان وعالم الجماد ، ويتعذر في عالم الإنسان التماثل رغم كثرة العدد . لماذا ؟! اسأل نفسك لماذا ؟ لأن عالم البشر عالم مختلف تتشابك مصالحه وتتقيد تصرفاته بأوامر ونواهٍ شرعية ، فإن وقع التشابه التام أفضى ذلك إلى ضياع الحقوق وتعطل النظام العام ، ولبيان هذا الأمر خذ هذا المثال :

لو تشابه الخصم والشاهد أمام القاضي والذي بدوره يشبههم ألا يتقاذف كل منهم التهمة ؟ وما الدليل إذا انتفت الفوارق الخِلقية على تجريم عمرو وتبرئة ساحة زيد ؟! ولذلك يعتبر من الإعجاز الإلهي افتراق بلايين البصمات واستحالة التشابه ، ولم يكن هذا مقصورًا على زمن دون زمن بل إن الله تعالى لم يخلق بصمتين متشابهتين منذ خلق آدم وذريته . فيا رب سبحانك وأنا أعيش على معنى « العالمين » أقف مذهولا أمام قدرتك . هلا تذكرت أيها المبارك وحدة الترابط بين هذه العوالم وكيف يخدم بعضها بعضًا بأسباب البقاء والحياة ؟

ماذا تتصور حال مادة الأوكسجين في الطبيعة المخلوقة لله ، لو

استمر الأحياء باستنشاقه ألا ينضب وتتعطل الحياة ؟!

لكن الحكيم الخبير جعل في قانون النبات ألا تتم عملية صنع الغذاء إلا بأخذ ثاني أكسيد الكربون الذي تطرحه الأحياء، وطرح الأوكسجين لتنتعش به الأحياء.

الله أكبر أشهد أن لا إله إلا الله سبحانه من إله حكيم خبير لطيف .

والله لكأني إذا استعرض الإنسان كل المعاني التي فهمها من قوله : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فلن يستطيع تجاوزها إذ يكبّر الإمام راكعًا فما العمل ؟

العمل أيها المبارك هو : أن تكبّر وتركع ولا بد وما تخلف من الفاتحة يتحمله الإمام عن المأموم ما دام قائمًا معه ، ولكن اسمع مني أقول لك :

إن استعراضي معك لمعاني الفاتحة لا يستلزم استغراقك فيها وتقليب النظر في كل ما ذكرته لك .

أردت أن ترد فكرك إذا خرج عن موقفك هذا إلى جزء منها أو إلى خطها العريض ، فهذا يكفي لتنبعث الخشية والخشوع في القلب ويحيلا الصلاة إلى متعة روحية غامرة .

﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ قد ذكرت لك عند قراءة البسملة

توضيح معنى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ولكن ذلك لا يمنع استحضار الشعور برحمة الله الغامرة إذ أكرمك بنعمة الوقوف لمناجاته ، هذا من ناحية ، والناحية الأخرى أن تستحضر الرجاء القوي في رحمته بالتجاوز عن سيئاتك وألا تيأس من شموله لك بعطفه ورحمته مهما كانت ذنوبك التي أقلعت عنها ، فتهب عندها على الروح نسمة تنعش الأمل للفوز بالنجاة ، وحق لك ذلك وأنت تقرأ قوله تعالى : ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ * ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ﴾ [الأعراف : ١٥٦، ١٥٧] ، ثم تحاول أن تحقق من معاني رحمته في قلبك فتكون الرحمة من مظاهر سلوكك على خلق الله ، فالراحمون يرحمهم الرحمن .

﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ أما هذه فقد انطوت على أصلين هامين :

أولهما : تعظيم الرب تبارك وتعالى ، وثانيهما : الخوف من سطوته .

أما التعظيم ، فلأنه يملك يوم الجزاء وهو يوم القيامة ، وتذكر عندها ملكية المخلوقين في هذه الدنيا ومحدوديتها عند مقابلتها بملك الله لذلك اليوم ، والمهم أن يمر في خاطرك ويستقر في قلبك أن لك يومًا

تمثل فيه بين يدي الله وتحاسب على الذرة ، وأدق من الذرة فتتحقق عندك عظمة الله وقدرته ، وتنبعث الخشية والخوف من ذلك اليوم إذا استعرضت أهواله ودواهيه ، فتستعظم موقفك هذا وحق لك أن تستعظمه وأنت تقرأ أو تسمع : ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٧ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٨ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ [الانفطار : ١٦ - ١٩] .

﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم : ٤٨] .

﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء : ٨٨، ٨٩] .

يا له من يوم ! يا له من يوم ! يا له من يوم ، وا ضيعة العمر ، لقد كنا نصلي صلاتنا ولا يخطر ببالنا شيءٌ من هذا إلا نادرًا .

فكم كان الشيطان يلعب بأفكارنا فلا تجدنا إلا وأجسامنا في مكان الصلاة ، وأفكارنا في الأسواق ، في المكتب ، عند الأولاد ، نحل مسائل الحياة ، فلا ننتبه إلا على تكبيرة الإمام راكعًا .

فعسانا أخي أن نكون تعلمنا أن عدونا مخلص في « عمله وواجبه » فهلا تعلمنا منه الإخلاص لواجبنا وأرغمناه .

أقول لك : « حاول وستنتصر بعون الله وتوفيقه على عدوك » .

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ : « تنبيه إلى تجديد التوحيد وتجريده » :

فلا تغفل عن الربط بين الآيات التي تلوتها ، فالله تبارك وتعالى استحق الحمد المطلق لاتِّصافه بصفاتٍ أربع : فمن ذلك كله كونه « رب العالمين » ، « الرحمن » ، « الرحيم » ، « مالك يوم الدين » ، فقد ثبت لديك أن « رب العالمين » ومربيهم هو الله وحده وأنه « الرحمن » وهذا اسم تفرد به وحده ، وأنه « الرحيم » وأنه « مالك يوم الدين » فإلى من يتجه العبد بعبادته وهو بين يدي من ملك هذه الأوصاف جميعًا ، فاستحضار هذه المعاني وترابطها إنما يُهَيِّئُ المؤمن لتجريد عبادته لله وإعلان انضمامه إلى ركب المؤمنين ، فلا تصح صلاته ولو منفردًا إذا قرأ : « نعبد » بقوله : « أعبد » فيشعر بروح الجماعة ويتحدث بلسانها فيقتلع جذور الشرك من نفسه ومن نفوس المؤمنين ويشعر بموضعه الطبيعي على أنه عضو فيهم وجزءَ منهم يصيبه ما يصيبهم : « ومثل المؤمنين ، كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى »[1] .

ولعل مما يقوي ملكة استجماع الفكر وإحضاره لفظة : « إياك

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري (٦٠١١) ، ومسلم (٢٥٨٦) .

نعبد » فهل يخاطب بها إلا الحاضر ، ومنها ينطلق الشعور بإحسان العبادة بقوله ﷺ حين سئل عنه : « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك »[1] وبناءً على ما تقدم نستطيع أن نجمل ما ينبغي أن يحضر في الفكر على النحو التالي :

فهو أولًا : تجديد لتوحيد الله ، فلا يتوجه في عبادة إلا إليه .

ثانيًا : هو إشعار بأن المعبود تباركت أسماؤه مراقب لك شاهد عليك .

وهو ثالثًا : براءة من الكبر ومن الترؤس وشعور بالتواضع ، فهل نحن إلا عبيدٌ له سبحانه يملكنا إيجادًا وإعدامًا ورزقًا ونشورًا .

فهذه الآية دستور شامل لحياة المسلم ، أما الاستعانة ، فهي مشعرة بأن بلوغ رتبة العبادة لا تنال إلا بمعونة من الله للعباد .

فليس بمقدور العبد الوصول إلى رضا الله إلا بتوفيق الله له وهي دفع للمنة على الله بعبادة الله .

﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾ [الحجرات : ١٧] ، فتنزع عن النفس شيطانيتها وأنانيتها برد الفضل بالتوفيق للعبادة إلى الله سبحانه .

---

(١) رواه مسلم (١) .

ذلك :

« وما لم يكن عون من الله للفتى   فأول ما يجني عليه اجتهاده »

وفي ذلك رد على من يحتج على المعاصي بعدم الهداية فتراه إذا قلت له : صلِّ يقول : عندما يهديني الله ، فالله تعالى يقول : ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ [محمد : ١٧] ، وقال : ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَـٰهُمْ هُدًى﴾ [الكهف : ١٣] ، فمن قَبِلَ هداية الله ومنهاجه فقد وضع قدمه على أول الطريق وأصبح بموضع يتعرض فيه لنفحات التوفيق ومن أدار ظهره لله وزعم أن الله لم يهده فهو طالب للهداية في غير مظانها .

❋ الهداية نوعان :

١ – هداية دلالة : وهذه قد يسرها الله للناس جميعًا بإرسال الرسل وإنزال الكتب .

٢ – هداية معونة : وهذه مبذولة لمن قَبِلَ الهداية الأولى ، أما من رد الهداية الأولى فقد أقام بينه وبين هداية المعونة سدودًا وموانع هيهات أن يظفر بنصيب إلا إذا رجع وما مثله إلا كمثل مريض يرفض مراجعة الطبيب ابتداءً ولا يثق بعلم الأطباء ويطلب الشفاء وهو بعيد عن طريق التطبيب هل تراه يشفي ؟!

﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ : « **مطالب العبد** » :

وهذه معاني كبار تحتاج إلى تشمير وجد ، فاليوم يوم الحصاد لمن زرع ، فأما الزرع فهو التعرض لنفحات الله وتجريد توحيده وتجديده بدءًا بوصفه بالكمال المطلق والإقرار بربوبيته ، والإيمان برحمته والإقرار بجبروته ، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ، ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ، ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ إفراد باستحقاق العبادة .

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ والتوجه إليه وحده بطلب المعونة على عبادته هذه كلها حق الله على العبد وهي النصف الذي أشار إليه الرسول الأعظم ﷺ في الحديث القدسي : « قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين : نصفها لي ، ونصفها لعبدي ، ولعبدي ما سأل ، يقول العبد : « الحمد لله رب العالمين » ، فيقول الله عز وجل : حمدني عبدي » الحديث[1] وهو معنى قوله : « سمع الله لمن حمده » ، فالعلاقة واضحة بين ما أشرنا إليه سابقًا من كلامنا من أن العبد مطلوب منه ابتداءً الإقرار بربوبية الله وإحلاله محله اللائق بجلاله من النفس المربوبة له سبحانه ونسب صفات الكمال له وحده . وهذا ما نعنيه بقبول هداية الدلالة مع إضافة وسائلها وقبول تلك الوسائل - الرسل

---

(١) رواه مسلم (٣٨) (٣٩٥) ، وأحمد (٧٨١٩) .

والكتب – فإذا بلغ المسلم قوله تعالى : ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ أحضر في قلبه معنى عظيمًا وهو أن الحق واحد ، وأن الطريق الموصل إليه واحد ، والباطل متعدد الوجوه متعدد السبل معوجها والتعريف الهندسي للمستقيم : بأنه أقصر خط يصل بين نقطتين ، فالعبد هنا يسأل الله « وله ما سأل » تسديد خطاه ، والأخذ بيده للوصول إلى مرضاته ، قال تعالى : ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام : ١٥٣] ، والعبد في موقفه هذا يسأل الله هذه الهداية يناجيه بطلبها فإن لم يضم لهذه المناجاة فقه ومعرفة سبل الغواية فيعزم في الحال على رفضها والتبرؤ منها كان في سؤاله غير صادق ، ومن هنا أجزم بأن من يصلي ويتبنى في حياته منهجًا يغاير منهج الله الذي رسمه لخلقه فهو محروم من هداية الله بل إن صلاته مردودة .

فليت شعري كيف يكون حال أقوام يدعون إلى الماركسية والرأسمالية أو المناهج الأرضية وهم يصلون ، ويستحلون الربا والاحتكار والغش وهم يصلون ولذلك عرّف الحقُّ سبحانه

الصراط المستقيم بإضافته إلى المخصوصين بنعمته وبأنه مغاير لمناهج اليهود والنصارى .

﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ .

فالذين أنعم الله عليهم هم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون .

والمغضوب عليهم هم : الذين عرفوا الحق وخرجوا عنه وعليه .

والضالون هم : الذين لم يعرفوا الحق ولم يطلبوه أو لم يعرفوا الحق وقد طلبوه .

ويستذكر المصلي ويعزم عزمًا أكيدًا على الاستمساك بمنهج الله وبسلوك طريق النبيين والصديقين ، ويعاهد ربه ويوطن نفسه على رفض سبل المغضوب عليهم .

❋ لا تسلك طريق اليهود :

إن المؤمن إذا عرف الحق قَبِلَهُ ولو على نفسه ولو حرمه من بعض المنافع العاجلة وفوَّت عليه فرص الربح الدنيوي ، فإن أصرَّ على رفض الحق رغم تبيُّنه له فقد سلك طريق اليهود فلابد للنجاة من غضب الله من مغايرة هذا النوع من أخلاق المغضوب عليهم وسبلهم ، وهذا المعنى شامل لدقائق الحياة وجلائلها من ملبس ، ومطعم ، ومكسب ،

ولهوٍ كل ما كان من أخلاق أهل الضلال والباطل ، فيعاهد الله وهو في مقامه على التخلي عنه فكل منهج غير منهج أهل النعمة من الرسل وأتباعهم عليه شيطان جني أو إنسي أو كلاهما .

ويؤيد ذلك قول الرسول عليه الصلاة والسلام الذي رواه الدارمي بسندٍ صحيح عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : « خطّ رسول الله ﷺ خطًّا ثم قال : « هذا سبيل الله » ثم خط خطوطًا عن يمينه وخطوطًا عن شماله ثم قال : « هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليها » . فهذا عهد عظيم وميثاق من لم ينتبه له لم ينتفع من صلاته .

❋ طريق النصارى :

إن طريق الحق طريق الآخرة طريق الله يستحق منا أن نفني أعمارنا في معرفته وسلوكه فكما أن أخلاق المغضوب عليهم وفلسفاتهم ومناهجهم متعددة كلها تصد عن الحق وتبعد عنه ، وكذلك الضلال وأهله .

ولا ينقضي عجبي من أناس إذا قصدوا بلدًا شمروا لمعرفة لغة أهله ومناخه وتاريخه وطرقه ومحلاته واصطحبوا معهم الخرائط خوفًا من فشل رحلتهم إن جهلوا شيئًا من خصائص ذلك البلد مع أن مُكْثَهُم به يسير ، وبنفس الوقت تنتظرهم رحلة طويلة تطوي أعمارهم ويطول

المكث فيها إلى ما لا نهاية فإن حركت سواكنهم للتأمل في مسالكها ومخاطرها تقاصرت هممهم وكأنهم من الأمر في سعة .

والمغضوب عليهم : هم اليهود ومن عمل بمثل عملهم وسار على دربهم .

والضالون هم : النصارى ومن عمل بمثل عملهم وسار على دربهم .

ومما يفزع أن معظم المناهج الأرضية اليوم السياسية والاقتصادية والاجتماعية هي من صنع اليهود والنصارى .

فما من نحلة أو فئة يغاير منهجها منهج الإسلام إلا وأستاذها يهودي أو نصراني .

❋ صور الضلال :

والضلال كالجنون فنون ، فضلال العقيدة بفساد أركان الإيمان وتصورات أهله .

وضلال العبادة بصنوف التعبد المردود شرعًا مما لم يأذن به الله .

وضلال الأخلاق وصوره أكثر من أن تحصر أو تحصى .

وضلال المعاملات بإجرائها على خلاف شرع الله ، فالمطلوب من المصلي أن يحضر نفسه ويسألها : هل تفردت وتميزت في طريقها عن طريق الضالين ؟! هل بذلت من الجهد بحثًا عن الحق ما ينبغي ؟!

هذه المناجاة والمحاكاة والمعاتبات للنفس على تقصيرها هي البداية السليمة للحصول على صلاة كما وصفها القرآن الكريم : ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت : ٤٥] .

فقد حوت الفاتحة مقاصد وأهداف القرآن الكريم وكل ما يقرؤه المصلي بعد الفاتحة إنما هو شرح وتوضيح لما حوته هذه السورة ، فقد حوت الفاتحة نظام العقيدة والعبادة ونظام الجماعة ونظام التربية وأكدت أمر التوحيد والبعث والجزاء ومقاصد القرآن تفصيل هذا الإجمال الذي في سورة الفاتحة ولعل هذا هو السر في تكرارها في كل ركعة »[1] .

ويكفيك في تدبر الفاتحة وحدها أن أحيلك على أحد الأئمة الأعلام ألّف كتابًا مكونًا من ثلاثة مجلدات كبار في تفسير آية واحدة من سورة الفاتحة ألا وهو كتاب : « مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين » للعلامة شيخ الإسلام ابن قيم الجوزية رحمه الله وطيَّب ثراه[1] تدبر آيةً واحدةً في الفاتحة ففاضت قريحته بثلاث مجلدات ، فما بالك لو تدبرنا الفاتحة كلها التي قال عنها رسول الله

---

(١) « لذة المناجاة » .

(٢) وأصل الكتاب « المنازل » لشيخ الإسلام أبي إسماعيل الهروي رحمه الله وشرحه ابن القيم في « المدارج » .

ﷺ إنها : « أعظم سورة في القرآن »[١] والتي قال الله تعالى فيها : « قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل ، فإذا قال العبد : « الحمد لله رب العالمين » ، قال الله : « حمدني عبدي فإذا قال : « الرحمن الرحيم » قال الله : أثنى عليَّ عبدي ، فإذا قال : « مالك يوم الدين » قال : مجدني عبدي ، فإذا قال : « إياك نعبد وإياك نستعين » قال : هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل ، فإذا قال : « اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين » قال : هذا لعبدي ولعبدي ما سأل »[٢] واشتملت الفاتحة على مجامع الحمد والثناء والمجد ، ثم على إجابة الله سبحانه لسؤال عبده ، ثم ما بالك لو تدبرنا غيرها من سور القرآن وآياته التي نقرؤها في صلاتنا ؟ فها هو رسول الله ﷺ يقوم ليلة كاملة بآية واحدة يرددها يتدبر فيها[٣] فلو تدبرنا في كلام ربنا سبحانه لخشع منا القلب والجوارح .

---

(١) رواه البخاري (٥٠٠٦) .

(٢) رواه مسلم (٣٨) (٣٩٥) ، وأحمد (٧٨١٩) .

(٣) هذه الآية هي قوله تعالى : ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة : ١١٨] ، وراجع « تفسير ابن كثير » (١٢٥/٢) ، ورواه أحمد (٢١٣٣١) .

❋ الثامن : « القيام » :

لعلك تلاحظ أن القيام أطول أركان الصلاة ، فهو أطول ركنٍ ولذلك فهو أعظمها خطرًا وأبلغها أثرًا ، فأول ما ينبغي تذكره بعد ما يتفرغ المصلي من الشواغل الظاهرة ولفظ التكبيرة يتمثل وقوفه بين يدي الله تبارك وتعالى ، فلا يرفع رأسه عند القيام بل يطرق رأسه إلى موضع سجوده ويلزم قلبه التواضع والتبرؤ من التعاظم والرئاسة ، وليقارن - ولا مقارنة - موقفه هذا بموقفه أمام الملك أو الرئيس أو الأمير ، كم يلزم نفسه من حسن السمت وتقيد الحركة ودقة الانتباه ، وقلة إحداد النظر إلى ذلك المخلوق احترامًا وهيبة ثم لينتقل بفكره حالًا إلى مقامه هذا : بين يدي من هو يقوم ؟ وليسأل نفسه ويحاسبها عن التزامها الأدب التام أمام هذا المخلوق ثم قلة عنايتها بالوقوف في حضرة ملك الملوك .

وليقل لها : يا نفس غدًا تقفين مثل هذا الموقف فماذا أنت قائلة ؟ وماذا سيقال لك ؟

وليذكرها بقول الحق سبحانه : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات : ٤٠، ٤١] ، أي : مقامه بين يدي ربه ، وبقوله تبارك وتعالى : ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن : ٤٦] إن القيام فيه تعظيم لله ومن أجل ذلك كَرِهَ

العلماءُ القيام لأهل الدنيا وعَدُّوه نوعًا من التعظيم الذي لا يليق إلا بالله ولا يجب إلا لله وبه ورد الحديث .

ولذلك كان بعض السلف إذا قام في صلاته امتقع لونه وارتعدت فرائصه ، فقيل له في ذلك ، فقال : أتدرون بين يدي من أقف ، أو قال : أتدرون بين يدي من أنا قائم ؟ أنا قائم بين يدي العزيز الجبار .

وأُثِر عن بعضهم أنه كان في قيامه كأنه جذع شجرة لا حركة له ، فتأتي الطيور فتقف عليه . كل هذا تأدبًا وهيبة لهذا المقام فتأمل يا أخي حالك وأنت تصلح غطاء رأسك ، أو تنظر في ساعتك ، أو تحسب نقودك ، أو تعبث في ثيابك أو في لحيتك وأنت قائم في الصلاة بين يدي العزيز الجبار ، هل تفعل شيئًا من هذا مثلا وأنت بحضرة وزير أو أمير ؟! . .. لا أظنك ، أما وقد علمت فاحذر .

❋ التاسع : « الركوع » :

وينبغى أن يراعي المصلي أن يرفع يديه مع تكبيرة الركوع وأن يضع راحتيه على ركبتيه وأصابعه منشورة موجهة نحو القبلة وأن ينصب ركبتيه ولا يثنيهما وأن يكون ظهره مستويًا وأن لا يكون رأسه أخفض من ظهره ولا أرفع ، وأن يجافي مرفقيه عن جنبيه .

فلا بد من الحرص على هذه الجزئيات لأنها أفعال الصلاة التي

فعلها الرسول الأعظم ﷺ وأمرنا بأن نصلي كما رأيناه يصلي .

والمطلوب في الصلاة اليقظة والانتباه عن الغفلة والاسترخاء وهذه الكيفيات في الركوع لها أسرار ومعانٍ أهمها أنك تشعر وأنت راكع تدير في ذهنك إجادة التأسي بالرسول الأعظم ﷺ في ركوعه ، والجانب العلمي العصري الرياضي هو أن استقامة الركبتين مع استقامة الظهر مع الرقبة والرأس من أهم البواعث على يقظة الأعصاب ونشاطها واشتراك عضلات الجسد بأجمعها في الركوع والخضوع لله تعالى ، وفي حالة عدم إجادة الركوع وضبطه يحس المرء بالاسترخاء والكسل والخمول وهذه كلها تنافي معاني المناجاة المطلوبة .

يبدأ الركوع بالتكبير وقد مَرَّ معنا المعنى العظيم للتكبير والذي موجزه : أن الله أكبر من كل ما في الوجود ونتيجة لذلك تصغر كل الخواطر والهموم إذا فقه القلب هذا المعنى وعند استقرارك راكعًا يتجدد معنى كبرياء الله ويتعاظم شعور العبد بالذل بين يديه فهذه الهامات لم تنحن لغيره ولم تخضع لسواه .

ويرافق اللسان القلب والبدن شاهدًا على عظمة الله بالتسبيح والتنزيه والإعلان – فبقولك – « سبحان ربي العظيم » يستقر في قلب الراكع أن الانحناء سمت تعارف عليه الناس في تعظيم

عظمائهم من البشر ، والتسبيح تنزيه للرب سبحانه وتعالى عن صفات المخلوقين ومادة « سبح » في اللغة تعني الانطلاق إلى الهدف بلا عائق فالمسبح لله قد تحرر من العوائق وانطلق مسرعًا إلى الحقيقة الأزلية إلى الله .

والمصلي يقول : « سبحان ربي العظيم » ولم يقل : « سبحان الله » لأن الصلاة تربية ووصفه سبحانه بالربوبية في مقام الخضوع ينسجم مع هذه العبادة انسجامًا تامًا .

وتثنية التسبيح وتثليثه والزيادة على ذلك توكيد واستغراق بمعاني عظمة الرب تبارك وتعالى ، فإذا فرغ المصلي من ركوعه اعتدل قائلا : « سمع الله لمن حمده » ؛ أي في قراءة الفاتحة وراقبه وهو يسبح بحمده راكعًا فهو تقرير لمعنى « فإن لم تكن تراه فإنه يراك » يا للهول إنه يراك ويسمعك وينصت إليك ومطلع عليك فكيف تغفل وأنت تخاطبه وهو مقبل عليك ، فعلى هذا يكون قولك : « ربنا ولك الحمد ملء السماوات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد أهل الثناء والمجد ، أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد ، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد » .

ويأتي بعد ذلك كله النزول إلى السجود ليتناسب منتهى الذل والتواضع لمن هذه صفاته وهذه عظمته .

❋ **العاشر : الاطمئنان في الصلاة :**

والاطمئنان في الصلاة هو الركن العاشر من أركانها وهو السكون في أداء الصلاة وبه أمر النبي ﷺ الأعرابي في جميع الأركان ، ولما أخل به قال له : ارجع فصلِّ فإنك لم تصلِّ[1] .

وقد رأى النبي ﷺ رجلا لا يتم ركوعه وينقر في سجوده وهو يصلي فقال : « لو مات على حاله هذه مات على غير ملة محمد ينقر صلاته كما ينقر الغراب الدم مثل الذي لا يتم ركوعه وينقر في سجوده مثل الجائع يأكل التمرة والتمرتين لا يغنيان عنه شيئًا »[2] وكان يقول : « أسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته » قالوا : يا رسول الله وكيف يسرق الرجل من صلاته ؟ قال : « لا يتم ركوعها ولا سجودها »[3] فما بالنا وبعض المسلمين نسأل الله العافية يجلس حتى تكاد الشمس أن تغيب ثم يقول : دعني حتى أخطف العصر .

❋ **الحادي عشر : « السجود » :**

ولسان الحال يقول : ما وفيت حقك في الركوع فأنا بين يديك يا مالكي أضع أَعَزَّ ما في جسمي - جبهتي الشامخة على الأرض موضع

---

(١) متفق عليه .

(٢) أورده الألباني في « صفة صلاة النبي » (ص٨٩- ٩٠) .

(٣) رواه أحمد (٢٢٦٣٨) .

الأقدام ، ولن أوفيك حقك فكل ذرة في هذا الكيان من خلقك وصنعك وكل معروف ونعمة منك وحدك لينطلق التسبيح من جديد ، ولكن بصيغة تصف الرب بالعلو مع تمكين الجبهة والأنف من الأرض .

وعندها تُقْتَلَع جذور الكبرياء من نفسه اقتلاعًا ، فلا تعاظم ولا تطاول ، إنها ذلة لله وحده لا سواه ، بل الآن وفي السجود قهر للشيطان وإرضاء للرحمن برد الأمور إلى وضعها الطبيعي فأنت من التراب وإليه تعود فانتهى التزييف وانجلت الحقيقة وصدقت العبودية للمعبود الحق فحين تقول : « سبحان ربي الأعلى » كأنك تقرر في قرارة نفسك أنك مع ما أنت عليه من هيئة التذلل لله والمسكنة أعجز من أن تبلغ التواضع اللائق بعلوه سبحانه وتعالى ، ومن هنا كان : « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد » .

ومن هنا كان دعاء الساجدين لا يرد فأكثر فيه الدعاء فتثنى وتثلّث التسبيح تأكيدًا وإعلانًا فترفع رأسك داعيًا بقولك : « رب اغفر لي » .

❋ **الثاني عشر : « فقه التشهد » :**

فالإنسان الآن بحضرة ربه سبحانه مستقرًا جالسًا .. متمكنًا

فقد مثل دور الجماد في ارتمائه على الأرض فجمع في صلاته خصائص الكائنات وانفرد بجلوسه مستقرًا ، وهل الإنسان إلا جامع في تكوينه لهذه الخصائص الجمادية والنباتية والحيوانية والإنسانية ولكل من هذه الكائنات تسبيح لله وإعلان عن وحدانيته « ولكن لا تفقهون تسبيحهم » .

سبحان الله ما أشقى الإنسان الغافل الذاهل عن هذه الحقائق وما أتعسه إذ يحصر نفسه في خصيصة واحدة من هذه الخصائص وما أكرمه وما أعظمه وهو يمثل ما في الكون ويسيره بأمر الله وصدق الشاعر :

دواؤك فيك ولا تشعر وداؤك منك ولا تبصر
وتزعم أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

❋ التحيات :

ذهب العلماء فيها إلى معانٍ متعددة منها : السلام ، ومنها : البقاء ، ومنها : العظمة ، ومنها : السلامة من الآفات والنقص ، واختار البغوي التعظيم وقال المحب الطبري : « يحتمل أن يكون المراد شمول المعاني المتقدمة جميعًا ، فعلى هذا يكون قولنا : « التحيات » : « السلام ، والبقاء ، والعظمة ، والسلامة مما توصف به المخلوقات فتأمل

في هذه المعاني – فالله هو السلام ومنه السلام وإليه يعود السلام والله هو الباقي ، وهو الأول وهو الآخر وهو الوارث والله هو العظيم .

فلا نسبة بين عظمة الخالق وعظمة المخلوقين المحكوم عليهم بالفناء والزوال والله هو المنزه عن كل عيب ونقص .

❋ الصلوات :

وهي لغة الدعاء واصطلاحًا : العبادة المخصوصة التي نعرفها اليوم ، و وردت هنا بلفظ الجمع إشارة إلى أن كافة أنواع الصلاة من دعاء واستغفار وعبادة إنما الذي يستحقها حقيقة هو الله وحده لا أحد سواه فأنواع القُربِ والطاعات لا يتوجه بها إلا إلى الله فهو سبحانه أهل لها دون سواه .

❋ الطيبات :

وهي ما طاب من الكلام وحَسُنَ أن يثنى على الله به ولعل ما طاب من القول والعمل ينبغي أن يكون لله وحده وهذه إشارة إلى الأعمال الصالحة وضرورة تصحيح القصد فيها .

❋ السلام على النبي ﷺ :

إن مقام القرب هذا الذي نحن به لم يكن ليصل إلينا لولا بعثة النبي محمد ﷺ ، فتحضر في قلبك ووجدانك فضل النبي ﷺ عليك وفضل الأنبياء على أتباعهم .

❋ **السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين :**

وهنا معنى يربط الفرد المسلم بالركب الناجي من الرسل وأتباعهم ممن سعدوا برضوان الله وساروا على نهجه ويكفي الإنسان المسلم شرفًا أنه لم يكن مبتوت الصلة كحال الأشقياء الذين لا يعرفون غير ذواتهم .

ففرق بين نسب المؤمن الموغل في العراقة ، ونسب الملحد الذي لا يشعر بوجوده أحد ولا يسلم عليه أحد .

فأنت حين تُسَلِّم على عباد الله الصالحين وقد ابتدأت بنفسك تنظر موقعك من ركب الصالحين فبقدر ما تملك من مؤهلات الصلاح يحصل لك من بركات الرفقة الآمنة الناجية فيتأصل في النفس حب الصلاح وأهله .

وهل يخذل العبد إلا رفقة السوء وخلان الهوى فكيف برفقة النبيين والصديقين والشهداء .

❋ **تجديد العقد :**

وترى يا أخي بعد ذلك ، أن العقد الذي أكسبك حب هؤلاء الصالحين هو التوحيد ولذلك ترجع لتجدد هذا العقد فتعلن قائلا : « أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله » .

❋ **الشهادة :**

ومعناها : أُقِرُّ وأعترف بأن الله وحده لا شريك له هو وحده المستحق للحب والطاعة لا سواه ، وأن محمدًا عبده ورسوله وهو المصدر الوحيد لما آخُذُ وما أدعُ ، فلا أقبل عزيمة ولا عادة ولا تقليدًا يخالف أمر الله ورسوله ، وتشعر عند هذه الشهادة أنها منهاجك وقانونك ودستورك وعندئذٍ تنجو ويسلم لك التوحيد .

وهذا يذكر بحال السلف وقد كانت لبعضهم كآبة يسميها كآبة الصلاة وقد كان مبعث اكتئابهم هو : أمر النبي ﷺ لأحد الصحابة رضي الله عنهم عندما أوصاه أن يصلي صلاة مودّع ، فربما كانت هذه آخر صلاة إذ كثيرًا ما تختطف الآجال أناسًا على حين غفلة منهم ، فإذا فارق الدنيا بصلاته الناقصة مع علمه أن أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاة فما عذره وما قوله ؟

آهٍ على أناسٍ فارقوا الدنيا ولم يركعوا لله ركعة .. أولئك شر من المجوس ولهذا لا تجوز الصلاة على تارك الصلاة إذا مات .

❋ **الصلاة على النبي ﷺ :**

اختلف العلماء في ركنيتها وذهب أكثر أهل الحديث إلى أنها مندوبة ، بدليل حديث المسيء صلاته حيث علمه الرسول ﷺ . ولم

يطلب منه الصلاة على النبي ﷺ ، بل قال له : « فإذا فعلت ذلك فقد تمت صلاتك » فهذه قرينة صالحة على أن الأمر بالصلاة على النبي ﷺ حكمها السنية ولكن يبدو لى والله أعلم أن تاركها عمدًا يلحقه الذم لقوله ﷺ : « البخيل من ذكرت عنده ولم يصل عليّ »[1] وقد علمت أن آخر كلام المصلي الشهادتان : « أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدًا رسول الله » .

إذن يوصف بالبخل من ذُكِرَ عنده الرسول عليه الصلاة والسلام ولم يصل عليه كما أن جمهرة من العلماء يرون نقصان صلاة من لم يصلِّ على النبي ﷺ ، والصلاة من الله تعالى معناها الرحمة والرضوان ومن الملائكة الدعاء والاستغفار ومن الأمة الدعاء والتعظيم .

❃ لوازم الصلاة على النبي ﷺ :

وينبغي أن يستشعر في قلبه أنه لم يبلغ ما بلغه من القرب من الله والهداية إلى صراطه المستقيم إلا بفضل هذا النبي ﷺ ، فمقامه عظيم ، وقد قلنا : إن صلاتنا عليه دعاءٌ وتعظيم ففيها لفت للقلب إلى طاعته وحبه وتعظيمه وتجنب معصيته و وجوب امتثال أمره إذ كيف

---

(١) رواه الترمذي (٣٥٤٦) وقال : حسن صحيح ، ورواه أيضًا أحمد (١٧٣٨) .

يعقل أن ندّعي حب رسول الله ﷺ وتعظيمه ثم نخالف أمره ؟!
والمحب كما علمت « لمن يحب مطيع » .

أما : « آله » فهم أتباعه عمومًا وأهل بيته خصوصًا .

فالدعاء لهم وتعظيم مقامهم ، ومحاولة التشبث بهم يربط وجدان المسلم بنماذج للكمال البشري الممكن ، فأولى الناس بالرجل أتباعه ولذلك قال الله تعالى : ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾ [آل عمران : ٦٨] ، ومن صلى على النبي وكره أحدًا من أهل بيته أو صحابته الذين مات وهو عنهم راضٍ فقد كذب في صلاته هذه .

ولا نزاع في أن محمدًا ﷺ أفضل الخلق عند الله وأنه أول من تنشق عنه الأرض وأول شافع وأول مشفع وفضائله لا تعد ولا تحصى وإبراهيم عليه الصلاة والسلام قد أتم الله له النعمة ، واتخذه خليلا ، ولاقى في سبيل الله من ضروب التضحية بالأهل والوطن والنفس وإن له لسان صدق في الآخرين .

كما أن محمدًا ﷺ وأمته على ملة إبراهيم حنفاء « مائلين عن الباطل طالبين للحق » فلا يعني ذلك أن المشبه أقل منزلة من المشبه به وهو كما لا يخفي عليك ربط لهذه الأمة بطلائع الحق والهدى من آل إبراهيم المسمى بأبي الأنبياء ، وقد قلت سابقًا : إن أصالة المسلم ضاربة

في أعماق التاريخ .

❁ إنك حميد مجيد :

والحميد هو محمود الفعال مستحق لجميع المحامد .

والمجيد هو المتصف بالمجد وهو كمال الشرف والكرم والصفات المحمودة .

وبارك :

ومعنى البركة الثبوت والدوام أي أدام شرفه وكرامته وتعظيمه .

❁ مم يتعوذ المصلي :

فإذا فرغ من التشهد الأخير يتعوذ من أربع :

١ - من عذاب جهنم .

٢ - ومن عذاب القبر .

٣ - ومن فتنة المحيا والممات .

٤ - ومن شر المسيح الدجال .

❁ بم يدعو :

وللإنسان أن يدعو بما يشاء كدعاء النبي ﷺ : « اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيرًا لي ، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرًا لي ، أسألك خشيتك في الغيب والشهادة ، وكلمة الحق في الغضب والرضا ، والقصد في الفقر والغنى ، ولذة النظر إلى

وجهك ، والشوق إلى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين » . انتهى[1] .

ثالثًا : الأمور التي بعد الصلاة :

الأول : الخروج من الصلاة بالاستغفار :

وهو أن يستغفر ربه ثلاثًا بعد السلام ، والحكمة من هذا الاستغفار أنه يجبر ما قد يقع في صلاة العبد من نقصٍ ثم إن الاستغفار وهو طلب غفران الذنوب من الله تعالى من أفضل أنواع الذكر للإنسان ، وقد سئل أحد العلماء فقيل له : التسبيح أولى أم الاستغفار ؟ فقال : إن الثوب إذا كان متسخًا لا يجدي فيه التبخير والتعطير[2] ، ثم إن بالاستغفار تحل نعم الله تعالى وتكثر عطاياه سبحانه قال تعالى : ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ * وَيَجْعَل لَّكُمْ

(١) « لذة المناجاة » لطايس الجميلي – ط . مكتبة السندس .

(٢) والمعنى : أن الثوب إذا كان وسخًا لا فائدة من تعطيره وتبخيره فإذا ما نَظُفَ فهذا أوان التبخير والتعطير ، ومقصود هذا المثل : أن الإنسان إذا كان ملطخًا بالذنوب ومُدَنّس بالمعاصي فالأولى له حينئذٍ الاستغفار لمحو ذنوبه وتنقية صحيفته ، فإذا استغفر كثيرًا واستغرق استغفاره ذنوبه فحينئذ التسبيح فلكل حالة ما يليق بها .

جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ [نوح: ١٠ - ١٢].

❁ **الثاني**: «ختم الصلاة» أو «الذكر بعد الصلاة»، أو «الباقيات الصالحات»: والذكر بعد الصلاة كما قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: هو بمنزلة مسح المرآة بعد صقالها، فإن الصلاة نور، فهي تصقل القلب كما تصقل المرآة، ثم الذكر بعد ذلك بمنزلة مسح المرآة، وقد ورد في فضل الذكر بعد الصلاة أو «ختم الصلاة» أحاديث منها:

١ - عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله ذهب الأغنياء بالدنيا والآخرة، نصلي ويصلون، ونصوم ويصومون ويتصدقون ولا نتصدق. قال: «ألا أدلك على شيء إن فعلته لم يسبقك أحد كان قبلك، ولم يدركك أحد بعدك إلا من فعل الذي تفعل؟: دبر كل صلاة ثلاثًا وثلاثين تسبيحة، وثلاثًا وثلاثين تحميدة وأربعًا وثلاثين تكبيرة»[1].

٢ - ومنها: «من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت»[2].

---

(١) رواه أحمد (٢١٧٠٣).

(٢) رواه ابن السني (١٢١)، وراجع: «الأحاديث الصحيحة» للألباني (٩٧٢).

❋ **الثالث : مراقبة الله تعالى بين الصلاتين[1] :**

بعدم الاقتراب من الكبائر حتى تكون خاليًا من الذنوب كبارها وصغارها لأن الصلوات مكفرات لما بينهن ما لم تغش الكبائر .

أَرِحْنَا بها يا بلال[2]:

في أعقاب معركة اليرموك الشهيرة وقف قائد الروم يسائل فلول جيشه المهزوم والمرارة تعتصر قلبه والغيظ يملأ صدره والحنق يكاد يذهب عقله : « ويلكم ما لكم تنهزمون أخبروني عن هؤلاء الذين يقاتلونكم ، أليسوا بشرًا مثلكم ؟! قالوا : بلى أيها الملك قال : فأنتم أكثر أم هم ؟! قالوا : بل نحن أكثر منهم في كل موطن . قال : فما بالكم إذن تنهزمون ؟! فأجابه شيخ من عظمائهم : إنهم يهزموننا لأنهم يقومون الليل ويصومون النهار ويوفون بالعهد ويتناصحون بينهم » وصدق والله وهو كذوب فهذه السجايا العظيمة وهذه الخصال الكريمة كانت هي أسباب تلك العزة والمجد التليد كانت هي الأسباب التي صنعت ملحمة الجهاد الكبرى ورسمت أقواس النصر

(١) أضافها شيخي أبو عمار وحيد بن عبد السلام ، رفع الله مقامه .
(٢) « أرحنا بها يا بلال » رياض المسيميري .

الباهرة وأقامت حضارة الإسلام العالمية ومكنت القوم من رقاب عدوهم حتى دانت لهم الأرض وأهلها وأتتهم الدنيا وهي راغمة هذه الخصال الرفيعة هي التي انتقلت بأسلافنا تلك النقلة الضخمة من عتبات اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ، إلى منازل إياك نعبد وإياك نستعين حيث الأرواح المتطلعة إلى السماء والنفوس السابحة في العلياء ، ولكن يا فرحة لم تستمر وبهجة لم تكتمل ، فقد تغيرت الحال وهوت الأمة من عليائها لتستقر في غبرائها وأصبحنا نحن الذين نتساءل اليوم : لماذا نهوى ويرتفع خصومنا ؟! والجواب أيها الأحبة في الله : كيف لا يكون ذلك وقد ضاعت تلك الخصال الرفيعة والقيم السامية وليت الأمر توقف عند ذلك ، ليت الأمر توقف عند قيام الليل الذي أضعناه وصيام النهار الذي افتقدناه ، لهان الأمر وما هو بهيِّن ورب الكعبة ، ولكننا أضعنا ما هو أكثر من ذلك بكثير « الصلاة المفروضة » عماد الدين وركنه الركين أصبحت اليوم محل استخفاف البعض وسخريتهم واستهزائهم وتندرهم ، فهي ضائعة مهملة لدى الكثيرين ، منسية مؤخرة عن وقتها عند آخرين ، تفعل في غير الجماعة لدى الباقين ، وما أشد خوفي والله أن يكون بعضنا قد اقترب كثيرًا من وعيد الجبار جل جلاله : ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾ [مريم : ٥٩] ، وإذا كنا أحبتي الكرام إذا

كنا جادين في محاولة إصلاح الأمة وبعث عزتها من جديد ، فنحن مدعوُّن في هذه العجالة لبحث هذا الموضوع الشائك ومناقشة هذه القضية الجلل ، ومعالجة هذه المسألة المهمة كونها من كبريات القضايا وأمهات المسائل وذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد :

أيها الأحبة في الله ، ولو استعرضنا أحوال الناس ومواقفهم من الصلاة لوجدناهم أصنافًا وأحزابًا كل حزب بما لديهم فرحون :

فأما صنف من الناس :

فقد غرتهم أنفسهم وغرتهم الحياة الدنيا وظنوا أنهم إلى ربهم لا يرجعون ، هؤلاء لا يعرفون للصلاة قيمة ولا وزنًا ، فلا يصلونها بالمرة أو يصلونها أحيانًا ، أو عند المناسبات فقط ، فهم بحاجة والله جِدُّ ماسة إلى تصحيح أصل الإيمان في قلوبهم ، هم بحاجة إلى دعوتهم إلى الإسلام ومحاولة إقناعهم به كغيرهم من الكفار الخارجين عن دائرة الإسلام وإطاره المحدود ومهما كان الحكم قاسيًا ، فهو حقيقة لا تقبل الجدال ولا المناقشة ، فالذي حكم بكفرهم هو الله ورسوله ، فأما الله جل جلاله فيقول : ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ [التوبة : ١١] ، ومفهوم الآية واضح ويعني باختصار شديد : إن لم يقيموا الصلاة فليسوا إخوة لنا في الدين ، أي أنهم مرتدون خارجون عن الإسلام وأهله ، أفهمتم يا من تتركون

الصلاة وتحسبونه هينًا وهو عند الله عظيم وفي القرآن الكريم : ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر : ٤٢ - ٤٨] وما حرمانهم من الشفاعة إلا دليل واضح على كفرهم وردتهم وخسارتهم الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين .

وأما رسولنا ﷺ فقد أعلنها صريحة لا تقبل التأويل فقال عليه الصلاة والسلام : « العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر »[1].

وقال أيضًا : « بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة »[2].

وأما عبد الله بن شقيق العقيلي رحمه الله ورضي عنه فينقل موقف صحابة النبي ﷺ من تارك الصلاة فيقول : « ما كان أصحاب النبي ﷺ يعدُّون شيئًا تركه كفر إلا الصلاة » وهو كما ترى أخي المسلم موقف صارم لا ميوعة فيه ولا تردد ، فترك الصلاة أيها الناس كفر وردّة ، وسفه وجنون ، وأما الذين لا يعرفون ما الكفر وما معناه

---

(١) رواه الترمذي (٢٦٢١) وقال : حسن صحيح ، ورواه النسائي (٤٦٣) ، وابن ماجة (١٠٧٩) .

(٢) رواه مسلم ، وقد سبق .

فالكفر : حجيم لا ينقضي ، وعذاب لا ينتهي ، الكفر : بؤس وعناء ودماء وأشلاء ، الكفر زفرات وآهات ، دموع وعبرات ، ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ * وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ * كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [الحج : ١٩ - ٢٢] .

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [فاطر : ٣٦ - ٣٧] .

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء : ٥٦] .

﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ [الزخرف : ٧٧ ، ٧٨] . فاتقوا الله يا من تتركون الصلاة واعلموا أن هذا مصيركم ما دمتم مُصرّين على تركها متهاونين في أدائها ليعلم تاركو الصلاة كافة أنهم يرتكبون

خطأ قاتلا وتصرفًا مهلكًا يتوقف عليه مصيرهم كله . وأنهم إن لم يتداركو أنفسهم ويكفوا عن عنادهم فهم آيلون لا محالة إلى تلك النهاية البائسة وذلك الليل المظلم وذاك العذاب الدائم المخيف ، ليعلم تاركو الصلاة أنهم لو أنفقوا ما في الأرض جميعًا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب مقيم .

إن ترك الصلاة أيها الحبيب والاستخفاف بها خطأ فادح بكل المقاييس وجناية مخزية بكل المعايير لا ينفع معها ندم ولا اعتذار عند الوقوف بين يدي الواحد القهار .

إننا ندعو هؤلاء بكل شفقة وإخلاص ، ندعوهم والألم يعتصر قلوبنا خوفًا عليهم ورأفة بهم ، ندعوهم إلى إعادة النظر في واقعهم ومجريات حياتهم ، ندعوهم إلى مراجعة أنفسهم وتأمل أوضاعهم قبل فوات الأوان ، إننا ننصحهم بأن لا تخدعهم المظاهر ولا يغرهم ما هم فيه من الصحة والعافية والشباب والقوة فما هي إلا سراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً ، أو كبرقٍ خُلَّب سرعان ما يتلاشى وينطفئ ويزول فالصحة سيعقبها السقم ، والشباب يلاحقه الهرم ، والقوة آيلة إلى الضعف ولكن أكثر الناس لا يتفكرون ليتذكر تاركو الصلاة أنهم صائرون إلى قبورٍ موحشة وحفر مظلمة وأنه لا ينفع ساعتها مال ولا بنون ولا صديق ولا صاحب .

ليعلم تارك الصلاة أن أصحابه الذين غرّوه في ترك الصلاة وإضاعة فريضة الله وزينوا له محاكاتهم وتقليدهم ، ليعلم جيدًا أنه حين يفارقهم فلن يذرفوا عليه سوى دموع التماسيح يعودون بعدها إلى مزاميرهم وطربهم وأنسهم غير مكترثين به ولا بألفٍ من أمثاله إنهم أنانيو الطباع ميتو الإحساس لا همّ لهم إلا أنفسهم وملذاتهم ولو فقدوا الآباء والأمهات فضلًا عن الأصحاب والخلان فاستيقظ يا هذا من غفلتك وتنبّه من نومتك فالحياة قصيرة وإن طالت ، والفرحة ذاهبة وإن دامت : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار : ٦، ٧] ، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ﴾ [الانشقاق : ٦] . الإسلام يا هؤلاء ليس بالأسماء والصور ، وليس بالدعاوي والأماني ، ولكنه قول واعتقاد وعمل ، وأما الدعاوي فستذهب أدراج الرياح هباءً منثورًا لا تزيد صاحبها إلا حسرة وثبورًا .

❋ وصنف آخر من الناس :

يؤخرون الصلاة عن وقتها ، فهم يؤدونها حسب أهوائهم وتتبعًا لأمزجتهم ووفقًا لظروفهم ، فإذا كانوا نائمين أدوها عند الاستيقاظ وإذا كانوا مشغولين أدوها عند الفراغ ، فالصلاة أمرٌ ثانوي في حياتهم ، وشيء ساذج في أذهانهم وما درى هؤلاء الواهمون أنهم

المعنيون بقوله تعالى : ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون : ٤ ، ٥] قال مسروق رحمه الله : « أي لا يفعلون الصلاة في وقتها المشروع » ، وعند البخاري عن الزهري قال : دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكي ، فقلت : ما يبكيك ؟ فقال : لا أعرف شيئًا مما أدركت إلا هذه الصلاة وهذه الصلاة قد ضيعت يعني أخّرت عن وقتها .

فتأمل رعاك الله مشهد صاحب رسول الله ﷺ وعيناه تذرفان ألمًا وحسرة حين أخذ بنو أمية يؤخرون الصلاة عن وقتها ، مما أدمى قلوب الغيورين على الصلاة وأسخن دموعهم وأثار حفيظتهم ومع ذلك كله فقد حرص الأسلاف على أدائها في وقتها المشروع وإن عرضوا أنفسهم لبطش بني أمية وانتقامهم ، فعند عبد الرزاق عن عطاء أنه قال : أخّر الوليد بن عبد الملك الجمعة حتى أمسى فجئت فصليت الظهر قبل أن أجلس ، ثم صليت العصر وأنا جالس إيماءً وهو يخطب » .

وأخرج أبو نعيم من طريق محمد بن أبي إسماعيل قال : « كنتِ بمنى وصحفٌ تقرأ للوليد فأخروا الصلاة ، فنظرت إلى سعيد بن جبير وعطاء ، يُومِأانِ بالصلاة إيماءً وهما قاعدان » كما أخرج عن ابن عمر أنه كان يصلي مع الحجاج فلما أخّر الحجاج الصلاة ترك الصلاة معه »

وهذه آثار عن السلف تبين شدة حرصهم على أداء الصلاة في وقتها بالرغم من شدة بطش الوليد والحجاج بن يوسف الثقفي الذي كان يسفك الدم الحرام بمجرد الشبهة ، فالحالة النشاز التي كان يصنعها بنو أمية لم تجعل فقهاء السلف وعلماءَهم يوافقونهم في شذوذهم ذاك . ولكن حرصوا كل الحرص ، واجتهدوا كل الاجتهاد في حفظ صلاتهم وصونها ورعايتها مع أن حرصهم ذاك كان سيكلفهم حياتهم وأرواحهم ، فأين المؤخرون اليوم للصلاة أين هم عن تلك القمم السامقة والقدوات النادرة ، بل أين هم عن غيرة عمر يوم الخندق ، يوم جاء مغضبًا حزينًا مهمومًا مغمومًا يَسُبُّ المشركين ويقول : « يا رسول الله ما كدتُ أصلي العصر حتى غربت الشمس » . أين هؤلاء من غيرة عمر هذه ؟ أما يسأل الواحد منهم نفسه : ترى ما الذي أهمه ما الذي أغمه ما الذي أضاق صدره وكدّر خاطره وأحزن قلبه وألهب فؤاده ؟ ثم ما الذي جعله يؤخر الصلاة عن وقتها ؟!

ألأنه مشغول بسقي حديقة منزله ؟! أم لأنه مشغول بإصلاح عطل في سيارته أم لأنه مشغول ومُحْرج بضيف ثقيل يتناول الشاي في مجلسه ؟!!

والجوابُ : حاشا لله أن تحول أمور تافهة كهذه بين الفاروق وبين أدائه الصلاة في وقتها المعتاد المشروع ، ولكن شُغْلَهُ الذي شَغَلَهُ هو

الجهاد في سبيل الدفاع عن مدينة رسول الله ، ومع ذلك فهو مغضب محزون مهموم مغموم فقد كان حب الصلاة وحرصه عليها يجري في دمه ، وينبض مع عروقه ، أليس هو الذي يطعن بخنجر أبي لؤلؤة المسموم فيحمل إلى بيته بين الحياة والموت ، فيقولون : يا أمير المؤمنين الصلاة ، الصلاة فيقول : نعم الصلاة ، لاحظ في الإسلام لمن ترك الصلاة[1] . لم ينس المسلمون الصلاة ولم ينسها عمر مع شدة الكرب وهول الفجيعة .

وإن تعجب أخي المسلم من مواقف عمر هذه ، فعجبٌ موقفُ ابن الزبير والحجاج محاصر له في البيت الحرام ويتخلى عنه أكثر أعوانه ، فلا يمنعه ذلك من النهوض إلى مصلاه في كل وقت غير مكترث أو مبالٍ بعدوه الحقود الذي كان يطلب حياته بأي ثمن حتي لو أحرقت الكعبة وسالت أروقة المسجد الحرام دمًا زكيًا .

ولعمر الحق ما ترك ابن الزبير صلاة واحدة في وقتها طيلة حصار الحجاج له حتى هوت عليه قذيفة ألزمته الأرض بعد ذلك .

لقد كانوا يقدرون الصلاة حق قدرها ويرعونها حق رعايتها ويؤدونها في أوقاتها مهما ادلهم الخطب وتأزمت المواقف ولماذا لا

---

(١) رواه الذهبي في « سيرة الخلفاء » (ص/٩٢) .

يؤدونها في أوقاتها وصوت رسول الله ﷺ يجلجل في آذانهم ويصول في قلوبهم وهو يقول كما عند البخاري من حديث بريدة « من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله »[1].

فرحماك يا إلهي من ترك صلاة واحدة حبط عمله فكيف بمن يؤخروا صلاتين أو ثلاث أو أربعة أو خمسة كل يوم ؟!

فاتقوا الله يا من تؤخرون الصلاة عن وقتها وتحسبونه هينًا وهو عند الله عظيم ، فاستيقظوا من سباتكم يا هؤلاء وأفيقوا من أحلامكم وأعتقوا رقابكم من غضب الله وناره وجحيمه ونكاله ، وأما النائمون عن صلاة الفجر والعصر خاصة فعند البخاري وأحمد من حديث سمرة قال عليه الصلاة والسلام في حديث الرؤيا الطويل : « أتاني الليلة آتيان ، وإنهما ابتعثاني وإنهما قالا لي : انطلق ، فانطلقت معهما ، وإنا أتينا على رجل مضطجع وإذا آخر قائم عليه بصخرة ، وإذا هو يهوي بالصخرة على رأسه ، فيثلغ رأسه ، ثم يتبع الحجر فيأخذه ، فلا يرجع إليه حتى يصح رأسه كما كان ، ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل المرة الأولى ، وفي آخر الحديث أُوِّلَ لرسول الله ﷺ هذا الذي يضرب رأسه بالصخرة فقيل له : « هو الرجل يأخذ القرآن فيرفضه وينام عن الصلاة المكتوبة » أرأيت يا من تنام عن الفجر ويا من تنام عن

(١) البخاري (٥٥٣) .

العصر ، أرأيت ما ينتظرك من العذاب وأنت غافل لاهٍ لا تدري ماذا يراد بك ، وماذا يهيؤ لك فاتق الله وألق عن نفسك الكسل والخمول فالمسألة ليست أحاديث صبيان ولا ألاعيب مراهقين ولكنها جِدٌّ ورب الكعبة وإن غدًا لناظره قريب .

❊ وأما الصنف الثالث من الناس :

فهم أقوام حريصون كل الحرص على أداءِ الصلاة في أوقاتها بكل حماس وإصرار لكن حماسهم يخبو وإصرارهم يضعف عن أداء الصلاة مع جماعة المسلمين في المساجد فإبراءً لذمتنا وإخلاءً لعهدتنا أمام الله نسوق إليهم هذه الأدلة الثابتة والحجج الراسخة التي تؤكد وجوب صلاة الجماعة في المساجد وأن من يظن غير هذا فهو يعيش وهمًا كبيرًا ويرتكب خطأً فادحًا وفي مقدمة تلك الأدلة وأبلغها أثرًا ما أوجبه الله تعالى على المجاهدين وهم يخوضون غمار المعركة في أحلك ساعات النزال ما أوجبه الله عليهم من لزوم الجماعة فهو القائل جل وعلا : ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ [النساء : ١٠٢] .

أرأيت أيها المبارك ؟ أرأيت كيف فرض الله الجماعة في أحلك الظروف وأحرج المواقف طائفة تصلي وأخرى تحرس ، ثم تتغير المواقع فالتي كانت في الصلاة تنتقل للحراسة والتي كانت في الحراسة تنتظم في الصلاة جماعة كل ذلك والعدو متربص متحفز قد أقبل بخيله ورجله وقَضِّه وقَضِيضِه تأمل أيها الأخ الكريم بعين الإنصاف والتجرد كيف أوجب الله الجماعة في تلك الظروف العصيبة حيث تخضبت السيوف بدمائها وتطايرت الرؤوس عن أعناقها ، فكيف يكون الحال إذن للآمنين في بيوتهم المطمئنِّين بين نسائهم وذراريهم ندع الإجابة لك أيها اللبيب ولا نحسبك إلا منصفًا تقول الحق ولو على نفسك .

أما الحديث المتفق على صحته ففيه يقول عليه الصلاة والسلام : « لقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام ، ثم آمر رجلًا فيصلي بالناس ، ثم أنطلق معي برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة – يعني لا يشهدون الجماعة – فأَحَرِّق عليهم بيوتهم بالنار » وجاء بصيغة أَحَرِّق لإفادة التكثير والمبالغة يا سبحان الله ، رسول الله الذي وصفه ربه بأنه بالمؤمنين رؤوف رحيم يهم بإحراق البيوت على أهلها حين تخلّفوا عن الجماعة فأي شيء يدل عليه ذلك ؟! إلا كونها واجبة متعينة في المسجد وأن أداءها في البيوت ذنب عظيم وجرم خطير

وخطأ فادح بكل المقاييس كيف لا وقد جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا : « من سمع النداء فلم يأته فلا صلاة له إلا من عذر »[1] وعند أبي داود وابن حبان : « قالوا : يا رسول الله وما العذر ؟ قال : « خوف أو مرض » إذن فليس من العذر في ترك الجماعة يا مسلمون حب الراحة والاسترخاء أو شرب القهوة والشاي ، أو مطالعة الصحف والمجلات ، أو استقبال الضيوف أو توديعهم بل ليس من العذر في ترك الجماعة قراءة القرآن أو الطواف بالبيت الحرام ، وأي عذر لهؤلاء وقد جاء الأعمى إلى رسول الله ﷺ يشكو بعد داره و وعورة طريقه وفقدانه لقائدٍ يلائمه ويسأل رخصة أن يصلي في بيته فيقول له الرؤوف الرحيم : « أتسمع النداء ؟ قال : نعم . قال : « أجب فإني لا أجد لك رخصة »[2] .

أفتكون الرخصة إذن لذوي السمع الرهيف والبصر الحاد ؟ أفتكون الرخصة لمن أحاطت بهم المساجد من كل جانب وذُللت لهم الطرق وعُبّدت لهم الشوارع ؟ سبحانك هذا بهتان عظيم فاتقوا الله أيها الزاهدون في الجماعة ، وتذكروا أحوال أسلافكم وكيف كانوا شديدي الاهتمام بها عظيمي الخوف عليها ، تذكروا موقف الخليفة

(١) رواه الحاكم وقال : صحيح على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي .
(٢) رواه مسلم (٢٥٥) (٦٥٣) .

الشهيد عثمان رضي الله عنه وقد حاصره السبئيون في المدينة يطلبون دمه ويمنعونه من إمامة الناس فلا يمنعه حصارهم إياه وظلمهم له وخروجهم عليه من الصلاة خلفهم حرصًا على الجماعة وإبراءً للذمة ، عند البخاري من حديث عبيد الله بن عدي أنه دخل على عثمان وهو محصور ، فقال له : يا إمام إنك إمام عامة ونزل بك ما نرى ويصلي لنا إمام فتنة ونتحرج فقال رضي الله عنه : « الصلاة أحسن ما يعمل الناس ، فإذا أحسن الناس فأحسن معهم ، وإذا أساؤا فاجتنب إساءتهم »[1].

أيها المسلمون : لقد آن الأوان أن نعيد النظر في أوضاعنا ونصحح مفاهيمنا وأخطاءنا ونقوم سلوكنا وتصرفاتنا ، فنحن أمة خُلِقت لتكون قائدة ، ووجدت لتكون رائدة ، والقيادة والريادة لا تحصلان لأمة ما زالت تناقش أعظم شعائر دينها هل هي واجبة في الجماعة أم لا ؟!! وهي مسألة محسومة منذ زمن طويل محسومة في كتاب الله وسنة نبيه بكل إشراقة ووضوح ، فلماذا يُصِرُّ أقوام على الجدال بالباطل والمدافعة بغير الحق جريًا وراء شذوذات بعض الفقهاء وموافقة لدواعي النفس والهوى ، ألا إنها دعوة إلى عمارة بيوت الله

(١) رواه البخاري (٦٩٥) .

بالذكر والتسبيح وصلاة الجماعة ألا إنها دعوة إلى الجنة ومراكب من التقى والعمل الصالح والتوبة النصوح والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

❁ وأما الصنف الرابع من الناس :

فهم أناس فُضَلاء وقوم عقلاء أدركوا أهمية الصلاة وآمنوا بوجوبها ولزومها فحافظوا عليها في أوقاتها مع جماعة المسلمين بكل قناعة وإقبال ولكنهم وللأسف الشديد يفتقدون الخشوع في صلاتهم فيؤدونها بطريقة آلية وحركات اعتيادية دون استشعار لروحها أو تذوق لجمالها أو إدراك لمراميها أو استحضار لهيبة الموقف بين يدي الله جل جلاله فلا غرو إذن والحالة هذه أن تجد التناقض صارخًا في تصرفاتهم ، والأثر الإيجابي محدودًا في حياتهم ، فلربما جاهر بعضهم بذنوبه واستعلن بأخطائه وعاقر شيئًا من الكبائر وهنا تبرز علامات استفهام محيرة ترى ألم يقل الباري جل جلاله : ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت : ٤٥] ، فما بال هؤلاء لم تنههم صلاتهم عن الفحشاء والمنكر ؟ ما بالهم على سبيل المثال : يعقون والديهم ، ويقطعون أرحامهم ، ويظلمون أزواجهم ويسيؤون الجوار ، ما بالهم يغشون في بيعهم وشرائهم ، ويكتمون عيوب السلعة ، ويخفون زيفها ونقصها ، ما بالهم يسلبون

أعراض الناس ، ويمارسون الغيبة والنميمة والكذب ما بال هؤلاء جميعًا لم تنههم صلاتهم عن الفحشاء والمنكر ؟! أليس الله يقول : ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ فأين مكمن الخطأ يا ترى ؟!

❋ والجواب أيها المسلمون :

أن الصلاة التي قصدها الله وأخبر بأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر ليست هي الصلاة التي يصليها هؤلاء المذنبون المصرون على منكراتهم وفواحشهم ومعاصيهم ، الصلاة التي قصدها ربنا ليست هي التي يصليها كثير من الناس اليوم والتي لا تعدو كونها مجرد حركات وتنقلات وتمتمات وتفوهات لا روح فيها ولا حياة ولا طمأنينة ولا خشوع ، ولا سكينة ولا خضوع ، فالذهن في شرود والقلب في غفلة ، والنفس في حيرة ، والبصر في جولة ، والجوارح في عبث يقف أحدنا في صلاته لا يدري كيف وقف ولماذا وقف وبين يدي من يقف ، ويدخل أحدنا صلاته فيتذكر كل شيء إلا الصلاة ، ويعي كل شيء إلا الصلاة ، ويفكر في كل شيء إلا الصلاة ، فقل لي بربك ما قيمة صلاة كهذه وأي أثر يرجى من ورائها ، وكيف يمكن أن تنهى صلاة كهذه عن الفحشاء والمنكر والإثم والبغي والعدوان ، أجيبوا أيها المصلون .

أيها المسلمون : إن الصلاة التي قصدها الله ، وأخبر بأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر تختلف كثيرًا كثيرًا كثيرًا عن صلاتنا هذه الصلاة التي قصدها الله هي الصلاة الخاشعة الخاضعة التامة الكاملة التي يقدرها المصلي حق قدرها ويحسب لها ألف حساب ويحمل لها في قلبه أعظم مكانة ويبدأ استعداده لها واهتمامه بها من حين دخول وقتها وشروعه في التطهر لها ، إنها الصلاة التي يستجمع فيها المصلي قلبه وقالبه وإحساسه وشعوره ويعرف بين يدي من يقف ومن يناجي ومن يخاطب ولمن يركع ويسجد ثم الصلاة التي قصدها الله هي صلاة محمد ﷺ وأصحابه الأماجد وأتباعه الأفاضل ففي الأثر عن عائشة رضي الله عنها : « كان عليه الصلاة والسلام يباسطنا ويمازحنا ويحدثنا حتى إذا حانت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه وليس أحد أعرف بالله من رسوله ونبيه » « وقال مُطَرِّف بن عبد الله عن أبيه رأيت النبي ﷺ يصلي وفي صدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء »[1] .

وكان أبو بكر رضي الله عنه إذا قام إلى صلاته كأنه وتد من الثبات والخشوع وكان إذا جهر فيها بالقراءة خنقته عبرته من البكاء .

وأما عمر رضي الله عنه وما أدراك ما عمر كان إذا قرأ لم يكد يسمع من خلفه من الشهيق والبكاء فعند البخاري عن عبد الله بن

(١) رواه أبو داود والنسائي وجماعة ، وقال ابن حجر : إسناده قوي .

شداد قال : سمعت نشيج عمر وأنا في آخر الصفوف يقرأ : ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف : ٨٦] . وكان الإمام على رضي الله عنه إذا حانت الصلاة يضطرب ويتغير ، فلما سئل عن ذلك ما بالك يا إمام قال : لقد آن أوان أمانة عرضها الله على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملتها أنا .

وكان عليٌّ بن الحسين العابد الزاهد كان إذا توضأ اصفر لونه وتغير ، فقيل له في ذلك ، فقال أتدرون بين يدي من أريد أن أقف .

وكان عطاء بن أبي رباح كان يقوم إلى صلاته فيقرأ مائتي آية من سورة البقرة لا يزول منه شيء ولا يتحرك .

هكذا كانت صلاة القوم فهل تشبهها صلاتنا اليوم ؟! يأتي أحدنا المسجد وقلبه مشغول بمشاغل الدنيا وهمومها مشحون بها وزخرفها وبهرجها وفتنتها وزينتها فيصطف خلف الإمام فلا يدري ماذا يقول هو أو ماذا يقول الإمام ، ولا يشعر إلا وقد انقضت الصلاة وانتهت المناجاة فيخرج كما دخل ، ويدخل كما خرج فلا نفس اطمأنت ولا قلب خشع .

أيها الأحبة في الله : إن قضية الخشوع في الصلاة قضية بالغة الأثر عظيمة الشأن فحين ذكر الله أوصاف المؤمنين كان الخاشعون على رأس القائمة وفي مقدمة الصفوف واقرأ إن شئت : ﴿قَدْ أَفْلَحَ

ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴾ [المؤمنون : ١، ٢] ، أما الحديث الصحيح الذي رواه الحاكم ففيه ما يحرك النفوس ويأجج الحماس إلى طلب الخشوع بأي ثمن فعن عقبة مرفوعًا : « ما من مسلم يتوضأ فيسبغ الوضوء ، ثم يقوم في صلاته ، فيعلم ما يقول – أي يعي ويتدبر – إلا انفتل كيوم ولدته أمه – أي خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

ولقد شَدَّد أسلافنا أحبتي في الله في الإنكار على أولئك النقارين الذين ينقرون صلاتهم ويعبثون بجوارحهم ويجرحون فريضتهم ، فقد أنكر حذيفة رضي الله عنه على رجل لا يخشع في صلاته ولا يتم ركوعها وسجودها فقال : يا هذا لو مت على هذه الصلاة لمت على غير الفطرة[1] وكان عمر رضي الله عنه يقول : إن الرجل ليشيب عارضاه في الإسلام وما أتم لله صلاة ، قيل : وكيف ذلك يا أمير المؤمنين ؟ قال : لا يتم خشوعها وخضوعها .

وأما نبينا عليه الصلاة والسلام ، فحسبك قوله[2] : « إنما يكتب للعبد من الصلاة ما عقل منها » .

---

(١) رواه البخاري .

(٢) حسبك : أي كافيك .

شبهات لأهل هذه الأصناف الأربعة

أيها المبارك . . .

اعلم أن أصحاب الأقسام الأربعة المذكورة سابقًا لكل منهم شُبَهٌ يتشبث بها وحجج يتعصب لها لينصر وجهته ويؤيد طريقته ونحن نعرض شبه كل فريق ونبين الحق إن شاء الله تعالى بكل إنصاف وموضوعية فنقول :

❋ شبهات الصنف الأول « التاركون للصلاة » :

فأما التاركون للصلاة فقد زين لهم الشيطان أعمالهم وصدهم عن السبيل ، وقذف في قلوبهم الشبهة تلو الشبهة حتى صور لهم الصلاة أنها مظهر من مظاهر التخلف والرجعية والبلاهة والسذاجة ونسي هؤلاء المساكين وللأسف الشديد أن أكثر دول العالم حضارة ومدنية قد أخذت تنتشر فيها المساجد وترتفع فيها المآذن حتى بلغت في الولايات المتحدة الأمريكية قرابة أربعة آلاف جامع ومسجد ، بل وحتى في المطارات الدولية وفي أمريكا أيضًا بدأت تفتتح فيها المساجد بشكل رسمي وتحت رعاية الدولة ، ففي الآونة الأخيرة تم افتتاح مسجد في قلب المطار الدولي لمدينة « دنفر » الأمريكيَة ولا توجد عاصمة من عواصم أوربا شرقيها وغربيها إلا والمساجد قد ارتفعت

مآذنها وشرعت أبوابها ، وأخذت تشهد إقبالا يفوق الوصف من الأوربيين وغيرهم ، وحسبك أن تعلم أخي الكريم أن جامع مدينة « لندن » على سبيل المثال تقام فيه صلاة العيد عدة مرات مع كبر مساحته وتعدد طوابقه لكثرة الزحام وشدة الإقبال فأي شيء يعنيه هذا الكلام وأي شيء يعنيه إقبال تلك الأمم المتحضرة على الصلاة ؟! فلماذا السباحة بعكس التيار ألا قليلا من الموضوعية ، ألا قليلا من الإنصاف أصلح الله قلوبكم .

ومن حججهم الغريبة في ترك الصلاة أن يحتج بعضهم بأنه لا يزال شابًا والفرصة متاحة والأيام قادمة يجيبك ، بهذا المنطق الأعوج بلسان حاله أو بلسان مقاله ، فالصلاة في نظره شأن العجائز والشيوخ ، ويا حسرة على العباد ، فقد نسي هؤلاء المغترون بشبابهم أن الموت لا يعرف الاستئذان ولا يفرق بين صغير ولا كبير ولن يترك بيت مدر ولا وبر إلا دخله بعز عزيز أو بذل ذليل ، ولو سألنا كل واحدٍ منا عن الشباب الذين يعرفهم ممن اختطفهم الموت وحلَّ بساحتهم الأجل لنبّأنا من ذلك نبأ ، ولقَصَّ علينا منه قصصا ، ونحن نعرف العشرات ممن اختطفهم الموت وهم في عنفوان قوتهم وريعان شبابهم وفي أوقات وأزمنة لا يخطر الموت لهم على بال ، فأحدهم يسقط ميتًا في قاعة الدراسة ، وآخر محترق بفعل صاعقة أردته قتيلا ، وثالث ، ورابع

وخامس ، فاتقوا الله أيها الشباب ولا يغرنكم سواد شعوركم ونضارة وجوهكم فإن أجل الله لآتٍ طال الزمان أو قصر والسعيد من وُعِظَ بغيره . أيها المسلمون وقريب من هؤلاء صنف آخر يسوفون الصلاة ويماطلون في التوبة ويقول قائلهم : سأصلي ابتداءً من الجمعة القادمة لأنه يوم فضيل أو مع بداية رمضان لأنه شهر الخير والبركة ، أو مع مطلع السنة الجديدة لأفتح صفحة بيضاء ونحو تلك المواعيد العجيبة ويا سبحان الله ألهذا الحد تلاعب بك الشيطان ، ألهذا الحد بلغ بك طول الأمل ، من أعطاك ضمانًا بأنك ستعيش إلى الجمعة القادمة ؟!

أو إلى رمضان ، أو إلى العام الجديد ، وهل هذه عبارة عقلاء ، أو منطق فطناء ، ألم تسمع إلى قول مولاك وهو يحذرك أمثال تلك الأوهام ، ويعلنها صريحة مدوية : ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان : ٣٤] إن أخشى ما أخشاه عليك أن تكون كحال أولئك الأعراب الذين ظل رسول الله ﷺ يدعوهم إلى الإسلام ، فيقولون : ننظر ، فإن انتصر محمد على قومه أسلمنا فمات بعضهم قبل أن ينتصر محمد عليه الصلاة والسلام ، فخسروا الدنيا والآخرة بسبب تسويفهم ومماطلتهم ، ألا ذلك هو الخسران المبين .

ومن شبه بعض تاركي الصلاة : احتجاجهم بالقدر ، فيقول

قائلهم : إن الله قدَّر عليَّ ألا أصلي ، ولو أراد ليَ الصلاة لصليت ، والاحتجاج بالقدر على الذنوب والمعاصي مصيبة خطيرة وإساءة ظن بالله جل جلاله ، وضحك على النفس ، ونحن نناقش هذا المحتج بالقدر بكل هدوء وعقلانية ونسأله : ترى لو أردت أولادًا ، فهل تنتظر الأولاد من غير زواج ؟! أو تقول : لو كتب الله ليَ الأولاد فسيأتوني من غير أن أتزوج هل يمكن أن تقول هذا الكلام ؟

ترى لو كان هناك طالب في مدرسته أو جامعته يريد أن ينجح في الامتحان من غير مذاكرة أو جهد ، ويقول : إن قدَّر الله ليَ النجاح فسأنجح هل تقول بأنه عاقل ؟! أم لا بد من فعل الأسباب ؟ إذن الصلاة كذلك لا يحتج على تركها بالقدر ، فالله وهبك إرادة وأعطاك قدرة وأمرك بها ، فكان لزامًا أن تبذل السبب وأن تحرص عليها وتبادر إليها وإلا فاعلم جيدًا أن الخاسر الوحيد هو أنت ولن تضر إلا نفسك ، وسيظل الشيطان يضحك عليك ويسخر منك ويزين لك أمثال هذه الأعذار الواهية حتى إذا حانت ساعة الجد قال : إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين .

ومن شبه هؤلاء أيضًا : أن يقول قائلهم : إن لديَّ بعض المعاصي وفعل الصلاة لن ينفعني أو كيف أصلي وأنا متلبس ببعض الكبائر ؟!

والجواب : يا هذا أن الخطأ لا يلاحق بخطأ مثله ولا يصلح بخطأ مثله ، فليس هناك معصوم عن الخطأ إلا من عصمه الله من الأنبياء والمرسلين ، وكل الناس لهم ذنوب وخطايا ولو كان لا يصلي إلا من سَلِم من الذنوب لما صلى أحد سوى الأنبياء ، وفعل الصلاة والمداومة عليها هو الطريق الأمثل للتقلل من الذنوب وحصرها في أضيق نطاق وهو السبيل الأقوم لتخفيف السيئات وأثرها المشؤوم بل والقضاء عليها تمامًا مع التوبة النصوح قال الله جل جلاله : ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ [هود : ١١٤] ، وقال عليه السلام : « وأتبع السيئة الحسنة تمحها »[١] ، ثم لم كل هذا اليأس من رحمة الله وهو يناديك وإياي والآخرين : ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر : ٥٣] فتب إلى الله يسامحك الله وبادر إلى الصلاة يوفقك الله واعلم أن كل هذه الحجج من كيد الشيطان ووسوسته ، ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [فصلت : ٣٦] .

ومن الشبه أخيرًا لدى هؤلاء : دعواهم بأن التقوى محلها القلب

---

(١) رواه الترمذي وقال : حسن .

والمهم هو الأخلاق وحسن المعاملة وسلامة النية وهذه حيلة إبليسية أيضًا أوهم من خلالها تارك الصلاة بأن الأخلاق أهم المهمات وأولى الواجبات وصرفهم عن العبادة وأداء الواجب المفروض ونقول : مهلا يا هؤلاء فليس الإيمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدّقه العمل فلا بد من العمل لا بد من الصلاة والحج والصوم وشعائر الإسلام كلها ولو كان التصديق كافيًا للنجاة لكان الشيطان في عداد الناجين وزمرة المتقين لأنه كان مصدقًا بالله في قلبه فهو القائل : ﴿رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الحجر : ٣٦] ، وبعض النصارى وأمثالهم من الكفار عندهم طيبة وحسن معاملة فبناءً على الوهم الزائف فإنهم سيدخلون الجنة لا محالة ، ولعمرك إن هذا لهو الضلال المبين . أيها المسلمون .

❋ شبهات الصنف الثاني : « المؤخرون للصلاة » :

فأكثر ما يدفعهم إلى ذلك هو الكسل والهوى ، والاستخفاف بشأنها وعدم المبالاة بأمرها وهم مع ذلك يتحججون بحجج داحضة وأعذار واهية ، فقد يتحججون بالنوم أحيانًا وخصوصًا المتخلفون عن صلاة الفجر ويرددون حديث : « رفع القلم عن ثلاثة : ... والنائم حتى يستيقظ »[1] والنوم أيها المسلمون ليس بعذر والله إلا لرجل بذل

---

(١) صحيح ، رواه أبو داود (٤٣٩٨) ، وابن حبان (١٤٩٦) ، وابن ماجة (٢٠٤١) ، والإرواء (٢٩٧) .

الأسباب وهيأ السبل كي يقوم للصلاة فغلبته عيناه يومًا من الدهر ، أما أن يعتاد النوم عن الصلاة كل يوم ويظن نفسه معذورًا فهو يعيش وهمًا كبيرًا كبيرًا ويخادع نفسه أما الله جل جلاله فهو أجل وأعظم من أن يخادع من أمثال هؤلاء فاتقوا الله أيها النائمون ودعوا عنكم أحلامكم الفارغة وأمانيّكم الباطلة فإن الله يمهل ولا يهمل وإذا أخذ فإن أخذه أليم شديد .

ومن الوسائل والسبل الميسرة للقيام لصلاة الفجر :

١ - أن ينام على وضوء وألا يكثر من الطعام .

٢ - أن يقرأ أذكار النوم .

٣ - أن ينام مبكرًا حتى يشبع من النوم ويتمكن من القيام للفجر .

٤ - إن كان نومه ثقيلًا كلَّف بعض الأهل بإيقاظه أو بعض الإخوان بالمرور عليه في الفجر أو الاتصال به هاتفيًا بدون مكالمة فقط لمجرد سماع صوت الهاتف سوف يستيقظ .

٥ - وضع ساعة « منبه » عند رأسه وضبطه على صلاة الفجر .

٦ - والأهم من كل ما سبق هو أن يدعو الله تعالى أن يوفقه للقيام في صلاة الفجر فإنك لولا توفيق الله لك لما تمكنت من فعل طاعة .

وقد اعتنى سلفنا الصالح بالمواظبة على شهود صلاة الجماعة وبصفة خاصة صلاة الفجر التي حظيت منهم بكبير الاهتمام ، وذلك لنيل ثوابها الجزيل ومن مظاهر اهتمامهم بدت هذه الصور المشرفة :

فعن عنبسة بن الأزهر قال : « تزوج الحارث بن حسان رضي الله عنه ، وكانت له صحبة ، فقيل له : أتخرج وإنما بنيت بأهلك في هذه الليلة ؟! قال : « والله! إن امرأةً تمنعني من صلاة الغداة في جمع لامرأة سوء »[1] .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه قال في مرضه الذي مات فيه : « ألا احملوني » فحملوه فأخرجوه ، فقال : « اسمعوا وبلغوا من خلفكم : حافظوا على هاتين الصلاتين : العشاء ، والصبح . ولو تعلمون ما فيهما لأتيتموهما ولو حبوًا على مرافقكم وركبكم »[2] .

وعن سعيد بن المسيب أنه اشتكى عينه فقالوا له : لو خرجت - يا أبا محمد - إلى العقيق فنظرت إلى الخضرة لوجدت لذلك خِفّة . قال : « فكيف أصنع بشهود العتمة والصبح - يعني أنه لا يتحمل فوات أجر صلاتي العشاء والفجر في جماعة حتى ولو من أجل عينيه![3] .

---

(١) رواه الطبراني كما في « المجمع » (٢/٤١) ، وقال الهيثمي : « وإسناده حسن » .
(٢) رواه ابن أبي شيبة (١/٣٦٧) . (٣) « الطبقات الكبرى » لابن سعد (٥/١٣٢) .

وقد كان أئمة المسلمين من أشد الناس حرصًا على شهود رعيتهم صلاة الفجر ، فهذا عمر رضي الله عنه يفقد رجلا في صلاة الصبح ، فأرسل إليه ، فجاء ، فقال : « أين كنت ؟ » فقال : كنت مريضًا ولولا أن رسولك أتاني لما خرجت . فقال عمر : « فإن كنت خارجًا إلى أحدٍ فاخرج للصلاة »[1] .

وكان عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه يوقظ الناس بنفسه لصلاة الفجر ، فكان رضي الله عنه يَمُرُّ في الطريق مناديًا : « أيها الناس! الصلاة الصلاة »[2] .

ولذا كان في الأمة أمثلة تحتذى فهذا أبو الأشعث ربيعة بن يزيد – وكان مولي لأبي سفيان بن حرب – قال : « ما أذن المؤذن لصلاة الصبح منذ أربعين سنة إلا وأنا في المسجد إلا أن أكون مريضًا أو مسافرًا »[3] .

والأمثلة في مواظبة سلفنا الصالح على صلاة الجماعة أكثر من أن تحصر[4] .

---

(١) رواه ابن أبي شيبة (١/٣٧٩) .

(٢) « الطبقات الكبرى » (٣/٣٦- ٣٧) لابن سعد .

(٣) نقلًا عن « أهمية صلاة الجماعة » (ص٧٥) لفضل إلهي بواسطة « الفضائل العشر » (ص٣٨) .

(٤) المصدر السابق .

ومن أعذار هذا الصنف من الناس : اعتذارهم بالوعكة والمرض . فما أن يقع أحدهم مريضًا إلا ويمنح نفسه إعفاءً ذاتيًا من الصلاة وإجازة مفتوحة إلى حين الشفاء وهذا خطأ كبير وجُرم خطير ، فحرام ، حرام ، حرام أن يدع المريض صلاته ما دام له عقل يعقل به وشعور بمن حوله وواجب عليه أداء الصلاة لوقتها حسب استطاعته وقدرته لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها وفي الحديث الصحيح قال عليه السلام : « صلِّ قائمًا ، فإن لم تستطع فقاعدًا ، فإن لم تستطع فعلى جنب »[1] .

فيال جلالة الإسلام ويال سماحته ولينه ، ويال سموه وعلوه أيها المسلمون .

ومن أعذارهم في تأخير الصلاة : الاعتذار بالسهر خصوصًا عندما يركبون الطائرة في رحلات طويلة فيندر أن ترى من يقوم إلى الصلاة ومانعهم من ذلك الحياء أو اللامبالاة وغاب عن هؤلاء المسافرين حتمية أداء الصلاة لوقتها سواء ركبوا البحر أم ركبوا الفضاء ولئن شرع لهم الجمع بين الصلاتين في وقت إحداهما فذلك من فضل الله لكن الكارثة والمصيبة في تفويت كلا الوقتين وتلك والله قاصمة الظهر .

---

(١) رواه البخاري وأبو داود (٨٧٨) .

شبهات الصنف الثالث « المفرطون في الجماعة » :

فلهم حججهم أيضًا لكنها لا تسمن ولا تغني من جوع فمن ذلك .

احتجاجهم بالإنهاك والتعب خصوصًا حين يأتون من أعمالهم ظهرًا أو قبيل العصر بقليل فيدخلون بيوتهم دون مبالاة بصلاة الجماعة التي تكون قد أقيمت أو كادت تقام ، وعجيب حال هؤلاء لا مانع لديهم من مكابدة العمل طول ساعات النهار ، ثم حين تأتي الصلاة بدقائقها الخمس تخور قواهم وتنهار عزائمهم فأين العدل يا مسلمون ، سبحانك ربي ما أحلمك .

ومن أعذارهم في ترك الجماعة : الحديث المشهور الذي يحفظونه عن ظهر قلب : « إذا وُضِعَ العشاء وأقيمت الصلاة فابدأوا بالعشاء »[1]. وهذا الاحتجاج لا بأس به لو حصل قدرًا يومًا « ما » من غير قصد أو تعمد لكن أن يتخذ المسلم ذلك عادة وديدنًا له ، فإذا نودي للصلاة أحضر طعامه وشرابه فهذا احتيال ومخادعة لا ينطلي على العزيز الحكيم .

ومن أعذارهم في ترك الجماعة : الاحتجاج بحديث : « صلاة الرجل في الجماعة تزيد على صلاته في بيته وسوقه بسبع وعشرين

(١) رواه البخاري (٦٧١) .

درجة » فيقولون : المسألة مسألة أفضلية وليست مسألة وجوب ، ونسي هؤلاء الواهمون أن ذكر الأفضلية لا يعني سقوط الجماعة فضلا عن كون الحديث محمولا على من تخلّف عن الجماعة لعذر كأن ينام عن الصلاة بلا تفريط أو ينساها بلا تفريط أيضًا قال عليه السلام : « من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها لا كفارة لها إلا ذلك »[1]، أو يكون في طريقه إلى الجماعة فوجدهم خارجين فعاد فصلاها في بيته أو سوقه ، ثم أين هؤلاء من عشرات الأدلة التي توجب الجماعة وتؤكد حتميتها فيضربون بها عرض الحائط ، ويتشبثون بحديث كهذا له ألف تأويل وتأويل .

ومن أعذارهم في ترك الجماعة : اعتذارهم بمشاغل البيت ومطالب الوالدين وحاجات الأهل والأسرة ، وربما ردد بعضهم قوله عليه الصلاة والسلام : « خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي »[2] .

والجواب : أن القيام بحاجات البيت وحقوق الوالدين من أعظم المعروف وأفضل البر لكن ليس على حساب الصلاة جماعة فعند البخاري من حديث الأسود قال : « سألت عائشة ما كان رسول الله

---

(١) رواه البخاري (٥٩٧) ، ومسلم (٦٨٤) (٣١٤) .

(٢) صحيح : رواه الترمذي (٣٨٩٥) ، وأبو داود (٤٨٩٩) ، والدارمي (٢٢٦٠) .

ﷺ يصنع في بيته ؟ قالت : كان يكون في مهنة أهله - يعني في خدمتهم - فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة » فحاجات البيت أيها المسلمون لها وقتها وفريضة الله لها وقتها أيضًا .

وأخيرًا ربما احتج بعض المسافرين بالسفر لترك الجماعة والحق أنه ليس بعذر ففي حديث مالك بن الحويرث عند البخاري : أمره عليه عليه الصلاة والسلام لمالك ولصاحبه أن يؤذنا ويقيما ويصليا جماعة إذا كانا مسافرين » .

قال العلامة محمد بن إبراهيم[1] : وجوبها لا يختص بالحضر ، والنبي عليه الصلاة والسلام حافظ عليها حضرًا وسفرًا » .

وقال العلامة ابن باز في تعليقه على فتح الباري : والصواب وجوب الجماعة حضرًا وسفرًا .

وقال العلامة ابن عثيمين : الواجب أن يصلي المسافر وغير المسافر مع جماعة المسلمين .

* * *

(١) مفتي الديار السعودية الأسبق ، رحمه الله .

برقيات عاجلة لمن يهمه الأمر من المسلمين

أيها الحبيب : هذه برقيات عاجلة ومواعظ سريعة علها تجد آذانًا صاغية وقلوبًا واعية لمن يهمه الأمر .

❋ البرقية الأولى : « للآباء الأفاضل » :

اهتموا بارك الله فيكم بأولادكم ومروهم بالصلاة ولا تيأسوا من روح الله ، ثم يجب أن نتجاوز يرحمكم الله مرحلة : صلوا يا أولاد ونحن سائرون إلى المسجد ، إلى مرحلة الدعوة والإقناع وجهًا لوجه ، وإلى مرحلة الحوار الهادئ والنقاش الموضوعي الجاد فإن نفع ذلك وإلا فهجر جميل .

❋ البرقية الثانية : « إلى الطالب المغترب »[1] :

اعلم وفقك الله أن كون المحاضرات في وقت الصلاة لا يعفيك من أداء الصلاة لوقتها وإلا أصبح بقاؤك هناك مع عدم قدرتك على إقامة شعائر دينك أصبح محل نظر واللبيب بالإشارة يفهم .

❋ البرقية الثالثة : « إلى لاعبي الكرة في الحارات » :

اعلموا وفقكم الله أن ممارسة الرياضة أمر لا بأس به ما دام خاليًا

(١) المقصود بالمغترب هو الذي يدرس في بلاد الكفار كأوربا وأمريكا .

من المحاذير الشرعية لكن استمرار اللعب إلى أذان المغرب تمامًا قد يحرمكم من إدراك الجماعة في المسجد نظرًا لحاجتكم أحيانًا لتغيير ملابسكم وتجديد وضوئكم فيا حبذا لو توقفتم عن اللعب قبيل الأذان بوقت كافٍ لتدركوا الجماعة مطمئنين .

❋ **البرقية الرابعة : « لمن يهمه الأمر » :**

اعلم بارك الله فيك أن تارك الصلاة كافر مرتد يجب استتابته وإلا قتل ، فلا يزوج بمسلمة وإذا ترك الصلاة بعد الزواج فإن النكاح ينفسخ ، وإذا مات لا يغسل ولا يكفن ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين ولا يدعى له بالرحمة ولا تحل ذبيحته ولا يرث ولا يورث ولا ولاية له على أحدٍ من بناته . ولا حضانة له على أحدٍ من أولاده .

❋ **البرقية الخامسة : « إلى من يهمه الأمر أيضًا » :**

اعلم بارك الله فيك أن للصلاة شروطًا لا يجوز الإخلال بها وبناءً عليه فإن لبس الثوب الشفاف المظهر للفخذين مبطل للصلاة ، والصلاة لغير القبلة مع عدم التحري لها مبطل لها أيضًا ، والصلاة قبل الوقت مبطل لها كذلك وعدم إتمام الطهارة مبطل لها أيضًا .

فاحتط لدينك يرحمك الله .

❋ **البرقية السادسة : « إلى المرأة المسلمة » :**

أختاه يجب عليك أداء الصلاة في وقتها حتى ولو كنت في السوق وتأخيرك لها عن وقتها المشروع بدعوى أدائها في البيت أمر بالغ الخطورة ، فقد عدّ العلماء تأخيرها عن وقتها عمدًا كفرًا مخرجًا عن الملة فتنبّهي . والسلام .

❋ **البرقية السابعة : « إلى الصنف الرابع الذين يشتكون من عدم الخشوع في صلاتهم » :**

اعلموا أن خير وسيلة لتحقيق الخشوع هو في تصويب البصر إلى موضع السجود واستحضار هيبة الموقف بين يدي الله جل وعلا ، وسؤاله العون والسداد ، والاستعاذة من شر الشيطان و وسوسته .

❋ **البرقية الثامنة : « إلى من يهمه الأمر » :**

لا نريد منك أيها المسدد أن تكون انفعالاتك وقتية واستجابتك سطحية سريعة الحضور سريعة الانصراف ، ولكن نريد قناعاتٍ راسخةٍ وعزائم أكيدة وتوبة نصوحًا وإصرارًا على الاستقامة والثبات ، نريد أن تتبوأ الصلاة مكانة في قلبك ومنزلة في أعماق ضميرك فلا تغيب عن بالك ولا تتخلف عن إحساسك وشعورك .

* * *

وأخيـــرًا

يجب علينا جميعًا أن نتعاون في إحياء هذه الشعيرة العظيمة وأمر الناس بها وحثّهم عليها وأن ننتقل بهم سريعًا سريعًا من مرحلة : « أرحنا منها » إلى مرحلة : « أرحنا بها يا بلال » وأن تكون الصلاة هي قرة العين وسكون النفس وطمأنينة القلب . يومها ويومها فقط سيعود للأمة مجدها وعزها وسيقف ملك الروم ثانية يسائل جيشه المهزوم مرة أخرى : « ويلكم ويلكم ما لكم تنهزمون » .

* * * *

حضور القلب عند كل رُكْنٍ وشرط

أخي : إن كنت من المريدين للآخرة ، فلا تغفل عن الدقائق الفقهية ، ومتابعة السنة في شروط الصلاة وأركانها ، حتى تمتثل أمر رسول الله ﷺ : « صلوا كما رأيتموني أصلي »[1] . وتستحضر المعاني في شروط الصلاة من : الأذان ، والطهارة وستر العورة واستقبال القبلة ، والانتصاب قائمًا ، والنية .

أخي : إن علت همتك صَوَّتَ بك حادي الخاشعين ، فسرت معهم وإن رُمْتَ جوارحهم حملوك إلى ديارهم ، وقد مَرَّ فيما مضى معنا إجمالٌ هذا أوان تفصيله ، فأرعنى سمعك واصغ إليَّ بقلبك رعاك الله :

❋ أولًا : عند سماع الأذان :

إذا سمعت نداء المؤذن ، فأحضر في قلبك هول النداء يوم القيامة ، وتشمر بظاهرك وباطنك للإجابة والمسارعة ، فإن المسارعين إلى هذا النداء هم الذين ينادون باللطف يوم العرض الأكبر ، فاعرض قلبك على هذا النداء ، فإن وجدته مملوءًا بالفرح والاستبشار مشحونًا بالرغبة إلى الابتدار ، فاعلم أنه يأتيك النداء بالبشرى والفوز يوم القيامة

(١) متفق عليه .

والقضاء، ولذلك قال ﷺ: «أرحنا بها يا بلال».

قال أحد العباد: ما سمعت النداء، إلا تذكرت هول النداء بالعرض على الله يوم القيامة .. ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٨].

ثم إن النداء بالأذان يذكرك برأس مالك وهو الوقت الذي ينبغي أن يستغل في الطاعات.

❋ ثانيًا: «الطهارة»:

فإذا أتيت بها في مكانك وهو ظرفك الأبعد، ثم في ثيابك وهي غلافك الأقرب، ثم في بشرتك وهي قشرك الأدنى، فلا تغفل عن لُبِّكَ الذي هو ذاتك وهو قلبك فاجتهد له تطهيرًا بالتوبة والندم على ما فرطت، وتصميم العزم على الترك في المستقبل، فطهر بها باطنك فإنها موضع نظر معبودك.

❋ ثالثًا: «ستر العورة»:

واعلم أن معنى ستر العورة هو تغطية مقابح بدنك عن أبصار الخلق، فإن ظاهر بدنك موقع لنظر الخلق، فما بالك في عورات باطنك وفضائح سرائرك التي لا يطلع عليها إلا ربك عز وجل؟! فأحضر تلك القبائح ببالك، وطالب نفسك بسترها وتحقق أنه لا يستر عن عين الله سبحانه ساتر، وإنما يغفرها الندم والحياء والخوف،

فتستفيد - بإحضارها في قلبك - انبعاث جنود الخوف والحياء من مكامنهما ، فتذل بها نفسك ويستكين تحت الخجلة قلبك ، وتقوم بين يدي الله عز وجل قيام العبد المجرم المسيء الآبق الذي ندم فرجع إلى مولاه ناكسًا رأسه من الحياء والخوف .

❋ رابعًا : « استقبال القبلة » :

وهو صرف ظاهر وجهك عن سائر الجهات إلى جهة بيت الله تعالى ، أفترى أن صرف القلب عن سائر الأمور إلى الله عز وجل ليس مطلوبًا منك ؟! هيهات فلا مطلوب سواه ، وإنما هذه الظواهر تحريكات للبواطن ، وضبط للجوارح ، وتسكين لها بالإثبات في جهة واحدة حتى لا تبغى على القلب ، فإنها إذا بغت وظلمت في حركاتها والتفاتها إلى جهاتها استتبعت القلب وانقلبت به عن وجه الله عز وجل ، فليكن وجه قلبك مع وجه بدنك ، فاعلم أنه كما لا يتوجه الوجه إلى جهة البيت ، إلا بالانصراف عن غيرها ، فلا ينصرف القلب إلى الله عز وجل إلا بالتفرغ عما سواه . سُئلَ النبي ﷺ عن التفات الرجل في صلاته ؟ فقال : « هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد »[1] ، فإذا كان هذا الالتفات طرفة أو لحظة فكيف التفات قلبه إلى ما سوى الله ؟ هذا أعظم نصيب الشيطان من العبودية .

(١) رواه البخاري (٧٥١) .

وقال ابن مسعود : « لا يجعل أحدكم للشيطان حظًا من صلاته ، يرَى أن حقًّا عليه : أن لا ينصرف إلا عن يمينه » فجعل هذا القدر اليسير النزر حظًّا ونصيبًا للشيطان من صلاة العبد فما الظن بما فوقه ؟[1] .

❊ خامسًا : « الاعتدال قائمًا » :

وهو مُثُولٌ بالشخص والقلب بين يدي الله عز وجل ، فليكن رأسك – الذي هو أرفع أعضائك – مطرقًا مطأطئًا متنكّسًا ، وليكن وضع الرأس عن ارتفاعه تنبيهًا على إلزام القلب التواضع والتذلل والتبري عن الترؤس والتكبر ، وليكن على ذكرك ها هنا خطر القيام بين يدي الله عز وجل في هول المطلع عند العرض للسؤال ، واعلم في الحال أنك قائم بين يدي الله عز وجل وهو مطلع عليك ، فقم بين يديه قيامك بين يدي بعض ملوك الزمان إن كنت تعجز عن معرفة كنه جلاله ، بل قدر في دوام قيامك في صلاتك ، أنك ملحوظ ومرقوب بعين كالئة من رجل صالح من أهلك ، أو ممن ترغب أن يعرفك بالصلاح ، فإنه تهدأ وتخشع أطرافك عند ذلك ، خيفة أن ينسبك ذلك العاجز المسكين إلى قلة الخشوع ، وإذا أحسست من نفسك

(١) « مدارج السالكين » (٢/٩٤) .

بالتماسك عند ملاحظة عبدٍ مسكين ، فعاتب نفسك وقل لها : إنك تدَّعين معرفة الله وحبه ، أفلا تستحين من استجرائك عليه ، مع توقيرك عبدًا من عباده ؟! أو تخشين الناس ولا تخشينه ، وهو أحق أن يخشى ؟! فلم جعلته أهون الناظرين إليك ؟ أفكان الله عز وجل أهون عليك من بعض خلقه ؟! قال رسول الله ﷺ للرجل الذي استوصاه : « أوصيك أن تستحي من الله كما تستحي من الرجل الصالح من قومك »[1] .

❋ سادسًا : « النية »

وأما النية : فاعزم على إجابة الله عز وجل في امتثال أمره بالصلاة ، وإتمامها والكف عن نواقضها ومفسداتها . وإخلاص جميع ذلك لوجه الله سبحانه ، رجاءً لثوابه وخوفًا من عقابه وطلبًا للقربة منه ، متقلدًا للمنة منه ، بإذنه إياك في المناجاة مع سوء أدبك وكثرة عصيانك ، وعظم في نفسك قدر مناجاته ، وانظر من تناجي ، وكيف تناجي ، وبماذا تناجي ، وعند هذا ينبغي أن يعرق جبينك من الخجل ، وترتعد فرائصك من الهيبة ، ويصفرّ وجهك من الخوف ، كما قال ذو

---

(١) إسناده جيد . رواه أحمد في الزهد ، والخرائطي في « مكارم الأخلاق » من حديث سعيد بن يزيد بن الأزور ، وقال الألباني : إسناده جيد رجاله كلهم ثقات « الصحيحة » (٧٤١) .

النون المصري – رحمه الله[1] – في ذكره لأعلام الإيمان : « وارتعاش القلب عند الفرائض حتى يؤديها » . « لو رأيت أحدهم وقد قام إلى صلاته فلما وقف في محرابه واستفتح كلام سيده خطر على قلبه أن ذلك المقام هو الذي يقوم الناس فيه لرب العالمين فانخلع قلبه وذهل عقله » .

❋ سابعًا : « التكبير » :

فإذا نطق به لسانك فينبغي أن لا يكذبه قلبك ، فإن كان في قلبك شيء هو أكبر من الله سبحانه ، فالله يشهد إنك لكاذب ، وإن كان الكلام صدقًا ، فإن كان هواك أغلب عليك من أمر الله عز وجل فأنت أطوع له منك لله تعالى ، فقد اتخذته إلهك وكبرته فيوشك أن يكون قولك : « الله أكبر » كلامًا باللسان المجرد ، وما أعظم الخطر في ذلك لولا التوبة والاستغفار وحسن الظن بكرم الله تعالى وعفوه .

❋ ثامنًا : « دعاء الاستفتاح » :

فأول كلماته قولك : « وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض » .

فتوجه بقلبك إلى فاطر السموات، ولا تتوجه به إلى أمانيك وهمك في البيت والسوق ولا تتبع الشهوات . وإياك أن تكون أول

(١) هو ثوبان بن إبراهيم .

مفاتحتك للمناجاة بالكذب والاختلاق فاجتهد - في الحال - في صرف القلب إلى الله ، وإن عجزت عنه على الدوام ، فليكن قولك في الحال صادقًا .

وإذا قلت : « محياي ومماتي لله » فاعلم أن هذا حال عبدٍ مفقود لنفسه موجود لسيده . وإذا تعوذت بالله من الشيطان الرجيم ، فاعلم أنه عدوك ومترصِّد لصرف قلبك عن الله عز وجل ، حسدًا لك على مناجاتك مع الله عز وجل ، وسجودك له ، مع أنه لعن بسبب سجدة واحدةٍ تركها وأن استعاذتك بالله سبحانه : بترك ما يحبه وتبديله بما يحب الله عز وجل ، لا بمجرد قولك ، فإن من قصده سبعٌ ليفترسه ، فقال : أعوذ منك بذلك الحصن الحصين ، وهو ثابت على مكانه ، فإن ذلك لا ينفعه ، بل لا يعيذه إلا تبديل المكان فكذلك من يتبع الشهوات التي هي محاب الشيطان ومكاره الرحمن ، فلا يغنيه مجرد القول ، فليقترن قوله بالعزم على التعوذ بحصن الله عز وجل عن شر الشيطان .

❊ **تاسعًا : « الفاتحة » :**

فإذا قرأت الفاتحة ، فتدبَّر أنها كما قال رسول الله ﷺ : « أم القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم »[1] ، و : « السبع المثاني فاتحة

---

(١) رواه البخاري عن أبي سعيد بن المعلى (٤٤٧٤) .

الكتاب »[1] ، وأن : « ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أم القرآن ، وأم الكتاب ، والسبع المثاني »[2] .

وأن : « أفضل القرآن : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ »[3] .

وأنها أَخْيَرُ سورة في القرآن الكريم قال ﷺ : « والذي نفسي بيده ما أنزل في التوراة ، ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها – يعني أم القرآن – ، وإنها لسبعٌ من المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيته »[4] . وقال ﷺ : « ما أنزل الله في التوراة ، ولا في الإنجيل مثل أم القرآن ، وهي السبع المثاني ، قال الله تعالى : وهي مقسومة بيني وبين عبدي ، ولعبدي ما سأل »[5] .

وأي فخر للعبد فوق هذا إذا تدبره ، وتدبر أن هذه السورة نزل بها بفضلها ملكٌ لم ينزل إلى الأرض قبلها قط ، وقال لرسولنا ﷺ :

---

(١) صحيح. رواه أحمد وأبو داود والترمذي والطحاوي عن أبي هريرة ، وصححه الألباني .

(٢) صحيح . رواه أبو داود والترمذي عن أبي هريرة وصححه الألباني في صحيح الجامع .

(٣) صحيح . رواه الحاكم والبيهقي في الشعب عن أنس ، وصححه الألباني .

(٤) صحيح . رواه أحمد والترمذي وابن حبان والحاكم عن أبي هريرة وصححه الألباني .

(٥) رواه مسلم (٣٩٥) ، وأحمد (٧٨٩١) ، والترمذي والنسائي عن أبي وصححه الألباني في « صحيح الجامع » .

« أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك ، فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة » لو لم يكن لك من صلاتك حظّ سوى ذكر الله لك في جلاله وعظمته ، فناهيك بذلك غنيمة ، فكيف بما ترجوه من ثوابه وفضله ؟! وكيف بالتأمين الذي تحسدنا عليه يهود ؟!

وانظر إلى الزاهد في السراري ، النابذ للجواري ، العابد في القفار والبراري : أبي الحسن أحمد بن أبي الحواري :

يقول محمد بن عوف الحمصي : رأيت أحمد بن أبي الحواري عندنا بأنطرسوس[1] ، فلما صلى العتمة قام يصلي ، فاستفتح بـ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ إلى : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فطفت الحائط كله ثم رجعت ، فإذا هو لا يجاوزها ، ثم نمت ، ومررت في السحر وهو يقرأ : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ فلم يزل يرددها إلى الصبح »[2] .

❋ فاتحة المطالب العالية :

اعلم أن هذه السورة اشتملت على أمهات المطالب العالية أتم اشتمال ، وتضمنتها أكمل تضمن فاشتملت على التعريف بالمعبود تبارك وتعالى بثلاثة أسماء ، مرجع الأسماء الحسنى والصفات العليا

(١) بلدة من سواحل بحر الشام .

(٢) « سير أعلام النبلاء » (١٢/٨٥- ٩٤) .

إليها ومدارها عليها ، وهي : « الله ، الرب ، الرحيم » وبنيت السورة على الإلهية والربوبية والرحمة ، فـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ على الإلهية ، و﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ على الربوبية . وطلب الهداية إلى الصراط المستقيم بصفة الرحمة . والحمد يتضمن الأمور الثلاثة . فهو المحمود في إلهيته وربوبيته ورحمته .

وتضمنت إثبات المعاد ، وجزاء العباد بأعمالهم ، حسنها وسيئها ، وتفرُّد الرب بالحكم إذ ذاك بين الخلائق ، وكون حكمه بالعدل . وكل هذا تحت قوله : ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ .

وتضمنت إثبات النبوات من جهات عديدة :

❋ **أحدها** : كونه رب العالمين ، فلا يليق به أن يترك عباده سُدَىً هملا لا يُعرِّفهم ما ينفعهم في معاشهم ومعادهم وما يضرهم فيهما ، فهذا هضم للربوبية ، ونسبة الرب تعالى إلى ما لا يليق به وما قدره حق قدره من نسبه إليه .

❋ **الثاني** : أخذها من اسم الله وهو المألوه المعبود . ولا سبيل للعباد إلى معرفة عبادته إلا من طريق رسله .

❋ **الثالث** : من اسمه ﴿الرَّحْمَٰنِ﴾ فإن رحمته تمنع إهمال عباده وعدم تعريفهم ما ينالون به غاية كمالهم . فمن أعطى اسم ﴿الرَّحْمَٰنِ﴾ حقه عرف أنه متضمن لإرسال الرسل ، وإنزال الكتب

أعظم من تضمنه إنزال الغيث وإنبات الكلأ ، وإخراج الحب ، فاقتضاء الرحمة لما تحصل به حياة الأبدان والأشباح ، لكن المحجوبون إنما أدركوا من هذا الاسم حظ البهائم والدواب وأدرك منه أولو الألباب أمرًا وراء ذلك .

❊ **الموضع الرابع** : من ذكر ﴿يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ فإنه اليوم الذي يدين الله العباد فيه بأعمالهم فيثيبهم على الخيرات ، ويعاقبهم على المعاصي والسيئات . وما كان الله ليعذب أحدًا قبل إقامة الحجة عليه والحجة إنما قامت برسله وكتبه ، وبهم استُحِقَّ الثواب والعقاب ، وبهم قام سوق يوم الدين وسيق الأبرار إلى النعيم والفجار إلى الجحيم .

❊ **الموضع الخامس** : من قوله : ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ فإن ما يُعْبَدُ به الرب تعالى لا يكون إلا على ما يحبه ويرضاه وعبادته - وهي شكره وحبه وخشيته - فطري ومعقول للعقول السليمة ، لكن طريق التعبد وما يعبد به لا سبيل إلى معرفته إلا برسله وبيانهم وفي هذا بيان أن إرسال الرسل أمر مستقر في العقول ، يستحيل تعطيل العالم عنه ، كما يستحيل تعطيله من الصانع ، فمن أنكر الرسول فقد أنكر المرسل ، ولم يؤمن به ، ولهذا جعل الله سبحانه الكفر برسله كفرًا به .

الموضع السادس : من قوله : ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ فالهداية : هي البيان والدلالة ، ثم التوفيق والإلهام وهو بعد البيان

والدلالة ولا سبيل إلى البيان والدلالة إلا من جهة الرسل ، فإذا حصل البيان والدلالة والتعريف ترتب عليه هداية التوفيق ، جعل الإيمان في القلب وتحبيبه إليه ، وتزيينه في القلب ، وجعله مؤثرًا له ، راضيًا به ، راغبًا فيه . وهما هدايتان مستقلتان لا يحصل الفلاح إلا بهما ، وهما متضمنتان تعريف ما لم نعلمه من الحق تفصيلا وإجمالا ، وإلهامنا له ، وجعلنا مريدين لاتباعه ظاهرًا وباطنًا ، ثم خلق القدرة على القيام بموجب الهدى بالقول والعمل والعزم ، ثم إدامة ذلك لنا وتثبيتنا عليه إلى الوفاة ومن هنا يعلم اضطرار العبد إلى سؤال هذه الدعوة فوق كل ضرورة ، وبطلان قول من يقول : إذا كنا مهتدين فيكف نسأل الهداية ؟! فإن المجهول لنا من الحق أضعاف المعلوم وما لا نريد فعله تهاونًا وكسلا مثل ما نريده ، أو أكثر منه أو دونه ، وما لا نقدر عليه – مما نريده – كذلك ، وما نعرف جملته ولا نهتدي لتفاصيله فأمر يفوت الحصر ، ونحن محتاجون إلى الهداية التامة ، فمن كملت له هذه الأمور كان سؤال الهداية له سؤال التثبت والدوام .

وللهداية مرتبة أخرى – وهي آخر مراتبها – وهي الهداية يوم القيامة إلى طريق الجنة . وهو الصراط الموصل إليها ، فمن هُدِيَ في هذه الدار إلى صراط الله المستقيم ، الذي أرسل به رسله وأنزل به كتبه ، هُدِيَ هناك إلى الصراط المستقيم ، الموصل إلى جنته ودار ثوابه ،

وعلى قدر ثبوت قدم العبد على هذا الصراط الذي نصبه الله لعباده في هذه الدار يكون ثبوت قدمه على الصراط المنصوب على متن جهنم ، وعلى قدر سيره على هذا الصراط يكون سيره على ذاك الصراط ، فمنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالطرف ، ومنهم من يمر كالريح ، ومنهم من يمر كشدِّ الركاب ، ومنهم من يسعى سعيًا ، ومنهم من يمشي مشيًا ، ومنهم من يحبو حبوًا ، ومنهم المخدوش المُسَلَّم ، ومنهم المكردس في النار ، فلينظر العبد سيره على ذلك الصراط من سيره على هذا حَذْوَ القذَّة بالقذة جزاءً وفاقًا : ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ .

ولينظر الشبهات ، والشهوات التي تعوقه عن سيره على هذا الصراط المستقيم ، فإنها الكلاليب التي بجنبتي ذاك الصراط ، تخطفه وتعوقه عن المرور عليه ، فإن كثرت هنا وقويت فكذلك هي هناك : ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ ، فسؤال الهداية متضمن لحصول كل خير والسلامة من كل شر .

❃ **الموضع السابع** : من معرفة نفس المسؤول ، وهو الصراط المستقيم ، ولا تكون الطريق صراطًا حتى تتضمن خمسة أمور : الاستقامة ، والإيصال إلى المقصود ، والقرب ، وسعته للمارين عليه ، وتعيّنه طريقًا للمقصود ، ولا يخفى تضمن الصراط المستقيم لهذه

الأمور الخمسة ، فوصفه بالاستقامة يتضمن قربه ، لأن الخط المستقيم هو أقرب خط فاصل بين نقطتين .

وكلما تعوج طال وبَعُدَ ، واستقامته تتضمن إيصاله إلى المقصود ونصبه لجميع من يمر عليه يستلزم سعته ، وإضافته إلى المنعم عليهم ، ووصفه بمخالفة صراط أهل الغضب والضلال يستلزم تَعَيُّنَهُ طريقًا .

و﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾ تارة يضاف إلى الله ، إذ هو الذي شرعه ونصبه ، كقوله : « وأن هذا صراطي مستقيمًا » وقوله : « وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم صراط الله » وتارة يضاف إلى العباد ، كما في الفاتحة ، لكونهم ، أهل سلوكه ، وهو المنسوب لهم ، وهم المارون عليه .

❋ **الموضع الثامن** : من ذكر المنْعَم عليهم وتمييزهم عن طائفتي الغضب والضلال ، فانقسم الناس بحسب معرفة الحق والعمل به إلى هذه الأقسام الثلاثة ، لأن العبد إما أن يكون عالمًا بالحق أو جاهلا به ، والعالم بالحق إما أن يكون عاملا بموجبه أو مخالفًا له ، فهذه أقسام المكلفين لا يخرجون عنها البتة ، فالعالم بالحق العامل به هو : المنعم عليه ، وهو الذي زكّى نفسه بالعلم النافع والعمل الصالح وهو المفلح ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ ، والعالم به المتبع هواه : هو المغضوب عليه ، والجاهل بالحق : هو الضال ، والمغضوب عليه ضال عن هداية العمل والضال مغضوب عليه لضلاله عن العلم الموجب للعمل ، فكل منهما

ضال مغضوب عليه ، ولكن تارك العمل بالحق بعد معرفته به أولى بوصف الغضب وأحق به ومن هنا كان اليهود أحق به وهو متغلظ في حقهم كقوله تعالى في حقهم : ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ [البقرة : ٩٠] ، وقوله تعالى : ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة : ٦٠] .

والجاهل بالحق : أحق باسم الضلال ، ومن هنا وصفت النصارى به في قوله تعالى : ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة : ٧٧] فالأولى في سياق الخطاب مع اليهود ، والثانية في سياقه مع النصارى . وفي الترمذي وصحيح ابن حبان من حديث عدي بن حاتم قال : قال ﷺ : « اليهود مغضوب عليهم ، والنصارى ضالون »[1]. ففي ذكر المنعم عليهم – وهم من

---

(١) رواه الترمذي (٢٩٥٤) ، وأحمد (٤/٣٧٨– ٣٧٩) ، والطبري (١٩٤) ، وهو حديث حسنٌ .

عرف الحق واتبعه – والمغضوب عليهم – وهم من عرفه واتبع هواه – والضالين وهم من جهله : ما يستلزم ثبوت الرسالة والنبوة ، لأن انقسام الناس إلى ذلك هو الواقع المشهود . وهذه القسمة إنما أوجبها ثبوت الرسالة »[1] .

« وتأمل سرًا بديعًا في ذكر السبب والجزاء للطوائف الثلاثة بأوجز لفظ وأخصره ، فإن الإنعام عليهم يتضمن إنعامه بالهداية ، التي هي العلم النافع والعمل الصالح ، وهي الهدى ودين الحق ، ويتضمن كمال الإنعام بحسن الثواب والجزاء ، فهذا تمام النعمة ، ولفظ : ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ يتضمن الأمرين . وذكر غضبه على المغضوب عليهم يتضمن أيضًا أمرين : الجزاء بالغضب الذي موجبه غاية العذاب والهوان ، والسبب الذي استحقوا به غضبه سبحانه ، فإنه أرحم وأرأف من أن يغضب بلا جناية منهم ولا ضلال ، فكأن الغضب عليهم مستلزم لضلالهم وذكر الضالين مستلزم لغضبه عليهم وعقابه لهم ، فإن من ضل استحق العقوبة التي هي موجب ضلاله وغضب الله عليه فاستلزم وصف كل واحد من الطوائف الثلاث للسبب والجزاء أبين استلزام واقتضاه أكمل اقتضاء في غاية الإيجاز والبيان

(١) « مدارج السالكين » لابن القيم (تهذيب – ص ٢٣ – ٢٦) .

والفصاحة ، مع ذكر الفاعل في أهل السعادة وحذفه في أهل الغضب ، وإسناد الفعل إلى السبب في أهل الضلال .

وتأمل المقابلة بين الهداية والنعمة ، والغضب والضلال ، فذكر المغضوب عليهم ، والضالين في مقابلة المهتدين المنعم عليهم ، وهذا كثير في القرآن يقرن بين الضلال والشقاء وبين الهدى والفلاح ، فالهدى والسعادة متلازمان ، والضلال والشقاء متلازمان »[1] .

* * *

---

(1) « مدارج السالكين » (تهذيب - ص - ٢٣ - ٢٧) .

الهداية تورث الاستعلاء[1]

وذكر « الصراط المستقيم » مفردًا معرفًا تعريفين : تعريفًا باللام ، وتعريفًا بالإضافة ، وذلك يفيد تعيُّنه واختصاصه وأنه صراط واحد ، وأما طرق أهل الضلال فإنه يجمعها ويفردها كقوله تعالى : ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣] فوحّد لفظ : « الصراط » و« سبيله » ، وجمع السبل المخالفة له ، وهذا لأن الطريق الموصل إلى الله واحد ، وهو ما بعث به رسله وأنزل به كتبه ، لا يصل إليه أحد إلا من هذا الطريق ، ولو أتى الناسُ من كل طريق واستفتحوا من كل باب ، فالطريق عليهم مسدودة ، والأبواب عليهم مغلقة إلا من هذا الطريق الواحد فإنه متصل بالله ، موصل إلى الله قال تعالى : ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾ [الحجر: ٤١] قال الحسن : « معناه : صراط مُوَصِّل إليَّ مستقيم » .

وقيل : « عليّ » فيه للوجوب ، أي عليّ بيانه وتعريفه والدلالة عليه ، وفي أداة « على » سر لطيف وهو : الإشعار بكون السالك على هذا الصراط على هدى وهو حق كما في قوله : ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى

(١) « تهذيب مدارج السالكين » (ص ٢٧ - ٢٩) بتصرف .

﴿مِّن رَّبِّهِمْ﴾ والله عز وجل هو الحق ، وصراطه حق ، ودينه حق . فمن استقام على صراطه فهو على الحق والهدى .

فإن قلت : كيف يكون المؤمن مستعليًا على الحق وعلى الهدى ؟

قلت : لما فيه من استعلائه وعلوه بالحق والهدى مع ثباته عليه واستقامته إليه ، فكان في الإتيان بأداة « على » ما يدل على علوه وثبوته واستقامته ، وهذا بخلاف الضلال والريب فإنه يؤتى فيه بأداة « في » الدالة على انغماس صاحبه ، وانقماعه وتدسسه فيه كقوله : ﴿فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ وتأمل في قوله تعالى : ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ : ٢٤] فإن طريق الحق تأخذ علوًا صاعدة بصاحبها إلى العليّ الكبير ، وطريق الضلال تأخذ سفلا هاوية بسالكها في أسفل سافلين » .

* * *

وَحْشَة التفرُّد علاجها عدم الالتفات

ولما كان طالب الصراط المستقيم طالب أمر أكثر الناس ناكبون عنه ، مريدًا لسلوك طريق مرافقه فيها في غاية القلة والعزة ، والنفوس مجبولة على وحشة التفرد ، وعلى الأنس بالرفيق ، نبه الله سبحانه على الرفيق في هذا الطريق وأنهم هم الذين : ﴿أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ فأضاف الصراط إلى الرفيق السالكين له ، وهم الذين أنعم الله عليهم ، ليزول عن الطالب للهداية وسلوك الصراط وحشة تفرده عن أهل زمانه وبني جنسه ، وليعلم أن رفيقه في هذا الصراط : هم الذين أنعم الله عليهم ، فلا يكترث بمخالفة الناكبين عنه له ، فإنهم هم الأقلون قدرًا ، وإن كانوا الأكثرين عددًا ، كما قال بعض السلف : « عليك بطريق الحق ولا تستوحش لقلة السالكين ، وإياك وطريق الباطل ولا تغتر بكثرة الهالكين » وكلما استوحشت في تفردك فانظر إلى الرفيق السابق ، واحرص على اللحاق بهم ، وغض الطرف عمن سواهم ، فإنهم لن يغنوا عنك من الله شيئًا ، وإذا صاحوا بك في طريق سيرك فلا تلتفت إليهم فإنك متى التفت إليهم أخذوك وعاقوك ، وقد ضربت لذلك مثلين ، فليكونا منك على بال .

❋ **المثل الأول :**

رجل خرج من بيته إلى الصلاة لا يريد غيرها ، فعرض له في طريقه شيطان من شياطين الإنس فألقى عليه كلامًا يؤذيه ، فوقف و رد عليه وتماسكا ، فربما كان شيطان الإنس أقوى منه ، فقهره ومنعه عن الوصول إلى المسجد ، حتى فاتته الصلاة ، وربما كان الرجل أقوى من شيطان الإنس ولكن اشتغل بمهاوشته عن الصف الأول ، وكمال إدراك الجماعة ، فإن التفت إليه أطمعه في نفسه وربما فترت عزيمته ، فإن كان له معرفة وعلم زاد في السعي بقدر التفاته أو أكثر فإن أعرض عنه واشتغل بما هو بصدده ، وخاف فوت الصلاة أو الوقت : لم يبلغ عدوه منه ما شاء .

❋ **المثل الثاني :**

الظبي أشد سعيًا من الكلب ، ولكنه إذا أحس به التفت إليه فيضعف سعيه فيدركه الكلب فيأخذه .

والقصد أن في ذكر هذا الرفيق : ما يزيل وحشة التفرد ، ويحث على السير والتشمير للحاق بهم وهذه إحدى الفوائد في دعاء القنوت : « اللهم اهدني فيمن هديت » أى أدخلني في هذه الزمرة واجعلني رفيقًا لهم ومعهم .

❋ **والفائدة الثانية :** أنه توسل إلى الله بنعمه وإحسانه إلى من

أنعم عليه بالهداية أي قد أنعمت بالهداية على من هديت ، وكان ذلك نعمة منك فاجعل لي نصيبًا من هذه النعمة واجعلني واحدًا من هؤلاء المنعم عليهم ، فهو توسل إلى الله بإحسانه .

❋ **والفائدة الثالثة** : كما يقول السائل للكريم : تصدق عليّ في جملة من تصدقت عليهم وعلمني في جملة من علمته ، وأحسن إليّ في جملة من شملته بإحسانك .

* * *

فاتحة التوحيد

تشتمل الفاتحة على أنواع التوحيد الثلاثة التي اتفقت عليها الرسل صلوات الله وسلامُهُ عليهم .

والتوحيد نوعان : نوع في العلم والاعتقاد ، ونوع في الإرادة والقصد ، ويسمى **الأول** : التوحيد العلمي . **والثاني** : التوحيد القصدي الإرادي ، لتعلق الأول بالأخبار والمعرفة ، والثاني بالقصد والإرادة وهذا الثاني أيضًا نوعان : توحيد في الربوبية ، وتوحيد في الإلهية ، فهذه ثلاثة أنواع .

فأما توحيد العلم : فمداره على إثبات صفات الكمال ، وعلى نفي التشبيه والمثال ، والتنزيه عن العيوب والنقائص ، وقد دَلَّ على هذا شيئان : مجمل ومفصل .

أما المجمل : فإثبات الحمد له سبحانه ، وأما المفصل : فذكر صفة الإلهية والربوبية والرحمة والملك ، وعلى هذه الأربع مدار الأسماء والصفات .

فأما تضمن الحمد لذلك : فإن الحمد يتضمن مدح المحمود بصفات كماله ، ونعوت جلاله ، مع محبته والرضا عنه ، والخضوع له ، وكلما كانت صفات كمال المحمود أكثر كان حمده أكمل ،

وكلما نقص من صفات كماله نقص من حمده بحسبها ، ولهذا كان الحمد كله لله حمدًا لا يحصيه سواه لكمال صفاته وكثرتها ، ولأجل هذا لا يحصي أحد من خلقه ثناءً عليه ، لما له من صفات الكمال ونعوت الجلال ، التي لا يحصيها سواه ، ولهذا ذم الله تعالى آلهة الكفار ، وعابها بسلب أوصاف الكمال عنها فعابها بأنها لا تسمع ولا تبصر ، ولا تتكلم ولا تهدي ، ولا تنفع ولا تضر ، وهذه صفة إله الجهمية التي عاب بها الأصنام ، نسبوها إليه ، تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علوًا كبير .

فقال تعالى حكاية عن خليله إبراهيم عليه السلام في محاجته لأبيه : ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا﴾ [مريم : ٤٢] فلو كان إله إبراهيم بهذه الصفة والمثابة لقال له آزر : وأنت إلهك بهذه المثابة فيكف تنكر عليَّ ؟! لكن كان – مع شركه – أعرف بالله من الجهمية وكذلك كفار قريش كانوا – مع شركهم – مقرين بصفات الصانع سبحانه وعلوه على خلقه . وقال تعالى : ﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ﴾ [الأعراف : ١٤٨] فلو كان إله الخلق سبحانه كذلك لم يكن في هذا إنكار عليهم واستدلال على بطلان الإلهية بذلك فإن

قيل : فالله تعالى لا يكلم عباده!

قيل : بلى قد كلمهم فمنهم من كلمه الله من وراء حجاب ، منه إليه بلا واسطة كموسى ، ومنهم من كلمه على لسان رسوله الملكي ، وهم الأنبياء ، وكلم الله سائر الخلق على ألسنة رسله ، فأنزل عليهم كلامه الذي بلغته رسله عنه ، وقالوا لهم : هذا كلام الله تكلم به ، وأمرنا بتبليغه إليكم ، ومن ههنا قال السلف : من أنكر كون الله متكلمًا فقد أنكر رسالة الرسل كلهم ، لأن حقيقتها تبليغ كلامه الذي تكلم به إلى عباده فإذا انتفى كلامه انتفت الرسالة ، وقال تعالى : ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [طه : ٨٨، ٨٩] ورَجْعُ القول : هو التكلم والتكليم ، وقال تعالى : ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النحل : ٧٦] فجعل نفي صفة الكلام موجبًا لبطلان الإلهية وهذا أمر معلوم بالفطر والعقول السليمة والكتب السماوية : أن فاقد صفات الكمال لا يكون إلهًا ، ولا مدبرًا ولا ربًا ، بل هو مذموم معيب ناقص ، ليس له الحمد ، لا في الأولى ، ولا في الآخرة ، وإنما الحمد في الأولى والآخرة

لمن له صفات الكمال ونعوت الجلال، التي لأجلها استحق الحمد. ولهذا سمى السلف كتبهم التي صنفوها في السنة وإثبات صفات الرب وعلوه على خلقه، وكلامه وتكليمه: توحيدًا لأن نفي ذلك وإنكاره والكفر به إنكار للصانع، وجحد له، وإنما توحيده: إثبات صفات كماله وتنزيهه عن التشبيه والنقائص فجعل المعطلة جحد الصفات وتعطيل الصانع عنها توحيدًا وجعلوا إثباتها لله تشبيهًا وتجسيمًا وتركيبًا فسموا الباطل باسم الحق ترغيبًا فيه وزخرفًا ينفّقونه به، وسموا الحق باسم الباطل تنفيرًا عنه، والناس أكثرهم ليس لهم نقد النقاد ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٨]، والمحمود لا يحمد على العدم والسكوت ألبته، إلا إذا كانت سلب عيوب ونقائص، تتضمن إثبات أضدادها من الكلمات الثبوتية، وإلا فالسلب المحض لا حمد فيه، ولا مدح ولا كمال وكذلك حمده لنفسه على عدم اتخاذ الولد المتضمن لكمال صمديته وغناه وملكه، وتعبيد كل شيء له، فاتخاذ الولد ينافي ذلك كما قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾ [يونس: ٦٨] وحمد نفسه على عدم الشريك، المتضمن تفرده بالربوبية والإلهية، وتوحده بصفات الكمال التي لا يوصف بها غيره، فيكون شريكًا له، فلو عدمها لكان كل

مخلوق أكمل منه لأن الموجود أكمل من المعدوم ، ولهذا لا يحمد نفسه سبحانه بعدم إلا إذا كان متضمنًا لثبوت كمال . كما حمد نفسه بكونه لا يموت لتضمنه كمال حياته ، وحمد نفسه بكونه لا تأخذه سنة ولا نوم ، لتضمن ذلك كمال قيوميته ، وحمد نفسه بأنه لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر ، لكمال علمه وإحاطته . وحمد نفسه بأنه لا يظلم أحدًا لكمال عدله وإحسانه وحمد نفسه بأنه لا تدركه الأبصار ، لكمال عظمته . لا يرى ولا يدرك ، كما أنه يعلم ولا يحاط به علمًا ، فمجرد نفي الرؤية ليس بكمال ، لأن العدم لا يُرى ، فليس في كون الشيء لا يرى كمال ألبته ، وإنما الكمال في كونه لا يحاط به رؤية ولا إدراكًا ، لعظمته في نفسه وتعاليه عن إدراك المخلوق له ، وكذلك حمد نفسه بعدم الغفلة والنسيان لكمال علمه .

فكل سلب في القرآن حمد الله به نفسه فلمضادته لثبوت ضده ولتضمنه كمال ثبوت ضده فعلمت أن حقيقة الحمد تابعة لثبوت أوصاف الكمال ، وأن نفيها نفي لحمده ونفي الحمد مستلزم لثبوت ضده .

* * *

معنى الرب والرحمن

وتأمل ارتباط الخلق والأمر بهذه الأسماء الثلاثة وهي : (الله ، والرب ، والرحمن) كيف نشأ عنها الخلق والأمر والثواب والعقاب ؟ وكيف جمعت الخلق وفرقتهم ؟ فلها الجمع ، ولها الفرق .

فاسم « الرب » له الجمع الجامع لجميع المخلوقات ، فهو رَبُّ كل شيء وخالقه والقادر عليه لا يخرج شيء عن ربوبيته ، وكل من في السموات والأرض عبدٌ له في قبضته ، وتحت قهره فاجتمعوا بصفة الربوبية وافترقوا بصفة الإلهية ، فألّهه وحده السعداء ، وأقروا له طوعًا بأنه الله الذي لا إله إلا هو ، الذي لا تنبغي العبادة والتوكل والرجاء والخوف والحب والإنابة والإخبات والخشية ، والتذلل والخضوع إلا له وهنا افترق الناس وصاروا فريقين : فريقًا مشركين في السعير ، وفريقًا موحدين في الجنة فالإلهية هي التي فرقتهم . كما أن الربوبية هي التي جمعتهم ، فالدين والشرع ، والأمر والنهي – مظهره وقيامه : من صفة الإلهية ، والخلق والإيجاد والتدبير والفعل : من صفة الربوبية ، والجزاء بالثواب والعقاب والجنة والنار : من صفة الملك وهو ملك يوم الدين ، فأمرهم بإلهيته ، وأعانهم ووفقهم وهداهم وأضلهم بربوبيته ، وأثابهم وعاقبهم بملكه وعدله ، وكل واحدة من هذه الأمور لا تنفك عن

الأخرى وأما الرحمة : فهي التعلق والسبب الذي بين الله وبين عباده ، فالتأليه منهم له ، والربوبية منه لهم والرحمة سبب واصل بينه وبين عباده بها أرسل إليهم رسله وأنزل عليهم كتبه ، وبها هداهم وبها أسكنهم دار ثوابه وبها رزقهم وعافاهم وأنعم عليهم فبينهم وبينه سبب العبودية وبينه وبينهم سبب الرحمة . واقتران ربوبيته برحمته كاقتران استوائه على عرشه برحمته فـ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ مطابق لقوله : ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ فإن شمول الربوبية وسعتها بحيث لا يخرج شيء عنها اقتضى شمول الرحمة وسعتها فوسع كل شيء برحمته وربوبيته مع أن في كونه ربًا للعالمين ما يدل على علوه على خلقه وكونه فوق كل شيء .

* * *

وقد اشتملت الفاتحة على الشفاءين : شفاء القلوب ، وشفاء الأبدان .

فأما اشتمالها على شفاء القلوب : فإنها اشتملت عليه أتم اشتمال ، فإن مدار اعتلال القلوب وأسقامها على أصلين : فساد العلم ، وفساد القصد ، ويترتب عليهما داءان قاتلان وهما الضلال والغضب ، فالضلال نتيجة فساد العلم ، والغضب نتيجة فساد القصد ، وهذان المرضان هما ملاك أمراض القلوب جميعها ، فهداية الصراط المستقيم : تتضمن الشفاء من مرض الضلال ، ولذلك كان سؤال هذه الهداية أفرض دعاء على كل عبد ، وأوجبه عليه كل يوم وليلة . في كل صلاة ، لشدة ضرورته وفاقته إلى الهداية المطلوبة ولا يقوم غير هذا السؤال مقامه .

والتحقق بـ ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ علمًا ومعرفة ، وعملا وحالا : يتضمن الشفاء من مرض فساد القلب والقصد ، فإن فساد القصد يتعلق بالغايات والوسائل فمن طلب غاية منقطعة مضمحلة فانية وتوسل إليها بأنواع الوسائل الموصلة إليها كان كلا نوعي قصده فاسدًا وهذا شأن كل من كان غاية مطلوبه غير الله

وعبوديته : من المشركين ، ومتبعي الشهوات الذين لا غاية لهم وراءها وأصحاب الرياسات المتبعين لإقامة رياستهم بأي طريق كان من حق أو باطل فإذا جاء الحق معارضًا في طريق رياستهم طحنوه وداسوه بأرجلهم . فإن عجزوا عن ذلك دفعوه دفع الصائل فإن عجزوا عن ذلك حبسوه في الطريق ، وحادوا عنه إلى طريق أخرى وهم مستعدون لدفعه بحسب الإمكان وعزله عن التصرف والحكم والتنفيذ ، وإن جاء الحق ناصرًا لهم وكان لهم صالوا به وجالوا ، وأتوا إليه مذعنين ، لا لأنه حق ، بل لموافقته غرضهم وأهواءهم وانتصارهم به ﴿وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [النور : ٤٨ ، ٥٠] والمقصود : أن قصد هؤلاء فاسد في غاياتهم ووسائلهم ، وهؤلاء إذا بطلت الغايات التي طلبوها واضمحلت وفنيت حصلوا على أعظم الخسران والحسرات ، وهم أعظم الناس ندامة وتحسّرا ، إذا حق الحق وبطل الباطل وتقطعت بهم أسباب الوصل التي كانت بينهم وتيقّنوا انقطاعهم عن ركب الفلاح والسعادة ، وهذا يظهر كثيرًا في الدنيا ، ويظهر أقوى من ذلك عند الرحيل منها والقدوم على الله ، ويشتد تحقّقه وظهوره في البرزَخ ، وينكشف كل الانكشاف يوم اللقاء ، إذا

حقت الحقائق وفاز المحقون وخسر المبطلون وعلموا أنهم كانوا كاذبين وكانوا مخدوعين مغرورين ، فيا له هنا من علم لا ينفع عالمه ، ويقين لا ينفع مستيقنه .

وكذلك من طلب الغاية العليا والمطلب الأسمى ، ولكن لم يتوصل إليه بالوسيلة الموصلة له وإليه ، بل توسل إليه بوسيلة ظنها موصلة إليه وهي من أعظم القواطع عنه فحاله أيضًا كحال هذا وكلاهما فاسد القصد ، ولا شفاء من هذا المرض إلا بدواء « إياك نعبد وإياك نستعين » . فإن هذا الدواء مركب من ستة أجزاء :

١ - عبودية الله لا غيرهُ .

٢ - بأمره وشرعه .

٣ - لا بالهوى .

٤ - ولا بآراء الرجال وأوضاعهم ورسومهم وأفكارهم .

٥ - بالاستعانة على عبوديته به .

٦ - لا بنفس العبد وقوته وحوله ولا بغيره .

فهذه أجزاء « إياك نعبد وإياك نستعين » فإذا ركبها الطبيب اللطيف ، العالم بالمرض واستعملها المريض حصل بها الشفاء التام ، وما نقص من الشفاء فهو لفوات جزء من أجزائها أو اثنين أو أكثر ، ثم إن القلب يعرض له مرضان عظيمان ، إن لم يتداركهما العبد تراميا به

إلى التلف ولا بد وهما : الرياء والكبر ، فدواء الرياء بـ « إياك نعبد » ودواء الكبر بـ « إياك نستعين » ، وكثيرًا ما كنت أسمع شيخ الإسلام ابن تيمية - قدَّس الله روحه - يقول : « إياك نعبد » تدفع الرياء ، و« إياك نستعين » تدفع الكبرياء .

فإذا عوفي من مرض الرياء بـ « إياك نعبد » ومن مرض الكبرياء والعجب بـ « إياك نستعين » ، ومن مرض الضلال والجهل بـ « اهدنا الصراط المستقيم » عوفي من أمراضه وأسقامه ورفل في أثواب العافية وتمت عليه النعمة ، وكان من المنعم عليهم « غير المغضوب عليهم » وهم أهل فساد القصد ، الذين عرفوا الحق وعدلوا عنه « والضالين » وهم أهل فساد العلم الذين جهلوا الحق ولم يعرفوه .

وحُقَّ لسورة تشتمل على هذين الشفاءين : أن يُسْتَشْفَى بها من كل مرض ولهذا لما اشتملت على هذا الشفاء الذي هو أعظم الشفاءين كان حصول الشفاء الأدنى بها أولى .. فلا شيء أشفى للقلوب التي عقلت عن الله كلامه ، وفهمت عنه فهمًا خاصًا اختصها به من معاني هذه السورة .

وأما تضمنها لشفاء الأبدان : فنذكر منه ما جاءت به السنة :

ففي الصحيح من حديث أبي المتوكل الناجي عن أبي سعيد الخدري : « أن ناسًا من أصحاب النبي ﷺ مرُّوا بِحَيٍّ من العرب ، فلم

يُقْرُوهُم ولم يُضَيِّفُوهُمْ فلُدِغ سيد الحيّ فأتوهم فقالوا : هل عندكم من رقية ، أو هل فيكم من راقٍ ؟ فقالوا : نعم ولكنكم لم تقرونا ، فلا نفعل حتى تجعلوا لنا جعلا ، فجعلوا لهم على ذلك قطيعًا من الغنم فجعل رجل منا يقرأ عليه بفاتحة الكتاب ، فقام كأن لم يكن به قَلَبَةٌ . فقلنا : لا نأخذه حتى نسأل النبي ﷺ ، فأتيناه ، فذكرنا له ذلك . فقال : ما يدريك أنها رقية ؟ كلوا واضربوا لي معكم بسهم »[1] . فقد تضمن هذا الحديث حصول شفاء هذا اللديغ بقراءة الفاتحة عليه ، فأغنته عن الدواء وربما بلغت من شفائه ما لم يبلغه الدواء . هذا مع كون المحل غير قابل إما لكون هؤلاء الحيّ غير مسلمين ، أو أهل بخْلٍ ولؤمٍ فكيف إذا كان المحل قابلا .

* * *

---

(١) رواه البخاري (٥٧٣٦) .

فاتحة التفنيد[1]

وأيضًا قد اشتملت الفاتحة الرد على المبطلين من أهل الملل والنحل ، والرد على أهل البدع والضلال من هذه الأمة ، وهذا يُعْلم بطريقين مجمل ومفصل .

أما المجمل : فهو أن الصراط المستقيم متضمن معرفة الحق وإيثاره وتقديمه على غيره ومحبته والانقياد له ، والدعوة إليه وجهاد أعدائه بحسب الإمكان .

والحق : هو ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه ، وما جاء به علمًا وعملا في باب صفات الرب سبحانه ، وأسمائه وتوحيده ، وأمره ونهيه ، ووعده ووعيده ، وفي حقائق الإيمان التي هي منازل السائرين إلى الله تعالى وكل ذلك مسلم إلى رسول الله ﷺ دون آراء الرجال وأوضاعهم وأفكارهم واصطلاحاتهم .

فكل علم أو عمل خرج من مشكاة نبوته ، وعليه السكة المحمدية ، بحيث يكون من ضَرْبِ المدينة فهو من الصراط المستقيم وما لم يكن كذلك فهو من صراط أهل الغضب والضلال فما ثَمَّ خروج عن هذه الطرق الثلاث : طريق رسول الله ﷺ وما جاء به ، وطريق

(١) تهذيب مدارج السالكين (ص/٥٧) .

أهل الغضب ، وهي طريق من عرف الحق وعانده ، وطريق أهل الضلال : وهي طريق من أضله الله عنه . ولهذا قال عبد الله بن عباس وجابر بن عبد الله رضي الله عنهم : « الصراط المستقيم : هو الإسلام » وقال عبد الله بن مسعود وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما : « هو القرآن » وفيه حديث مرفوع في الترمذي وغيره ، وقال سهل بن عبد الله : « طريق السنة والجماعة » . وقال بكر بن عبد الله المزني : « طريق رسول الله ﷺ » .

ولا ريب أن ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه علمًا وعملًا وهو معرفة الحق وتقديمه وإيثاره على غيره ، فهو الصراط المستقيم ، وكل هذه الأقوال المتقدمة دالة عليه جامعة له ، فبهذا الطريق المجمل يُعْلَمُ أن كل ما خالفه فباطل وهو من صراط الأمتين : الأمة الغضبية ، وأمة أهل الضلال .

* * *

إثبات الربوبية لا يحتاج إلى دليل

وأما المفصل :

فبمعرفة المذاهب الباطلة واشتمال كلمات الفاتحة على إبطالها فنقول :

الناس قسمان : مُقِرٌ بالحق تعالى ، وجاحدٌ له ، فتضمنت الفاتحة إثبات الخالق تعالى والرد على من جحده ، بإثبات ربوبيته تعالى للعالمين . وتأمل حال العالم كله علويه وسفليه بجميع أجزائه تجده شاهدًا بإثبات صانعه وفاطره ومليكه ، فإنكار صانعه وجحده في العقول والفطر بمنزلة إنكار العلم وجحده ، لا فرق بينهما بل دلالة الخالق على المخلوق ، والفعّال على الفعل ، والصانع على أحوال المصنوع عند العقول الزكية المشرقة العلوية ، والفطر الصحيحة أظهر من العكس .

فالعارفون أرباب البصائر يستدلون بالله على أفعاله وصنعه ، إذا استدل الناس بصنعه وأفعاله عليه ولا ريب أنهما طريقان صحيحان ، كل منهما حق والقرآن مشتمل عليهما ، فأما الاستدلال بالصنعة فكثير ، وأما الاستدلال بالصانع فله شأن . وهو الذي أشارت إليه الرسل بقولهم لأممهم : « أفي الله شك » أي : أيُشَكُّ في الله حتى

يطلب إقامة الدليل على وجوده ؟ وأي دليل أصح وأظهر من هذا المدلول ؟ فكيف يستدل على الأظهر بالأخفى ؟ ثم نبهوا على الدليل بقولهم : ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ .

وسمعت شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية – قدّس الله روحه – يقول : كيف يطلب الدليل على من هو دليل كل شيء ؟ وكان كثيرًا ما يتمثل بهذا البيت :

وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

ومعلوم أن وجود الرب تعالى أظهر للعقول والفِطَرِ من وجود النهار ومن لم ير ذلك في عقله وفطرته فليتهمها . اهـ .

* * *

وسر الخلق والأمر والكتب والشرائع والثواب والعقاب : انتهى إلى هاتين الكلمتين وهما الكلمتان المقسومتان بين الرب وبين عبده نصفين ، فنصفها له تعالى وهو : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ ونصفها لعبده وهو : ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ .

والعبادة تجمع أصلين : غاية الحب بغاية الذل والخضوع ، والتَّعبُّد : التذلل والخضوع فمن أحببته ولم تكن خاضعًا له ، لم تكن عابدًا له ، ومن خضعت له بلا محبة لم تكن عابدًا له ، حتى تكون محبًا خاضعًا ، ومن هنا كان المنكرون محبة العباد لربهم منكرين حقيقة العبودية ، والمنكرون لكونه محبوبًا لهم ، بل هو غاية مطلوبهم – ووجهه الأعلى نهاية بغيتهم : منكرين لكونه إلهًا ، وإن أقروا بكونه ربًا للعالمين وخالقًا لهم ، فهذا غاية توحيدهم ، وهو توحيد الربوبية ، الذي اعترف به مشركو العرب ، ولم يخرجوا به عن الشرك كما قال تعالى : ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف : ٨٧] ، وقال تعالى : ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزمر : ٣٨] .

﴿قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا﴾ إلى قوله : ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ

﴿فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون : ٨٤ - ٨٩] ، ولهذا يحتج عليهم به على توحيد إلهيته ، وأنه لا ينبغي أن يُعْبَدَ غَيْرُه ، كما أنه لا خالق غيره ولا رب سواه ، و« الاستعانة » تجمع أصلين : الثقة بالله والاعتماد عليه ، فإن العبد قد يثق بالواحد من الناس ، ولا يعتمد عليه في أموره - مع ثقته به - لاستغنائه عنه ، وقد يعتمد عليه - مع عدم ثقته به - لحاجته إليه ، ولعدم من يقوم مقامه ، فيحتاج إلى اعتماده عليه مع أنه غير واثق به . « والتوكل » معنى يلتئم من أصلين : من الثقة والاعتماد وهو حقيقة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وهذان الأصلان - وهما : التوكل والعبادة - قد ذُكِرا في القرآن في عدة مواضع ، قُرِنَ بينهما فيها . هذا أحدها ، ومنها قوله تعالى على لسان شعيب : ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود : ٨٨] ، وتقديم « العبادة » على « الاستعانة » في الفاتحة من باب تقديم الغايات على الوسائل ، إذ « العبادة » غاية العباد التي خُلِقوا لها . و« الاستعانة » وسيلة إليها ، ولأن « إياك نعبد » متعلق بألوهيته واسمه « الله » و« إياك نستعين » متعلق بربوبيته واسمه « الرب » فقدم « إياك نعبد » على « إياك نستعين » كما قدَّم اسم « الله » على « الرب » في أول السورة ، لأن « إياك نعبد » قسم الرب ، فكان من الشطر الأول ، الذي هو ثناءٌ على الله تعالى لكونه أولى به و« إياك نستعين » قسم العبد ، فكان من الشطر

الذي له ، وهو ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ إلى آخر السورة ولأن « الاستعانة » جزء من « العبادة » من غير عكس ، ولأن « الاستعانة » طلب منه ، و« العبادة » طلب له ، ولأن العبادة لا تكون إلا من مخلص ، والاستعانة تكون من مخلص وغير مخلص ولأن العبادة حقه الذي أوجبه عليك ، والاستعانة طلب العون على العبادة ، وهو بيان صدقته التي تصدَّق بها عليك ، وأداء حَقِّه أهم من التعرض لصدقته ، ولأن العبادة شكر نعمته عليك . والله يحب أن يُشْكَرَ ، والإعانة فعله بك وتوفيقه لك فإذا التزمت عبوديته ودخلت تحت رقِّها أعانك عليها ، فكان التزامها والدخول تحت رقها سببًا لنيل الإعانة ، وكلما كان العبد أتم عبودية كانت الإعانة من الله له أعظم .

و« العبودية » محفوفة بإعانتين : إعانة قبلها على التزامها والقيام بها ، وإعانة بعدها على عبودية أخرى ، وهكذا أبدًا حتى يقضي العبد نَحْبَهُ ، فهذه الأسرار يتبيَّن بها حكمة تقديم « إياك نعبد » على « إياك نستعين » ، وأما تقديم المعبود والمستعان على الفعلين ففيه أدبهم مع الله بتقديم اسمه على فعلهم ، وفيه الاهتمام وشدة العناية به ، وفيه الإيذان بالاختصاص ، المسمى بالحصر ، فهو في قوة : لا نعبد إلا إياك ، ولا نستعين إلا بك ، والحاكم في ذلك ذوق العربية والفقه فيها ، وتأمل قوله تعالى : ﴿وَإِيَّىٰ فَٱرْهَبُونِ﴾ ﴿وَإِيَّىٰ فَٱتَّقُونِ﴾ [البقرة : ٤٠، ٤١]

كيف تجده في قوة : لا ترهبوا غيري ، ولا تتقوا سواي ؟ وكذلك « إياك نعبد وإياك نستعين » هو في قوة : لا نعبد غيرك ولا نستعين بسواك .

وكل ذي ذوق سليم يفهم هذا الاختصاص من علة السياق .

وفي إعادة « إياك » مرة أخرى دلالة على تعلّق هذه الأمور بكل واحد من الفعلين ففي إعادة الضمير من قوة الاقتضاء لذلك ما ليس في حذفه ، فإذا قلت لملكٍ مثلا : إياك أحب ، وإياك أخاف ، كان فيه من اختصاص الحب والخوف بذاته والاهتمام بذكره ، ما ليس في قولك : إياك أحب وأخاف .

* * *

نستعين بالله على عبادته

إذا عرفت هذا فالناس في هذين الأصلين وهما : العبادة والاستعانة – أربعة أقسام ، أجلّها وأفضلها : أهل العبادة والاستعانة بالله عليها ، فعبادة الله غاية مرادهم وطلبهم منه أن يعينهم عليها ، ويوفقهم للقيام بها ، ولهذا كان من أفضل ما يُسْأَلُ الرب تبارك وتعالى : الإعانة على مرضاته ، وهو الذي علمه النبيُّ ﷺ لحِبِّه معاذ بن جبل رضي الله عنه ، فقال : « يا معاذ والله إني لأحبك ، فلا تنس أن تقول دبر كل صلاة : اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك »[1] فأنفع الدعاء : طلب المعونة على مرضاته ، وأفضل المواهب : إسعافه بهذا المطلوب ، وجميع الأدعية المأثورة مدارها على هذا ، وعلى دفع ما يضاده ، وعلى تكميله وتيسير أسبابه فتأملها .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – قدس الله روحه - : تأملت أنفع الدعاء : فإذا هو سؤال العون على مرضاته ، ثم رأيته في الفاتحة في ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ »[2] .

* * *

(١) رواه النسائي وأبو داود « صحيح الجامع » (٧٩٦٩) .
(٢) « تهذيب مدارج السالكين » (ص/٦٥) .

الأركان الأربعة للعبادة التامة

وبني «إياك نعبد» على أربع قواعد: التحقق بما يحبه الله ورسوله ويرضاه من قول اللسان والقلب، وعمل القلب والجوارح.

فالعبودية: اسم جامع لهذه المراتب الأربعة، فأصحاب «إياك نعبد» حقًا هم أصحابها فقول القلب: هو اعتقاد ما أخبر الله سبحانه به عن نفسه، وعن أسمائه وصفاته وأفعاله وملائكته ولقائه على لسان رسله.

وقول اللسان: الإخبار عنه بذلك، والدعوة إليه، والذّبّ عنه، وتبيين بطلان البدع المخالفة له والقيام بذكره، وتبليغ أوامره.

وعمل القلب: كالمحبة له، والتوكل عليه، والإنابة إليه، والخوف منه والرجاء له وإخلاص الدين له، والصبر على أوامره وعن نواهيه، وعلى أقداره، والرضا به وعنه، والموالاة فيه، والمعاداة فيه، والذل له والخضوع والإخبات إليه، والطمأنينة به، وغير ذلك من أعمال القلوب، وعمل الجوارح بدونها إما عديم المنفعة أو قليل المنفعة، وأعمال الجوارح: كالصلاة والجهاد، ونقل الأقدام إلى الجمعة والجماعات ومساعدة العاجز، والإحسان إلى الخلق ونحو ذلك.

فـ « إياك نعبد » التزام لأحكام هذه الأربعة ، وإقرار بها ، و« إياك نستعين » طلب للإعانة عليها والتوفيق لها ، و« اهدنا الصراط المستقيم » متضمن للتعريف بالأمرين على التفصيل ، وإلهام القيام بها ، وسلوك طريق السالكين إلى الله بها .

* * *

مراتب « إياك نعبد » علمًا وعملًا

للعبودية مراتب ، بحسب العلم والعمل ، **فأما** مراتبها العلمية فمرتبتان :

إحداهما : العلم بالله .

الثانية : العلم بدينه .

فأما العلم به سبحانه ، **فخمس** مراتب : العلم بذاته ، وصفاته ، وأفعاله ، وأسمائه ، وتنزيهه عما لا يليق به .

والعلم بدينه مرتبتان : **إحداهما** : دينه الأمري الشرعي ، وهو الصراط المستقيم الموصل إليه ، **والثانية** : دينه الجزائي ، المتضمن ثوابه وعقابه ، وقد دخل في هذا العلمِ العلمُ بملائكته وكتبه ورسله .

وأما مراتبها العملية ، فمرتبتان : مرتبة لأصحاب اليمين ، ومرتبة للسابقين المقربين ، **فأما** مرتبة أصحاب اليمين : فأداء الواجبات ، وترك المحرمات ، مع ارتكاب المباحات ، وبعض المكروهات ، وترك بعض المستحبات .

وأما مرتبة المقربين : فالقيام بالواجبات والمندوبات ، وترك المحرمات والمكروهات ، زاهدين فيما لا ينفعهم في معادهم متورعين عما يخافون ضرره .

خاصتهم : قد انقلبت المباحات في حقهم طاعات وقربات بحسن النية ، في تلقي هذه النعم والآلاء من ربهم العليم الحكيم ، الذي ما أعطى عباده هذه النعم إلا ليربيهم بها ، وينمي فيهم ملكات الخير ، ويزيدهم بها من عناصر الإنسانية الكريمة يرقون بها على معارج الخير والإحسان والرشد والحكمة ، فيكونون من الأبرار ، فهم في كل شؤونهم وأحوالهم عابدون ذاكرون لربهم الرحمن بكل أنواع الذل والخضوع والمحبة والإسلام فهم في حقلهم عابدون ، وفي متاجرهم عابدون ، وفي مضاجعهم مع أزواجهم عابدون وهكذا لا يَروْن في شيءٍ مما آتاهم الله ما يشغلهم عن ربهم وينسيهم أسماءه ، وما يَرون في شيءٍ إلا أنه عنصر جديد من عناصر التربية والإحسان ، فيزدادون لمسديها إليهم سبحانه شكرًا وحبًا وخضوعًا وذلًا وإسلامًا وطاعة ، فليس في حقهم مباح متساوي الطرفين بل كل أعمالهم راجحة ، ومن دونهم يترك المباحات مشتغلا عنها بالعبادات وهؤلاء يأتونها طاعات وقربات . لأهل هاتين المرتبتين درجات لا يحصيها إلا الله » . انتهى[1] .

وينبغي أن تحرص على تدبر ما تقرؤه من السور ، فهذا زرارة بن أوفى لما انتهى إلى قوله تعالى : ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ﴾ [المدثر : ٨] خرَّ

(١) « مدارج السالكين » لابن القيم .

ميتًا ، وكان يصلي الصبحَ ، وكان إبراهيم النخعي إذا سمع قوله تعالى : ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾ [الانشقاق : ١] اضطرب حتى تضطرب أوصاله وحق له أن يحترق قلبه بوعد سيده ووعيده ، فإنه عبد ذليل بين يدي جبّار قاهر . وتكون هذه المعاني بحسب درجات الفهم ، ويكون الفهم بحسب وفور العلم ، وصفاء القلب ، ودرجات ذلك لا تنحصر ، والصلاة مفتاح القلوب فيها تنكشف أسرار الكلمات ، فهذا حَقُّ القراءة وهو حَق الأذكار والتسبيحات .

والناس في القراءة ثلاثة : رجل يتحرك لسانه وقلبه غافل ، ورجل يتحرك لسانه وقلبه يتبع اللسان ، فيفهم ويسمع منه كأنه يسمعه من غيره ، ورجل يسبق قلبه إلى المعاني أولا ، ثم يخدم اللسان القلب فيترجمه ، ففرقٌ بين أن يكون اللسان ترجمان القلب أو يكون معلم القلب ، والمقربون لسانهم ترجمان يتبع القلب ولا يتبعه القلب . وأما دوام القيام ، فإنه تنبيهٌ على إقامة القلب مع الله عز وجل على نعتٍ واحد من الحضور ، فإن الله يقبل على المصلي ما لم يلتفت ، وكما تجب حراسة الرأس والعين عن الالتفات إلى الجهات ، فكذلك تجب حراسة السر عن الالتفات إلى غير الصلاة ، فإذا التفت إلى غيره ، فذكِّره باطلاع الله عليه ، وبقبح التهاون بالمناجَى عند غفلة المناجي ليعود إليه ، وخشوع القلب يثمر خشوع الجوارح فإن

الرعية بحكم الراعي .

قال عكرمة في قوله عز وجل : ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٨، ٢١٩] يرى قيامه وركوعه وسجوده ، في الصلاة يراك وحدك ويراك في الجمع .

❋ عاشرًا : الركوع والسجود :

فينبغي أن تجدد عندهما ذكر كبرياء الله سبحانه ، وترفع يديك مستجيرًا بعفو الله عز وجل من عقابه ، بتجديد نِيَّةٍ ، متبعًا سُنَّة نبيه ﷺ ، ثم تستأنف له ذُلا وتواضعًا بركوعك ، وتجتهد في ترقيق قلبك وتجديد خشوعك ، وتستشعر ذلك ، وعِزَّ مولاك واتضاعك وعُلُوَّ ربِّك ، وتستعين على تقرير ذلك في قلبك بلسانك ، فتسبِّح ربك وتشهد له بالعظمة ، وأنه أعظم من كل عظيم ، وتكرر ذلك على قلبك لتؤكده بالتكرار ثم ترتفع من ركوعك راجيًا أنه راحم لك ، ومؤكدًا للرجاء في نفسك بقولك : « سمع الله لمن حمده » ، ثم تردف ذلك الشكر المتقاضي للمزيد ، فتقول : « ربنا لك الحمد » . وتكثر الحمد بقولك : « ملء السماوات وملء الأرض » ، ثم تهوي إلى السجود ، وهو أعلى درجات الاستكانة ، فتمكِّن أعَزَّ أعضائك وهو الوجه ، من أذلِّ الأشياء وهو التراب ، وإن أمكنك ألا تجعل بينهما حائلا فتسجد على الأرض ، فافعل ، فإنه أجلب للخشوع وأدلُّ على

الذل ، وإذا وضعت نفسك موضع الذل فاعلم أنك وضعتها موضعها ، ورددت الفرع إلى أصله ، فإنك من التراب خُلِقْتَ وإليه تعود ، فعند هذا جدد على قلبك عظمة الله وقل : « سبحان ربي الأعلى » وأكده بالتكرار ، فإن الكرَّةَ الواحدة ضعيفة الأثر ، فإذا رقَّ قلبك وظهر ذلك ، فلتصدق رجاءك في رحمة الله ، فإن رحمته تتسارع إلى الضعف والذل ، فارفع رأسك مكبِّرًا وسائلا حاجتك وقائلا : « رب اغفر وارحم ، وتجاوز عما تعلم » ، ثم أكِّد التواضع بالتكرار فَعُدْ إلى السجود ثانيًا .

❋ حادي عشر : التشهد :

فإذا جلست له ، فاجلس متأدِّبًا ، وصرِّح بأن جميع ما تُدْلِي به من الصلوات الطيبات ، أي من الصفات الطاهرة لله ، وكذلك الملك لله وهو معنى التحيات ، وأحضر في قلبك النبيَّ وشخصه الكريم ﷺ ، وقل : « السلام على النبي ورحمة الله وبركاته » وليصدق أَمَلُكَ في أنه يبلغه ، ثم تُسَلِّم على نفسك وعلى جميع عباد الله الصالحين ، ثم تَشْهَدُ له تعالى بالوحدانية ، ولمحمدٍ نبيه ﷺ بالرسالة ، مجدِّدًا عهد الله سبحانه ، بإعادة كلمتي الشهادة ، ومستأنفًا للتَّحَصُّنِ بها ، ثم ادع في آخر صلاتك بالدعاء المأثور ، مع التواضع والخشوع ، والضراعة والابتهال ، وصدق الرجاء بالإجابة ، وأشرك في دعائك

أبويك وسائر المؤمنين ، واقصد - عند التسليم - السلام على الملائكة والحاضرين ، وانو ختم الصلاة به ، ونِعِمَّا به من ختمٍ تحسدنا عليه يهود .

واستشعر شكر الله سبحانه على توفيقه لإتمام هذه الطاعة وتوهَّم أنك مُوَدِّع بصلاتك هذه ، وأنك ربما لا تعيش لمثلها ، وقال ﷺ للذي أوصاه : « صلِّ صلاة مودِّع » ثم أشعر قلبك الوجل والحياء من التقصير في الصلاة ، وخف ألا تقبل صلاتك وأن تكون ممقوتًا بذنبٍ ظاهرٍ أو باطن ، فتردُّ صلاتك في وجهك ، وترجو مع ذلك أن يقبلها بكرمه وفضله .

« كان يحيى بن وثاب ، وهو أقرأ من بال على تراب ، إذا قضى صلاته مكث مليًا تعرف فيه كآبة الصلاة » كما قال الأعمش ، وقال أيضًا : « كنت إذا رأيته قد جثا ، قلت هذا وقف للحساب ، فيقول : أي رب ، أذنبتُ كذا فعفوتَ عني ، فلا أعود ، وأذنبتُ كذا فعفوتَ عني ، فلا أعود »[1] .

وكان إبراهيم التيمي يمكث بعد الصلاة ساعة كأنه مريض .

وهذا حاتم الأصم : لما سُئلَ عن صلاته ، قال : أقوم إلى صلاتي ،

---

(١) « سير أعلام النبلاء » (٣٧٩/٤- ٣٨٢) .

وأجعل الكعبة بين حاجبي ، والصراط تحت قدمي ، والجنة عن يميني ، والنار عن شمالي ، وملك الموت ورائي أظنها آخر صلاتي .

فهذا تفصيل عالي الهمة من الخاشعين ، الذين هم في صلاتهم خاشعون ، والذين هم على صلواتهم يحافظون ، والذين هم على صلاتهم دائمون ، فليعرض الإنسان نفسه على هذه الصلاة ، فبالقدر الذي يُسِّرَ له منه ، ينبغي أن يفرح ، وعلى ما يفوته ينبغي أن يتحسَّر وفي مداراة ذلك ينبغي أن يجتهد »[1] .

وإذا دُعِيتَ إلى أداءِ فريضة فانْشَطْ ولا تك في الإجابة واني
قُمْ بالصلاة الخمس واعرف قدرها فلهن عند الله أعظم شانِ[2]

* * *

(١) «إحياء علوم الدين» للغزالي (١/١٩١ - ٢٠٠) بواسطة «صلاح الأمة» لأبي تراب العفاني حفظه الله (٢/٣٤٣ - ٣٥٢) .
(٢) نونية القحطاني (ص٣١) .

ملحق بفتاوى العلماء في بيان
أهمية الصلاة وبقية أمورها

*** أولا : من فتاوي اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء**[1]

○ **الفتوى الأولى :**

❋ **السؤال** : ما حكم تارك الصلاة وما حكم فعلها مع الجماعة ؟

۞ **الجواب** : وبعد دراسة اللجنة للاستفتاء كتبت الجواب التالي :

الصلاة أعظم أركان الإسلام الخمسة بعد الشهادتين ، فمن تركها جاحدًا لوجوبها فهو كافر بإجماع المسلمين ، ومن تركها تهاونًا وكسلًا فالصحيح من أقوال العلماء أنه يكفر والأصل في ذلك ما رواه مسلم في صحيحه عن النبي ﷺ ، أنه قال : « بين العبد وبين الكفر والشرك ترك الصلاة » . وما رواه الإمام أحمد في المسند والترمذي في الجامع عن النبي ﷺ ، أنه قال : « العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر » .

---

(١) نقلًا عن « مجلة التوعية الإسلامية في الحج » التي تصدر عن وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالسعودية ، « العدد » (٢٠٩) السنة العشرون العدد الثالث ذو الحجة ١٤١٤هـ (ص ١٧٢ - ١٧٤ و١٧٧ - ١٨٠).

وأما فعلها في جماعة فواجب وجوب عين ، والأصل في ذلك الكتاب والسنة ، فمن أدلة الكتاب قوله تعالى : ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ﴾ الآية . فأمر الله سبحانه وتعالى نبيه محمدًا ﷺ ، بإقامة الصلاة جماعة في حال الخوف يدل على أنها في غيره أولى .

وأما السنة فما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أتى النبي ﷺ رجل أعمى فقال : يا رسول الله ، ليس لي قائد يقودني إلى المسجد فسأل رسول الله ﷺ أن يرخص له ، فرخص له ، فلما ولّى دعاه فقال : « هل تسمع النداء » ؟ قال : نعم . قال : « فأجب » وفي رواية لأحمد : « لا أجد لك رخصة » و وجه الدلالة أن النبي ﷺ لم يرخص لهذا الأعمى ، فإذا كان الأعمى لم يجد له النبي ﷺ رخصة فالبصير أولى بأن لا تكون له رخصة ، ويؤيد هذا ما ثبت عنه ﷺ هَمُّهُ بالتحريق بالنار لأقوام تخلفوا عن الصلاة جماعة في المسجد ، إذ غير جائز أن يُهدَّد من تخلف عن ندب أو فريضة كفاية . وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه .

○ **الفتوى الثانية :**

❋ **السؤال :** مسلم يصلي في بيته يقول : إنه قوي الإيمان لا يذهب إلى المساجد إلا يوم الجمعة فإذا مات ، فهل يُصلي عليه أهل

المسجد صلاة جنازة أو لا ؟!

الجواب : الصحيح من أقوال العلماء أن صلاة الفرائض الخمس في جماعة واجبة على القادر من الرجال فمن تخلف من الرجال عن أدائها جماعة في المسجد من غير عذر فهو آثم عاص لله ورسوله ﷺ والدليل على ذلك أن الله شرع صلاتها جماعة وقت الجهاد في سبيل الله في أحرج الأوقات ، ولو ترتب على ذلك فوات بعض شروط صحتها كما في بعض كيفيات صلاة الخوف قال تعالى : ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ﴾ الآية ، والدليل من السنة ما روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « والذي نفسي بيده لقد هممت أن آمر بحطب فيحتطب ، ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها ، ثم آمر رجلا فيؤم الناس ، ثم أخالف إلى رجال لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم . والذي نفسي بيده لو يعلم أحدهم أنه يجد عرقًا سمينًا أو مرماتين حسنتين لشهد العشاء » متفق عليه .

فدل ذلك على وجوب صلاة الجماعة على الرجال ، لكن من تركها منهم دون عذر ليس بكافر . مؤمن بإيمانه عاصٍ بتركه لأداء فريضة الصلاة في جماعة فيُصَلَّى عليه صلاة الجنازة في المسجد أو غيره إذا مات كغيره من عصاة المؤمنين .

○ **الفتوى الثالثة :**

❋ **السؤال :** هل يجوز للموظفين أن يصلوا في إدارتهم مع أن بجوارهم مسجدًا أم لا بد من الصلاة في المسجد ؟

۞ **الجواب :** جرت السنة القولية والفعلية من الرسول ﷺ على أن أداء الصلاة في جماعة في المسجد وقد هَمَّ ﷺ أن يُحرّق على المتخلفين عنها بيوتهم بالنار وجرى على أدائها في المسجد خلفاؤهُ والصحابة رضوان الله عليهم وأتباعه وصح عنه ﷺ أنه قال : « من سمع النداء ، فلم يأت فلا صلاة له إلا من عذر » وثبت عنه أيضًا أنه قال له رجل أعمى : يا رسول الله ليس لي قائد يقودني إلى المسجد فهل لي من رخصة أن أصلي ببيتي ؟ فقال ﷺ : « هل تسمع النداء بالصلاة » ؟ قال : نعم . قال : « أجب » وفي رواية : « لا أجد لك رخصة » .

وبذلك يتضح أن الواجب على موظفي أي إدارة ونحوها أن يصلوا الظهر جماعة في المسجد المجاور لهم عملًا وأداءً للواجب وسدًّا لذريعة التحيل للتخلف عن أداء الصلاة في المساجد وابتعادًا عن مشابهة أهل النفاق .

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

○ **الفتوى الرابعة :**

❋ **السؤال :** في صلاة المغرب وبالركعة الثالثة تذكرت عذاب القبر وأهواله وما فيه من عذاب ومشقات فسالت دموعي وأخذت بالبكاء ما يقرب من خمس دقائق وبعدها أكملت الصلاة ، فهل صلاتي جائزة أم عليَّ الإعادة ؟

۞ **الجواب :** من هدي رسول الله ﷺ وهو يقرأ في الصلاة أنه إذا مرَّت به آية رحمة سأل وإذا مرَّت به آية عذاب استعاذ ، وقد مدح الله الباكين في الصلاة بقوله : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا * وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩﴾ [الإسراء : ١٠٩] ، وقوله تعالى بعد ذكره لطائفة من الرسل : ﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم : ٥٨] ، فعلم من هذا أن البكاء في الصلاة إذا كان خوفًا من الله فإنه لا يبطلها .

○ **الفتوى الخامسة :**

❋ **السؤال :** في مدينتنا مجموعتان من الناس : مجموعة يستدلون في كل أقوالهم بالحديث الشريف ، والمجموعة الأخرى يتبعون المذهب المالكي في كل عباداتهم : مثلًا هناك أناس وشباب يرفعون أيديهم في الركوع وعند الرفع من الركوع ، ويستدلون على

هذا بالحديث النبوي الشريف ، أما الآخرون فلا يفعلون هذا ، ويقولون بأن الإمام مالك رضي الله عنه لم يفعل هذا ، وهل أنتم تعلمون مثل ما يعلم إمام دار الهجرة ؟ فما هو رأيك في هذه القضية ؟

الجواب : يجب على المسلم أن يعرف الأحكام الشرعية من أدلتها المعتبرة شرعًا من الكتاب والسنة والإجماع ، وما استند إليها كالقياس ونحوه إذا كان أهلًا للبحث والاجتهاد وإلا سأل من يثق به من أهل العلم وقَلّدهُ دون تعصب لواحدٍ من المجتهدين ، وقد دَلّت السنة الصحيحة عن النبي ﷺ ، على مشروعية رفع اليدين عند تكبيرة الإحرام وعند الركوع والرفع منه والقيام إلى الثالثة ، فلا يجوز أن تعارض السنة بقول أحد من الناس . وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

○ **الفتوى السادسة** :

السؤال : ما حكم الشرع في المصافحة عقب الصلاة ، هل هِيَ بدعة أم سنة وبيان أدلة الحكم ؟

الجواب : المصافحة عقب صلاة الفريضة بصفة دائمة لا نعلم لها أصلا بل هي بدعة وقد ثبت عن رسول الله ﷺ ، أنه قال : « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رَدٌّ » وفي رواية : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رَدٌّ » .

○ **الفتوى السابعة :**

❁ **السؤال :** وقفتُ أُصلِّي منفردًا في الفريضة وجاء آخر فأْتَمَّ بي فما حكم تحوُّل النية من المنفرد إلى الإمام في الصلاة ؟

۞ **الجواب :** تغيُّر النية من منفرد إلى إمام في الصلاة وعلى النحو الذي ذكرت يجوز ، لما ثبت في الصحيحين عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : « قمتُ عند خالتي ميمونة فقام رسول الله ﷺ يصلي من الليل فقمت عن يساره فأخذ بشحمة أذني وجعلني عن يمينه » كما يجوز تحوّل المأموم إلى منفرد ، والإمام إلى مأموم إذا دعت الحاجة[1] .

○ **الفتوى الثامنة :**

❁ **السؤال :** ما حكم الصلاة على السجادة التي فيها صور المساجد والقباب التي على القبور والمنارات وأمثالها ؟

۞ **الجواب :** إن تصوير ما ليس فيه روح جائز ، والصلاة على السجادة التي فيها صور ما لا روح فيه مكروهة لما في ذلك من شغل المصلي في صلاته ، لكنها صحيحة لما رواه أحمد وأبو داود من طريق

---

(١) وراجع في موضوع النية وحكم تحولها بما لا مزيد عليه في كتاب شيخنا العلامة أبي عمار وحيد بن عبد السلام حفظه الله « الإكليل في شرح منار السبيل » (١/٣٤١-٣٥٤) .

عثمان بن طلحة أن النبي ﷺ ، دعاه بعد دخوله الكعبة فقال : « إني كنت رأيت قرني الكبش حين دخلت البيت فنسيت أن آمرك أن تخمرهما ، فخمّرهما فإنه لا ينبغي أن يكون في قبلة البيت شيء يُلْهِي المُصَلِّي ، وروى أحمد والبخاري عن طريق أنس قال : « كان قِرام لعائشة قد سترت به جانب بيتها ، فقال لها النبي ﷺ : « أميطي عني قرامك هذا ، فإنه لا تزال تصاويره تعرض لي في صلاتي » فأمر بتخمير القرنين وإماطة القرام وبيَّنَ أن ذلك مما يشغل المصلي ، ولم يثبت أن النبي ﷺ قطع صلاته ، وروى البخاري ومسلم من طريق عائشة أن النبي ﷺ ، صلّى في خميصة لها أعلام فنظر إلى أعلامها نظرة ، فلما انصرف قال : « اذهبوا بخميصتي هذه إلى أبي جهم وائتوني بانبجانية أبي جهم فإنها ألهتني آنفًا عن صلاتي » ، وفي هذا تحذير منه ﷺ عما يلهي المصلي في صلاته ، ولكنه لم يقطع صلاته فدل ذلك على النهي عما يلهي في الصلاة وعلى صحة الصلاة مع ذلك . وصلى الله علي نبينا محمد وآله .

○ **الفتوى التاسعة :**

❋ **السؤال** : عن حكم الدعاء الجماعي عقب الصلوات ودعاء الفاتح ؟

۞ **الجواب** : الدعاء الجماعي بعد سلام الإمام بصوت واحد لا

نعلم له أصلا يدل على مشروعيته ، وقد صدرت فتوى من اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في ذلك هذا نَصُّهَا : « ليس الدعاء بعد الفرائض بسنة إذا كان ذلك برفع الأيدي سواءً كان من الإمام وحده أو المأموم وحده أو منهما جميعًا ، بل ذلك بدعة لأنه لم ينقل عن النبي ﷺ ولا أصحابه رضي الله عنهم .

○ **الفتوى العاشرة :**

❋ **السؤال :** أيهما أفضل : التسبيح باليد اليمنى أم الشمال ؟

۞ **الجواب :** الأفضل أن يكون ذلك باليمين لأنه ثبت عن النبي ﷺ ، أنه كان يعقد التسبيح بيمينه ، ولعموم حديث عائشة رضي الله عنها كان النبي ﷺ يعجبه التيمن في تنعُّله وترجُّلِه وطهوره وفي شأنه كله[1] .

○ **الفتوى الحادية عشر :**

❋ **السؤال :** هل لرجال تأخروا عن الجماعة في المسجد ووجدوا الناس قد صلوا أن يصلوا في المسجد جماعة أخرى أَوْ لا ؟ وهل هناك تعارض بين حديث : « من يتصدَّق على هذا » وبين قول

---

(١) راجع في هذا الموضوع كتاب « فتح المعين بتصحيح حديث عقد التسبيح باليمين » لفضيلة العلامة الشيخ فريح البهلال ، تقديم سماحة الوالد الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله ، وقد نشر في مجلة البحوث العلمية العدد (٢١) .

ابن مسعود رضي الله عنه ، أو غيره ، كنا إذا فاتتنا الجماعة أو انتهت الجماعة صلينا فرادى أو كما قال رضي الله عنه ؟

الجواب : من جاء إلى المسجد فوجد الجماعة قد صلّوا بإمام راتب أو غير راتب فليصلها جماعة مثله ممن فاتهم الجماعة ، أو يتصدق عليه بالصلاة معه بعض من قد صلى ، لحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ، أبصر رجلا يصلي وحده فقال : « ألا رجل يتصدق على هذا فيصلي معه » فقام رجل فصلى معه ، وفي رواية : « أيكم يتجر على هذا » فقام رجل فصلى معه ، وقال الترمذي : وهو قول غير واحد من الصحابة والتابعين قالوا : لا بأس أن يصلي القوم جماعة في مسجدٍ قد صُلِّيَ فيه جماعة ، وبه يقول أحمد وإسحاق ، وقال آخرون : يصلون فرادى ، وبه يقول سفيان وابن المبارك ومالك والشافعي يختارون الصلاة فرادى . اهـ .

وإنما كره هؤلاء ومن وافقهم ذلك ، خشية الفرقة وتوليد الاجتهاد ، وأن يتخذ أهل الأهواء من ذلك ذريعة إلى التأخر عن الجماعة ليصلوا جماعة أخرى خلف إمام يوافقهم على نحلتهم وبدعتهم ، فسدًا لباب الفرقة ، وقضاءً على مقاصد أهل الأهواء السيئة هو أن لا تصلى فريضة جماعة في مسجدٍ بعد أن صُلِّيَتْ فيه جماعة بإمام راتب أو مطلقًا والقول الأول هو الصحيح لما تقدم من الحديث ،

ولعموم قوله تعالى : ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ وقوله ﷺ : « إذا أمرتكم بأمرٍ فائتوا منه ما استطعتم » ولا شك أن الجماعة من تقوى الله ومما أمرت به الشريعة ، فينبغي الحرص عليها على قدر المستطاع ، ولا يصح أن يُعَارض النقلُ الصحيح بعلل رآها أهل العلم وكرهوا تكرار الجماعة في المسجد من أجلها ، بل يجب العمل بما دلّت عليه النقول الصحيحة فإن عُرِف عن أحدٍ أو جماعة تأخر لإهمال ، وتكرر ذلك منهم أو عرف من سيماهم ونحلتهم أنهم يتأخرون ليصلوا مع أمثالهم عُزِّروا وأُخِذ على أيديهم بما يراه وَلِيُّ الأمر ردعًا لهم ولأمثالهم من أهل الأهواء ، وبذلك يُسَدُّ بابُ الفرقة ويُقْضى على أغراض أهل الأهواء ، دون ترك العمل بالأدلة التي دلت على الصلاة جماعة لمن فاتتهم الجماعة الأولى .

○ **الفتوى الثانية عشرة :**

❋ **السؤال :** ما الحكم في المواظبة على السلام ومصافحة الإمام والجالس على اليمين والشمال دبر كل صلاة مفروضة ؟

۞ **الجواب :** المواظبة على السلام على الإمام ومصافحته والتزام المصلي السلام على من عن يمينه ومن عن يساره عقب الصلوات الخمس بدعة ، لأنه لم يثبت ذلك عن النبي ﷺ ولا عن خلفائه الراشدين وسائر الصحابة رضي الله عنهم ، ولو كان لنقل

إلينا ، لتكرار الصلاة كل يوم خمس مرات ، وذلك لا يخفى على المسلمين لكونه في مشاهدة عامة ، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رَدٌّ » .

○ **الفتوى الثالثة عشرة :**

❋ **السؤال** : يقول فيه أنه مبتعث إلى الولايات المتحدة ولا يوجد لديهم مساجد ولا يعرف صلاة الجمعة منذ سنتين ، فما الحكم ؟

۞ **الجواب** : المبتعث لدراسة في بلدٍ في حكم المقيم تلزمه الجمعة إذا وجد جماعة مقيمين ، فإذا كنتم عددًا ثلاثة فأكثر فصلوا جمعة في بيت أو حديقة أو غير ذلك يؤذِّن لكم أحدكم ويخطب لكم ويؤمكم أقرؤكم لقوله تعالى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ﴾ ولأن النبي ﷺ ، لم يشترط عددًا معينًا في الجمعة ولكن علم من سنته ﷺ ، ومن إجماع أهل العلم أنها لا تقام إلا في جماعة ، ولما في إقامة الجمعة من مصالح كثيرة للمقيمين لها ولعموم المسلمين .

○ **الفتوى الرابعة عشرة** : رقم « ٧٤٨٤» .

❋ **السؤال** : كيف أتخلّص من وسواس الشيطان في الصلاة ؟

۞ **الجواب** : لا تتبعه فيما يوسوس لك به في صلاتك بل أعرض عنه واشغل نفسك بتدبُّر ما تقرأ من القرآن والتفكر في عظمة

الله وجلاله في التكبير والتسبيح والتحميد في قيامك وركوعك وسجودك وجلوسك للتشهد وسائر الأقوال والأفعال المشروعة في صلاتك ، ولتستعذ بالله منه ثلاث مرات ولتنفث مع ذلك عن يسارك . وبالله التوفيق .

* * *

ثانيًا : من فتاوى شيخنا العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله

❋ **س ١ :** ما حكم الإتيان إلى المسجد بثياب النوم ؟

ج ١ : لا بأس بالصلاة بثياب النوم إذا كانت طاهرة ، سواءً أتى بها إلى المسجد أم لم يأت بها اللهم إلا إذا كانت تلك الثياب تلفت النظر بحيث يُعْتَب عليه ويكون شهرة يُتَكلم به في المجالس من أجلها ، فإنه ينبغي للإنسان أن يتجنب مثل هذه الأمور التي تكون سببًا لاغتيابه بين الناس .

❋ **س ٢ :** إنني أشكو من كثرة الغازات التي تخرج مني بسبب مرض أَلَمَّ بي ، وأنا أدافع هذه الغازات في صلاتي ، مع أني أعيد الوضوء إذا أتتني قبل إقامة الصلاة ، فما حكم الشرع في ذلك علمًا بأنني اجتهدت في ذلك بحيث أنني لا أخرج من غرفتي إلى الصلاة إلا قبل الإقامة بقليل فإن أتتني في صلاتي حبستها ؟ وحدث لي يوم الجمعة ذلك ، أني حضرت إلى المسجد مبكرًا وبينما أنا أصلي النوافل أتتني ، ثم خرجت فتوضأت ، ثم دخلت المسجد فجلست لتلاوة القرآن فأتتني فحبستها حتى أتى الإمام وخطب ، وقمنا إلى الصلاة ،

وفي أثناء الركعة الثانية أتتني بشدة فحبستها ، ولكني بعد الصلاة خفت أن صلاتي لا تجوز فذهبت إلى الغرفة ، وصليتها ظهرًا ، فهل هذا يجوز ؟

ج ٢ : هذا الذي ذكر السائل من هذه الغازات التي تنحبس وتؤذيه لا حرج عليه أن يبقى في بيته حتى يقرب مجيء الإمام ، ثم يتوضأ ويأتي إلى الصلاة ، وإذا قُدِّر أنه أتى ثم هاجت عليه في أثناء صلاته وحبسها فلا حرج عليه أيضًا ، وصلاته صحيحة ، ما دام أنه يحس بما يقول ويفعل ، أما لو حاصرته حتى لا يعرف ما يقول؛ فإن الأفضل بل قد نقول : إن الأوجب أن يخرج من صلاته وأن يعيدها من جديد .

وأما وصفه بالنسبة لصلاة الجمعة؛ فإنه اجتهاد ، ويؤجر عليه إن شاء الله تعالى ، لأنه صلّى مرتين ولكنه لا يلزمه أن يصليها؛ لأنه أدى الجمعة وأنهاها ولكن يعيدها ظهرًا إذا أحدث ، أما قضية فعله فلا ، ولا ينبغي له أن يعيد .

س ٣ : أحيانًا أستمع الغناء بعد الصلاة مباشرة ، فمثلًا عندما أذهب إلى الصلاة بالسيارة أستمع إلى الغناء عندما أخرج من الصلاة ، فهل صلاتي مقبولة ؟

ج ٣ : أما صلاتك ، فصحيحة ، ولكن استماعك إلى الغناء

محرَّم ، فعليك يا أخي أن تدع هذا الشيء ، وأن تستمع إلى القرآن أو الأخبار حتى تسلم من الإثم .

❋ **س ٤**: شخص مصاب بسلس البول ، فهل يجوز له أن يؤدي بعض العبادات ، كالصلاة وقراءة القرآن ، والطواف ، بوضوء واحد ؟

۞ **ج ٤**: المعروف عند أهل العلم أن من ابتُلِيَ بسلس البول؛ فإنه يتوضأ للصلاة بعد دخول وقتها ، وإذا توضأ بعد دخول الوقت بَقِيَ على طهارته إلى أن يخرج الوقت ، فإذا خرج ، وأراد عبادة أخرى يُشترط لها الطهارة؛ فلا بد من الطهارة .

وبناءً على ذلك فإن توضأ لصلاة المغرب بعد أذان المغرب ، ثم دخل وقت العشاء ، فلا بد أن يخرج ويتوضأ ، هذا إذا خرج منه شيء ، أما إذا لم يخرج منه شيء في هذه المدة فلا حاجة لإعادة الوضوء ، وإذا قُدِّر أنه توضأ لصلاة الفجر بعد أذان الفجر ، فهو على طهارته حتى تطلع الشمس ، فلا بد من إعادة الوضوء .

❋ **س ٥**: ما حكم رفع الصوت بالبكاء في صلاة التراويح وغيرها ، علمًا بأنه قد يسبب تشويشًا للآخرين ؟

۞ **ج ٥**: لا شك أن البكاء من خشية الله عز وجل من صفات أهل الخير والصلاح ، وكان ﷺ يخشع في صلاته ويكون لصدره

أزيز كأزيز المرجل وقال تعالى : ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ ، فالبكاء عند قراءة القرآن وعند السجود وعند الدعاء من صفات الصالحين ، والإنسان يُحْمَدُ عليه ، والأصوات التي تسمع أحيانًا من بعض الناس هي بغير اختيارهم فيما يظهر ، وقد قال العلماء رحمهم الله : إن الإنسان إذا بكى من خشية الله ، فإن ، صلاته لا تبطل ، ولو بان من ذلك حرفان فأكثر ، لأن هذا أمر لا يمكن للإنسان أن يتحكم فيه ولا يمكن أن نقول للناس : لا تخشعوا في الصلاة ولا تبكوا ، بل نقول : إن البكاء الذي يأتي بتأثر القلب مما سمع أو مما استحضره إذا سجد؛ لأن الإنسان إذا سجد يستحضر أنه أقرب ما يكون إلى الله ربه عز وجل ، كما قال النبي ﷺ : « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد » والقلب إذا استحضر هذا وهو ساجد ، لا شك أنه سيخشع ويحصل البكاء ، ولا أستطيع أن أقول للناس امتنعوا عن البكاء ، ولكني أقول : إن البكاء من خشية الله والصوت الذي لا يمكن للإنسان أن يتحكم فيه لا بأس به ، أما تكلف ذلك؛ فلا .

❋ **س ٦** : أنا شاب متدين ، أبلغ من العمر (٢٢) عامًا ، أعاني من مشكلة أرجو من الله ثم منكم أن تساعدوني على التخلص منها ، وهي أنني حين أبدأ في الصلاة أبدأ في التثاؤب بغير قصد ، وهذه الحالة دائمًا تلازمني حتى عند قراءة آية الكرسي بالذات ، ولا أعرف سببًا

لذلك ، حيث أنني ، أتثاءب عشر مرات في الصلاة الواحدة أرجو الإفادة .

۞ ج ٦: التثاؤب من الشيطان كما أخبر بذلك النبي ﷺ وكما يتسلط الشيطان على المصلي بإلقاء الوساوس في قلبه والهواجس التي لا زمام لها ولا فائدة ، كذلك ربما يتسلط عليه في التثاؤب فيتثاءب كثيرًا حتى يشغله عن صلاته .

فإذا وجد المصلي شيئًا من ذلك ، فليفعل ما أمر به النبي ﷺ : يكظم ما استطاع فإن لم يستطع ، فليضع يده على فمه ، حتى لا يجعل للشيطان سبيلًا عليه .

وليحرص على أن يقبل على الصلاة بنشاط وهمة وعزيمة صادقة ، وليسأل الله سبحانه وتعالى العافية مما يحدث له في صلاته ، وإذا سأل الله تعالى بصدقٍ وفَعَلَ ما يستطيع من محاولة إزالة هذه المظاهر ، فإن الله سبحانه وتعالى يقول : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة : ١٨٦] .

❋ س ٧: في إحدى الغرف نصلي وتكون دورة المياة – أعزكم الله وإخواني المستمعين – أمامنا؛ أي باتجاه القبلة ، فهل يجوز ذلك ؟

۞ ج ٧: الصلاة بهذه الطريقة – كما قالت السائلة – جائزة؛

بمعنى أنها صحيحة ، ولا تبطل إذا كان الحمام أمام المصلي ، لعموم قول النبي ﷺ : « جُعِلَت لِيَ الأرض مسجدًا وطهورًا » ، ولكن قد يكون في الحمام رائحة كريهة تؤثر على المصلي وتُشوِّشُ عليه ، فإذا تجنَّب استقباله من أجل هذا؛ فهو أفضل ، لأن كل شيء يشوش على المصلي فالمشروع للمصلي أن يبتعد عنه ، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه صلى ذات يوم بخميصة لها أعلام ، فنظر إلى أعلامها نظرة ، فلما انصرف من صلاته قال : « اذهبوا بخميصتي هذه إلى أبي جهم ، وأتوني بأنبجانية أبي جهم »؛ لأنه ﷺ نظر إليها نظرة ، وكان في هذا انشغال في الصلاة ، ومن ثم أمر النبي ﷺ بأن تعطى هذه الخميصة لأبي جهم وتؤخذ أنبجانيته ، ويستفاد من هذا الحديث أن كل شيء يلهي المصلي عن صلاته ويشغله فإنه ينبغي اجتنابه .

❋ **س ٨**: كثير من الناس يصلون بثياب خفيفة تصف البشرة ، ويلبسون تحت هذه الثياب سراويل قصيره لا تتجاوز منتصف الفخد ، فيشاهد منتصف الفخذ من وراء الثوب ، فما حكم صلاة هؤلاء ؟

۞ ج ٨: حكم صلاة هؤلاء حكم من صلى بغير ثوب سوى السراويل القصيرة ، لأن الثياب الشفافة التي تصف البشرة غير ساترة ، ووجودها كعدمها ، وبناءً على ذلك فإن صلاتهم غير صحيحة على أصح قولي العلماء وهو المشهور من مذهب الإمام أحمد رحمه الله ،

وذلك لأنه يجب على المصلي من الرجال أن يستر ما بين السرة والركبة ، وهذا أدنى ما يحصل به امتثال قول الله عز وجل : ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ فالواجب عليهم أحد أمرين : إما أن يلبسوا سراويل تستر ما بين السرة والركبة ، وإما أن يلبسوا فوق هذه السراويل القصيرة ثوبًا صفيقًا لا يصف البشرة وهذا الفعل الذي ذُكِر في السؤال خطأ وخطير ، فعليهم أن يتوبوا إلى الله تعالى منه ، وأن يحرصوا على إكمال ستر ما يجب ستره في صلاتهم ، نسأل الله تعالى لنا ولإخواننا المسلمين الهداية والتوفيق لما يحبه ويرضاه؛ إنه جواد كريم .

❋ س ٩: ما هي الأحاديث الصحيحة التي وردت عن رسول الله ﷺ في كيفية الوقوف في الصلاة وعن كيفية وضع الرجلين ؟

ج ٩: أما بالنسبة لوضع الرجلين في حال الوقوف ، فلا أعلم في ذلك سنة ، وما لم يُعْلَمْ فيه سُنَّةٌ فإن الإنسان يكون فيه على حالته الطبيعية ، بمعنى أننا لا نأمره بإلصاق القدمين بعضهما ببعض ، ولا تفريقهما أكثر مما هو طبيعي .

وأما بالنسبة لليدين ، فإنه من السنة أن يضع يده اليمنى على ذراعه اليسرى أو على الرسغ وهو المفصل بين الكف والذراع ،

والأولى أن يضعهما على صدره في هذا الحال وأما بالنسبة للرأس فإنه لا يرفع رأسه ، لأن النبي ﷺ نهى عن ذلك واشتد قوله فيه حتى قال : « لينتهين أقوام عنه أو لتخطفن أبصارهم » فلا يحل للمصلي أن يرفع رأسه إلى السماء وهو يصلي ، بل يطأطئ رأسه وينظر إلى موضع سجوده ، إلا في حالة الجلوس وحال الإشارة بالإصبع ، فإنه ينظر إلى موضع إشارته إلى أصبعه هكذا جاءت السنة .

❋ **س ١٠ :** ما حكم قراءة الفاتحة في الفرض والنفل ؟

ج ١٠ : قراءة الفاتحة في صلاة الفرض والنفل ركنٌ لا تصح الصلاة إلا به ؛ لقول النبي ﷺ : « لا صلاة لمن لم يقرأ بأم القرآن » ثبت عنه ذلك ، وهو عام في حق الإمام والمأموم والمنفرد .

لكن يستثنى ما إذا جاء المأموم والإمام راكع؛ فإنه في هذه الحالة تسقط عنه الفاتحة لحديث أبي بكرة رضي الله عنه : أنه انتهى إلى النبي ﷺ وهو راكع فأسرع وركع قبل أن يدخل في الصف ، ثم دخل في الصف ، فلما انصرف النبي ﷺ من صلاته؛ سأل : « من فعل هذا » . فقال أبو بكرة : أنا . فقال النبي ﷺ : « زادك الله حرصًا ولا تعد » يعني : لا تعد لمثل ما فعلت من الإسراع والدخول في الصلاة قبل الانتهاء إلى الصف ، وأما الركوع مع الإمام ، فإنه لا يتناوله هذا النهي ، لأن الرسول عليه الصلاة والسلام قال : « إذا سمعتم الإقامة

فامشوا إلى الصلاة وعليكم السكينة والوقار ولا تسرعوا ، فما أدركتم فصلوا ، وما فاتكم فأتموا » .

❋ **س ١١ :** في الصلاة السرية إذا قرأ المأموم الفاتحة وسورة وانتهى والإمام لم يركع بعد ، فماذا يعمل ؟ هل يسكت حتى يركع الإمام أم يقرأ ؟

۞ **ج ١١ :** لا يسكت المأموم إذا فرغ من قراءة الفاتحة وسورة قبل أن يركع الإمام ، بل يقرأ حتى لو كان في الركعتين اللتين بعد التشهد الأول وانتهى من الفاتحة ولم يركع الإمام ، فإنه يقرأ سورة أخرى حتى يركع الإمام ، لأنه ليس في الصلاة سكوت مشروع إلا في حالة استماع المأموم لقراءة إمامه .

❋ **س ١٢ :** إذا دخل رجل في صلاةٍ سرية قائمة ، وعندما قرأ جزءًا من الفاتحة ، ركع الإمام؛ هل يقطع القراءة أم يتمها ؟

۞ **ج ١٢ :** إن كان مسبوقًا – بمعنى أنه جاء والإمام قد شرع في الصلاة ، ثم كبَّر ، واستفتح وقرأ الفاتحة ، وركع الإمام قبل انتهائه منها – فإنه يركع مع الإمام ، ولو فاته بعض الفاتحة؛ لأنه كان مسبوقًا ، فسقط عنه ما لا يستطيع إدراكه قبل ركوع الإمام ، وأما إذا كان دخل مع الإمام في أول الصلاة ، وعُرِفَ من الإمام أنه لا يتأنى في صلاته وأنه لا يمكنه متابعة الإمام إلا بالإخلال بأركان الصلاة؛ ففي هذه الحالة

يجب عليه أن يفارق الإمام وأن يكمل الصلاة وحده؛ لأن المتابعة هنا متعذرة؛ إلا بترك الأركان وترك الأركان متعذِّر .

❋ س ١٣ : ما حكم تغميض العينين في الصلاة ؟

۞ ج ١٣ : تغميض العينين في الصلاة مكروه؛ لأنه خلاف ما كان عليه النبي عليه الصلاة والسلام؛ إلا ما كان لسببٍ؛ كما لو كان أمامه زخرفة في الجدار أو في الفراش ، أو كان أمامه نور قويٌّ يؤذي عينيه ، المهم أنه إذا كان التغميض لسببٍ ، فلا بأس به ، وإلا فإنه مكروه .

❋ س ١٤ : ما حكم التلفظ بالنية في الصلاة والوضوء ؟

۞ ج ١٤ : حكم ذلك أنه بدعة ، لأنه لم ينقل عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه فوجب تركه ، والنية محلها القلب ، فلا حاجة مطلقًا إلى التفلظ بالنية ، والله وَليُّ التوفيق .

❋ س ١٥ : بعض المصلين بعد رفعهم من الركوع وقولهم : « ربنا ولك الحمد » يزيدون كلمة « والشكر » فما حكم ذلك ؟ وهل تجوز الزيادة في الدعاء عند الجلوس بين السجدتين أم يجب التقيُّد بالوارد ؟

۞ ج ١٥ : لا شك أن التقيُّد بالأذكار الواردة هو الأفضل ، فإذا رفع الإنسان من الركوع؛ فليقل : « ربنا ولك الحمد » ، ولا يزد :

« والشكر »؛ لعدم ورودها ، والصفات الواردة في هذا المكان أربع : « ربنا ولك الحمد » ، « ربنا لك الحمد » ، « اللهم ربنا لك الحمد » ، « اللهم ربنا ولك الحمد » هذه الصفات الأربع يقولها الإنسان ، هذه مرة وهذه مرة ، وأما « والشكر » فليست واردة ، فالأولى تركها .

وأما الزيادة على : « رب اغفر لي وارحمني » بين السجدتين؛ فكما قلت : المحافظة على ما ورد هو الأفضل ، وإن زدت فلا حرج .

❋ **س ١٦ :** ما حكم قول : « آمين » مع الدليل ؟

۞ **ج ١٦ :** التأمين على قراءة الفاتحة ثبت به النص ، فقال ﷺ : « إذا أَمَّنَ الإمام فأمِّنوا » وفي لفظ آخر : « إذا قرأ : « ولا الضالين » فقولوا : « آمين » .

والسنة فيه الجهر بالتأمين على الفاتحة في الصلاة الجهرية ومعناها : « اللهم استجب » .

❋ **س ١٧ :** هل تستطيع المرأة أن تصلي وهي حاملة طفلها ؟

۞ **ج ١٧ :** إن صلاة المرأة وهي حاملة لطفلها لا بأس بها؛ أي؛ لا بأس أن تحمل طفلها ، إذا كان طاهرًا ، واحتاج إلى حملها؛ لكونه يصيح ويشغلها عن صلاتها إذا لم تحمله وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه كان يصلي وهو حامل أمامة بنت زينب بنت رسول الله ﷺ ، كان يصلي في الناس وهو حاملها ، وإذا سجد وضعها فإذا فعلت المرأة ذلك

في طفلها ، فلا بأس به ، لكن الأفضل ألا تفعل إلا إذا دعت الحاجة .

❋ **س ١٨ :** يقول بعض المصلين في التحيات : اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم؛ ما رأيكم بقول : سيدنا ؟

۞ **ج ١٨ :** لا ينكر عاقل أن محمدًا ﷺ سيد ولد آدم ، فإن كل عاقل مؤمن يؤمن بذلك وإن النبي ﷺ سيد البشر ، والسيد له الشرف والطاعة والإمرة ، وطاعة النبي ﷺ من طاعة الله سبحانه وتعالى : ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ ونحن وغيرنا من المؤمنين لا نشك أن نبينا ﷺ سيدنا وخيرنا وأفضلنا عند الله سبحانه وتعالى وأنه المطاع فيما يأمر به صلوات الله وسلامه عليه ، ومن مقتضى اعتقادنا أنه السيد المطاع عليه الصلاة والسلام أن لا نتجاوز ما شرع لنا من قولٍ أو فعلٍ أو عقيدةٍ ، ومما شرعه لنا في كيفية الصلاة عليه في التشهد أن نقول : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد ، أو نحوها من الصفات الواردة في كيفية الصلاة عليه ﷺ ولا أعلم أن صفة وردت بالصورة التي ذكرها السائل وهو : اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد ، وإذا لم ترد هذه الصيغة عن النبي ﷺ ، فإن الأفضل أن لا نصلي على النبي بها ، وإنما نصلي عليه

بالصيغة التي علمنا إياها وإنني بهذه المناسبة أَوَدّ أن أنبّه إلى أن كل إنسان يؤمن بأن محمدًا ﷺ سيدنا فإن مقتضى هذا الإيمان أن لا يتجاوز الإنسان ما شرعه ، وأن لا ينقص عنه ، فلا يبتدع في دين الله ما ليس منه ، ولا ينقص عن دين الله ما هو منه ، فإن هذا هو مقتضى السيادة التي هي من حق النبي ﷺ علينا .

وعلى هذا ، فإن المبتدعين لأذكارٍ أو صلواتٍ على النبي ﷺ لم يأت بها شرعُ الله على لسان رسوله ﷺ تنافي بدعتهم دعوى الاعتقاد أن محمدًا ﷺ سيد ، لأن مقتضى هذه العقيدة أن لا يتجاوز ما شرع ، وأن لا ينقص منه . فليتأمل الإنسان وليتدبر ما يعنيه بقوله حتى يتضح له الأمر ويعرف أنه تابع لا مشرع .

❋ **س ١٩:** ما حكم الدعاء بعد الصلاة؟ وما هي صحة الحديث التالي : « من صلى ولم يدع فقد مقت الله »[1] .

۞ **ج ١٩:** الدعاء بعد الصلاة بغير ما ورد لا ينبغي ، وذلك لأن الأفضل أن يكون الدعاء قبل السلام ، هذا ما أرشد إليه النبي ﷺ في قوله في حديث ابن مسعود رضي الله عنه بعد أن ذكر التشهد : « ثم يتخيَّر من الدعاء ما شاء » وهذا أيضًا هو المعقول ، وهو مقتضى

---

(١) هكذا بالأصل .

النظر الصحيح ، فإن الإنسان قبل أن يُسَلِّم من صَلاته في حال مناجاة مع الله عز وجل ، فلا ينبغي أن يؤخر الدعاء حتى ينصرف من مناجاة الله عز وجل ، بل الدعاء في حال المناجاة أفضل وأولى ، أما ما ورد به النص ، مثل قول الإنسان : أستغفر الله ، أستغفر الله ، أستغفر الله حين يسلم ، فإن هذا يبقى على مشروعيته ، أما الحديث الذي ذكر السائل ، فليس بصحيح وعلى فرض صحّته ، فإن المراد : من صلّى ولم يدع في حال صلاته ، لأن الصلاة فيها دعاءٌ واجبٌ فإن قراءة الفاتحة فيها دعاء : ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ وفيها دعاء في التشهد : السلام عليك أيها النبي ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، وفيها : أعوذ بالله من عذاب جهنم .

❋ **س ٢٠** : هل من بأس في رفع اليدين عند الدعاء ومسحهما عند الحالات الآتية :

١ – بعد أداء السنن والرواتب قبل الصلاة وبعدها .

٢ – وعند دعاء الإمام آخر الخطبة يوم الجمعة .

۞ **ج ٢٠** : ليس من المشروع أن يرفع المرء يديه ويدعو إذا أتم الصلاة ، وإذا كان يريد الدعاء فإن الدعاء في الصلاة أفضل منه بعد أن ينصرف منها ، ولهذا أرشد النبي ﷺ إلى ذلك في حديث ابن مسعود حين ذكر التشهد؛ قال : « ثم يتخيَّر من المسألة ما شاء » وأما ما يفعله

بعض العامة من كونهم كلّما صلّوا تطوعًا رفعوا أيديهم ، حتى إن بعضهم تكاد تقول : إنه لم يدع ، لأنك تراه تقام الصلاة وهو في التشهد من تطوعه ، فإذا سلم؛ رفع يديه رفعًا كأنه – والله أعلم – رفع مجرّد ، ثم مسح وجهه؛ كل هذا محافظة على هذا الدعاء الذي يظنون أنه مشروع ، وهو ليس بمشروع ، فالمحافظة عليه إلى هذا الحد تُعَدُّ من البدع وأما رفع الأيدي والإمام يخطب يوم الجمعة؛ فإن ذلك ليس بمشروع أيضًا ، وقد أنكر الصحابة على بشر بن مروان حين رفع يديه في خطبة الجمعة ، لكن يستثنى من ذلك الدعاء بالاستسقاء ، فإنه ثبت عن النبي ﷺ أنه رفع يديه يدعو الله تعالى وهو في خطبة الجمعة ، ورفع الناس أيديهم معه ، وما عدا ذلك ، فإنه لا ينبغي رفع اليدين في حال الدعاء في خطبة الجمعة .

❋ **س ٢١**: نسمع بعض الإخوة أثناء قراءة الإمام في الصلاة الجهرية يقولون بعض العبارات عند بعض آيات معيّنة ، كما عند قوله تعالى على سبيل المثال : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يقولون : استعنّا بالله ، فما حكم هذه الجملة وأشباهها ؟

۞ **ج ٢١**: أما هذه الجملة؛ فليست بسنة؛ فإن المشروع في حق المأموم أن ينصت لإمامه ، فإذا فرغ من الفاتحة ، أمّن المأموم ، وهذا التأمين يغني عن كل شيء يقوله الإنسان في أثناء قراءة الإمام للفاتحة ،

وأما ما سوى ذلك ، فلا أستطيع أن أحكم حكمًا عامًا في هذا الموضوع ، لأن بعض المواضيع تختلف عن بعض .

❋ س ٢٢ : هل يجري الإنسان عندما يكون الإمام راكعًا أم ماذا ؟ لأني أفعل ذلك في بعض الأوقات عندما أكون قريبًا من المسجد .

ج ٢٢ : يُنْهَي أن يسرع الإنسان في مشيه إلى الصلاة ، لأن النبي عليه الصلاة والسلام أمرنا أن نمشي وعلينا السكينة والوقار ونهانا أن نسرع .

إلا أن بعض أهل العلم قال : لا بأس أن يسرع سرعة ليست قبيحة – كما يصنع بعض الناس تجده يأتي بركضٍ شديد ، فإن هذا منهيٌّ عنه – مع أن الإتيان بالسكينة والوقار مع عدم الإسراع أفضل ، حتى وإن خاف أن تفوته الركعة ، لعموم الحديث .

❋ س ٢٣ : إذا أراد الإنسان أن يدخل في الصف مع الجماعة ، وقد أقيمت الصلاة وهو يَحُسُّ أن الفاتحة تفوته أو يفوته بعض منها إذا دخل في الصلاة وقرأ دعاء الاستفتاح بعد تكبيرة الإحرام ، فأيهما يُقَدِّم : دعاء الاستفتاح أم الفاتحة ؟ وإذا كبَّر الإمام للركوع والإنسان لم يكمل الفاتحة فهل يكملها ولو أدى ذلك إلى عدم المتابعة في الركوع ؟

ج ٢٣ : إذا جاء الإنسان ودخل مع الإمام ؛ فإنه يُكَبِّر تكبيرة

الإحرام ، ويستفتح ، ويشرع بقراءة الفاتحة ، ثم إن تمكَّن من إتمامها قبل أن يفوته الركوع ، فَعَلَ ، فإن لم يمكن ، فإنها تسقط عنه لأنه مسبوق في القيام ، وحينئذٍ يكون قد أتى بالصلاة على ترتيبها المشروع .

وإن كبَّر الإمام للركوع وأنت لم تكمل الفاتحة ، فإن كان من عادته الإسراع ولا يمكن متابعته فإن الواجب أن تنفرد عنه وتتم صلاتك على وجه الطمأنينة ، وإن كان ليس عادته ذلك ، لكنك أنت نسيت أو غفلت؛ فإنك تتمها وتلحقه ولو بعد أن قام من الركوع؛ ولا يفوتك الركوع في هذه الحال ، لأنك داخل الصلاة من أولها لست مسبوقًا .

❋ **س ٢٤** : ما هو الأصح في تسوية الصفوف ؟ هل هو مساواة الأقدام برؤوس الأصابع فقط أم بمحاذاة الكعبين ؟ وهل من السنة إلصاق القدم بقدم المجاور في الصف ؟

۞ **ج ٢٤** : الصحيح أن المعتمد في تسوية الصفوف محاذاة الكعبين بعضهما بعضًا ، لا رؤوس الأصابع ، وذلك لأن البدن مركب على الكعب ، والأصابع تختلف الأقدام فيها ، فَقَدَمٌ طويل وآخر صغير ، فلا يمكن ضبط التساوي إلا بالكعبين .

وأما إلصاق الكعبين بعضهما ببعض فلا شك أنه وارد عن

الصحابة رضي الله عنهم ، فإنهم كانوا يسوون الصفوف بإلصاق الكعبين بعضهما ببعض ، أي أن كل واحدٍ منهم يلصق كعبه بكعب صاحبه ، لتحقيق المساواة ، ومن الغلو في هذه المسألة ما يفعله بعض الناس تجده يلصق كعبه بكعب صاحبه ، ويفتح قدميه بينهما ، حتى يكون بينه وبين جاره في المناكب فرجة ، فيخالف السنة في ذلك ، والمقصود أن المناكب والأكعب تتساوى .

❋ **س ٢٥**: حديث : « لا صلاة لمنفرد خلف الصف » ما درجته ؟ وما القول الفاصل في صلاة المنفرد خلف الصف ؟ وهل ورد غير هذا الحديث في هذه المسألة ؟

۞ **ج ٢٥**: نعم ورد غير هذا الحديث في هذه المسألة مما يقوّيه ويلحقه بدرجة القبول فالحديث حجة بشواهده ، وهو دليل على أن المنفرد خلف الصف ، لا تصح صلاته ، لأن القول الراجح فيما ورد بصيغة النفي أن يُحْمَلَ على نفي الوجود أولا ، فإن لم يمكن حمله على نفي الوجود بأن كان الشيء موجودًا؛ حُمِلَ على نفي الصحة ، فإن لم يمكن حَمْلُه على نفي الصحة بأن دلت الدلائل على صحته؛ فإنه يحمل على نفي الكمال . وهذا الحديث اختلف فيه أهل العلم : فمنهم من قال : إنه نفيٌ للكمال؛ أي لا صلاة كاملة لمنفرد خلف الصف ، وعلى هذا الأئمة الثلاثة : مالك ، وأبو حنيفة ، والشافعي ،

وهو رواية عن الإمام أحمد رحمه الله .

ولكن هذا القول ضعيف؛ لأنه ما دام يمكن حمله على نفي الصحة؛ وجب أن يُحْمَلَ عليه ، وعلى هذا ؛ فالقول الثاني في الحديث أنه يُحْمَلُ على نفي الصحة ، وأنه لا تصح صلاة لمنفرد خلف الصف ، وهو دليل على وجوب المصافة .

ولكن إذا أتى الإنسان والصف تام ، ولم يجد مكانًا؛ فإن هذا الواجب يسقط عنه؛ لقول الله تعالى : ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ ، وقوله : ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ ، وفي مثل هذا يقول أهل العلم قاعدتهم المشهورة : لا واجب مع العجز ، وهذا عاجز .

ولا يُشْرَعُ له أن يجر شخصًا من الصف المكتمل ليقوم معه ، لأن في ذلك أربعة محاذير :

منها : أنه يشوش على هذا المجرور .

ومنها : أنه ينقله من المكان الفاضل إلى المكان المفضول .

ومنها : أنه يحدث فرجة في الصف ، وهو خلاف ما أمر به النبي ﷺ من التراصّ .

ومنها : أنه يوجب للصف كله أن يتحرك ، لأن من العادة أنه إذا حصلت الفرجة ، تقارب الناس بعضهم من بعض ، فتحرك الصف كله من أجل هذا .

ولا يشرع له كذلك أن يقوم مع الإمام ، لأن قيامه مع الإمام مخالفة للسنة في موقف الإمام ، لأن السنة في موقف الإمام أن يقوم الإمام وحده ، حتى يتميز عن المأمومين بمكانه ، ثم إنه قد يكون فيه تخطّي صفّ أو اثنين أو ثلاثة أو أكثر ، ثم إنه إذا قام مع الإمام ودخل رجل آخر ، ولم يجد مكانًا في الصف ، وقلنا له : تقدم مع الإمام؛ صاروا ثلاثة ، وإذا جاء ثالث؛ صاروا أربعة ، ثم خمسة وهكذا حتى يكونوا صَفًّا كاملا مع الإمام .

وعليه ؛ فإنه لا ملجأ إلا أن نقول بواحدٍ من أمرين : إما أن نقول لهذا الرجل : انصرف وصلِّ وحدك من غير جماعة ، أو نقول : صلّ مع الجماعة منفردًا في الصف .

ولا شك أن القول بأن يصلي مع الجماعة منفردًا في الصف خير من القول بأن يذهب فينفرد عن الجماعة وعن الصف أيضًا ، وهذا الذي قلناه من أنه إذا كان الصف تامًا صلّى وحده خلف الصف هو ما اختاره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، واختاره أيضًا شيخنا عبد الرحمن بن سعدي ، وهو القول الذي تشهد له قواعد الشرع وأصوله .

ثم قال حفظه الله وتولاه في موضع آخر :

« إذا جاء الإنسان إلى المسجد ووجد أن الصفوف مكتملة؛ فإنه يصلي وحده منفردًا في الصف لكنه مع الجماعة ، ولا حرج عليه في

ذلك فالله تعالى يقول : ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ وهذا الرجل لا يستطيع الآن أن يدخل في الصفوف ، لأنها مكتملة ، وصلاة الجماعة واجبة ، وهي من تقوى الله ، فيجب عليه أن يصلي مع الجماعة لو كان وحده خلف الصف؛ لأنه لا يستطيع الدخول في الصف لاكتمال الصفوف .

فإن قلت : هذا يعارض قول النبي ﷺ : « لا صلاة لمنفردٍ خلف الصف » :

فالجواب : أن هذا الحديث اختلف العلماء في معناه :

فقال بعضهم : لا صلاة كاملة لمنفردٍ خلف الصف ، وإن هذا النفي كالنفي في قوله ﷺ : « لا صلاة بحضرة الطعام ، ولا وهو يدافعه الأخبثان » فإن الرجل لو صَلّى بحضرة الطعام فصلاته صحيحة ، ولكن النفي هنا للكمال ، والمعنى : لا صلاة كاملة لمنفردٍ خلف الصف ، وإلى هذا ذهب الأئمة الثلاثة : مالك والشافعي وأبو حنيفة وهو رواية عن الإمام أحمد .

ولكن القول الصحيح أنه نَفْيٌ للصحة ، وقد أصَّلَ العلماء قاعدة في ذلك ، وهي : أن الأصل في النفي أن يكون نفيًا للوجود ، فإن لم يمكن حمله على نفي الوجود حُمِلَ على نفي الصحة ، فإن لم يمكن حمله على نفي الصحة ، حُمِلَ على نفي الكمال .

وهذا الحديث : « لا صلاة لمنفرد خلف الصف » يمكن أن يُحْمَلَ على نفي الصحة ، ويقال : إن صلاة المنفرد خلف الصف لا تصح ، ويؤيد ذلك أن النبي ﷺ رأى رجلا يصلي خلف الصف وحده ، فأمره أن يعيد صلاته .

فالقول الراجح : أن هذا الحديث يدل على نفي صحة صلاة من صَلّى منفردًا خلف الصف ولازم ذلك أنه يجب على الإنسان أن يقوم في الصف ، ولكن الواجب إذا عجز الإنسان عنه فإنه يسقط؛ لقوله تعالى : ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ وقوله تعالى : ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ . وهذا الرجل إذا جاء والصفوف مكتملة لا يخلو من أحد خمسة أمور :

١ – إما أن ينصرف ويصلي وحده .

٢ – وإما أن يجذب واحدًا من الصف ليصلي معه .

٣ – وإما أن يتقدم إلى الإمام فيصلي معه .

٤ – وإما أن يصلي وحده خلف الصفوف .

٥ – وإما أن ينتظر قادمًا .

أما تَقَدّمه إلى الإمام؛ ففيه محذوران :

الأول : أنه يُشَوِّشُ عل المصلين بتخطّي رقابهم إن كان هناك صفوف ، فإن كان يمكن أن يأتي من الباب المقَدَّم في القبلة إلى أن

يقف مع الإمام ، ففيه مخالفة السنة بانفراد الإمام في مكانه ، وهو المحذور الثاني؛ فإن السنة أن ينفرد الإمام في مكانه إذا كان المأمومون اثنين فأكثر .

وإما أن يجذب واحدًا ليصلي معه ، وإذا جذب واحدًا ليصلي معه ، ففيه أيضًا محذورات :

الأول : نقل هذا الرجل من المكان الفاضل إلى المكان المفضول ، وهذا فيه شيء من الاعتداء عليه .

الثاني : أنه يشوش على الرجل صلاته .

الثالث : أنه يفتح في الصف فرجة .

الرابع : أنه يؤدي إلى حركة جميع من في الصف ، لأن العادة جرت أنه إذا انفتح في الصف فرجة تقارب بعضهم من بعض .

فيكون هذا غير مشروع – أي : أن يجذب واحدًا ليصلي معه .

وإما أن ينصرف ويصلي وحده ، فبهذا تفوته الجماعة في المكان والأفعال ، فيُحْرَمُ من الجماعة مكانًا وأفعالا .

وإما أن ينتظر من يأتي ، وهذا قد يأتي وقد لا يأتي ، فليس مؤكدًا .

وإما أن يدخل معهم ، فينفرد في المكان دون الأفعال ، فإدراكه الجماعة في الأفعال دون المكان خير من عدم إدراكه الجماعة لا بالمكان

ولا بالأفعال .

ولهذا كان هذا القول الوسط اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله . على أنه إذا تعذّر مكان في الصف؛ فإنه يقوم وحده ، ويصلي مع الجماعة ، ولا حرج عليه في ذلك .

وقد استدل رحمه الله بدليل غريب جدًا من باب القياس ، حيث قال : « المرأة تَصُفُّ وحدها خلف الصف ، وتصح صلاتها؛ لأنه ليس لها مكان شرعًا في الصف ، وهذا الرجل الذي وجد الصف تامًا ليس له مكان في الصف حِسًّا فالتعذّر الحسي كالتعذّر الشرعي » .

فأسند رحمه الله تعالى قوله إلى الدليل الشرعي ، والدليل العقلي وهو القياس .

❋ **س ٢٦ :** إذا سبق المأموم إمامه في الصلاة؛ فما الحكم في ذلك ؟

۞ **ج ٢٦ :** إذا سبق المأموم إمامه في الصلاة ، فإن كان سَبْقُهُ إياه بتكبيرة الإحرام فصلاة المأموم غير منعقدة ، وعليه أن يعيد الصلاة ، ودليل ذلك قول النبي ﷺ : « إنما جعل الإمام ليؤتم به ، فلا تختلفوا عليه ، فإذا كبر فكبروا » فقال عليه الصلاة والسلام : « إذا كبر فكبروا » ، فأمر بالتكبير بعد تكبيرة الإمام ، فإذا كبر المأموم تكبيرة الإحرام قبل إمامه ، فقد فعل فعلا ليس عليه أمر الله ورسوله ، وقد ثبت

عن النبي ﷺ أنه قال : « من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رَدّ » .

وإن سبق المأموم إمامه بغير تكبيرة الإحرام ، كأن يكون سبقه في الركوع ، فإن سبقه إلى الركوع بأن ركع قبل إمامه ، قلنا له : يلزمك أن ترجع فتركع بعد إمامك ؛ أي : بعد أن يركع .

فإن لم يفعل ولم يرجع ، فإن كان لا يعلم أن السبق إلى الركن حرام ، فصلاته صحيحة ، وإن كان يعلم أن السبق إلى الركن حرام ، فقد اختلف العلماء في صحة صلاته ، فمنهم من قال : إنها لا تصح ، وهو القول الصحيح ، لأنه ارتكب أمرًا محرمًا في صلاته ، فبطلت؛ كسائر المحرمات في العبادة إذا ارتكبها الإنسان ، وأما من قال : إن صلاته تصح ، فهو عنده آثم ، ولا تلزمه الإعادة .

أما إذا سبقه بالركن ، بأن سبق الإمام إلى الركن ، وانتهى منه قبل أن يركع إمامه فإن كان متعمدًا؛ بطلت صلاته ، وإن كان جاهلا أو ناسيًا ، لم تبطل ، لكن ذكر الفقهاء رحمهم الله أن عليه أن يعيد الركعة بعد إمامه ، هذا إذا كان السبق بالركن ركن الركوع .

أما الركن غير الركوع كالسجود؛ فإن هذا لا يثبت له حكم السبق بالركوع إلا إذا كان سبقًا بركنين ، هذا ما ذكره الفقهاء رحمهم الله في هذه المسألة .

❋ **س ٢٧**: شخص أتى إلى المسجد متأخرًا ، وأدرك الجماعة وهم في التشهد الأخير؛ هل يلحق بهم أم ينتظر الجماعة القادمة ؟ وإذا التحق بالجماعة في التشهد الأخير ، ثم سمع جماعة جديدة ، هل يقطع صلاته أم يتمّها ؟

۞ **ج ٢٧**: إذا كان الذي جاء والإمام في التشهد الأخير يعلم أنه سيجد جماعة ، فإنه ينتظر ويصلي مع الجماعة ، لأن القول الراجح أن الجماعة لا تدرك إلا بركعة كاملة ، أما إذا كان لا يرجو وجود أحد يصلي معه؛ فإن الأفضل أن يدخل معهم ولو في التشهد الأخير ، لأن إدراك بعض الصلاة خير من عدم الإدراك بالكلية ، وإذا قدر أنه دخل مع الإمام لعلمه أنه لا يجد جماعة ، ثم حضرت جماعة ، وسمعهم يصلون ، فلا حرج عليه أن يقطع صلاته ، ويذهب معهم ويصلي معهم ، وإن استمرّ على ما هو عليه فلا حرج ، فله أن يفعل واحدًا من هذه الأمور الثلاثة .

❋ **س ٢٨**: ماذا يفعل رجل دخل على إنسان يصلي صلاة سريَّة وهو لا يعلم هل يصلي السنة أم الفرض ؟ وماذا يفعل الإمام أيضًا في حكم هذا الرجل الذي دخل عليه المسجد وهو يصلي؛ هل يشير إليه ليدخل معه في الصلاة إذا كان في صلاة أو يبعده إذا كان في السنة ؟

ج ٢٨: الصحيح أنه لا يضر اختلاف نية الإمام والمأموم، وأنه يجوز للإنسان المفترض أن يصلي خلف الإنسان المتنفل؛ كما كان معاذ بن جبل يفعل ذلك في عهد النبي ﷺ، فإنه كان يصلي مع النبي ﷺ صلاة العشاء؛ ثم يرجع إلى قومه، فيصلي بهم تلك الصلاة، وهي له نافلة، ولهم فريضة.

فإذا دخل إنسان المسجد وأنت تصلي فريضة أو نافلة، وقام معك لتكونا جماعة فلا حرج، ولا يلزمك أن تشير عليه بأن لا يدخل، فيدخل معك ويصلي ما يدركه معك، وبعد انتهاء صلاتك يقوم فيقضي ما بقي عليه، سواء كنت تصلي نافلة أو فريضة.

س ٢٩: هل تصح الصلاة في مسجد إمامه يدعو الأموات ويكتب الحُجُبَ ويكتب البخارات في أوراق صغيرة تُحْرَقُ بالنار ويشمها المريض ولا ندري ما تحتوي ويعزم على المريض بالجنون ويشترط إعطاءه مبلغًا من المال في حالة الشفاء، وإذا كانت لا تجوز الصلاة خلف هذا الإمام فهل تصح الصلاة في المنزل لجار المسجد؟

ج ٢٩: ذكر في سؤاله أن الإمام يدعو الأموات، ودعاء الأموات وحده كافٍ عن كل ما ذُكِر من هذه الخصال التي أشار إليها، لأن دعاء الأموات شرك أكبر مخرج عن الملة، وكفر بالله عز وجل.

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ

﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ فجعل الله تعالى الدعاء عبادة، وصرف العبادة لغير الله تعالى شرك وقال تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾.

فجعل الله تعالى ذلك كافرًا، وأخبر أنه لا يفلح، فلا ينال مطلوبه، ولا ينجو من مرهوبه؛ بدعائه من سوى الله عز وجل.

ودعاء غير الله تعالى من الأموات أو الأحياء سفه وضلال؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٥، ٦].

ومثل هذا الإمام لا تجوز الصلاة وراءه؛ لأن صلاته غير صحيحة، بل هي باطلة لكونه مشركًا بالله عز وجل، ومن أشرك بالله؛ فهو كافر، وكل كافر؛ فعبادته باطلة مردودة؛ لقول الله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ وقوله عز وجل: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَـٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ﴾.

وإنني أوجه النصيحة إلى هذا الإمام الذي ذكرت حاله أن يتوب إلى الله عز وجل من دعاء غير الله ومن خداع عباد الله عز وجل بما

يكتب لهم من العزائم التي لا أساس لها في كتاب الله ولا في سنة رسول الله ﷺ ولا في عمل السلف الصالح رضي الله عنهم، فعليه أن يستغل العمر، وأن يتوب إلى الله ، وأن ينيب إليه ما دام في وقت الإمهال .

❋ **س ٣٠**: أسمع من بعض الناس إذا دخل المسجد والإمام راكع يقولون : إن الله مع الصابرين، حتى يطيل الإمام في الركعة ليدركوها، هل هذا جائز ؟

۞ **ج ٣٠**: هذا لا أصل له، ولم يكن في عهد الصحابة رضي الله عنهم ولا من هديهم، وفيه أيضًا تشويش على المصلين الذين مع الإمام، والتشويش على المصلين منهيٌّ عنه؛ لأنه يلهيهم .

خرج النبي ﷺ ذات ليلة على أصحابه رضي الله عنهم، وهم يصلون ويرفعون أصواتهم بالقراءة فنهاهم عن ذلك . وقال : « لا يجهر بعضكم على بعض في القرآن » ، وفي حديث آخر : « لا يؤذين بعضكم بعضًا في القراءة » وهذا يدل على أن كل ما يشوش على المأمومين في صلاتهم؛ فإنه منهيٌّ عنه، لما في ذلك من الإيذاء والحيلولة بين المصلي وبين صلاته .

أما بالنسبة للإمام؛ فإن الفقهاء رحمهم الله يقولون : إذا أحسَّ الإمام بداخل في الصلاة؛ فإنه ينبغي انتظاره، ولا سيما إذا كان في

الركعة الأخيرة، لأن الركعة الأخيرة بها تدرك الجماعة؛ لقول النبي ﷺ : « من أدرك ركعة من الصلاة؛ فقد أدرك الصلاة » لكن إن شقَّ على المأمومين فلا ينتظر؛ لأنهم أحق بالمراعاة من الداخل لسبقهم عليه .

❃ **س ٣١**: كنت أنقطع عن الصلاة شهورًا طويلة، ولكني تبتُ توبة نصوحًا ؛ وأصَلِّي الصلوات جميعها، وأحافظ عليها محافظة تامة في أوقاتها والحمد لله، كما أني لم أكن أصوم رمضان من قبل، وكنت أدخن كثيرًا، فتبت عن جميع تلك المعاصي والحمد لله . هل يلزمني قضاء الصلاة التي تركتها من قبل ؟

۞ **ج ٣١**: أولا : أهنئ هذا الأخ الذي مَنَّ الله عليه بالتوبة والقيام بما أوجب الله من فرض الصلاة والصيام، وأسأل الله سبحانه وتعالى له الثبات على ذلك، وأن يزيده من خيره وفضله، وأن يتوفانا وإياه على الإيمان، ويحشرنا في زمرة خير الأنام محمد ﷺ .

ثم إني أقول له : إن توبتك من الذنوب تَجُبُّ ما قبلها، وتوبتك من ترك الصلاة والصيام تَجبُّ ما قبلها، ويعفو الله سبحانه وتعالى عنك بهذه التوبة : لقول الله تبارك وتعالى : ﴿ ۞ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ .

ولقوله تعالى في وصف المتقين : ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ .

وبناءً على ذلك ؛ فإنه لا يلزمه قضاء ما تركه من الصلاة والصيام في ما مضى، ولكن يكثر من العمل الصالح والاستغفار والتوبة، ويتوب الله على من تاب .

❁ **س ٣٢**: ما حكم صلاة النساء في المساجد التي لا يرين فيها الإمام ولا المأمومين ، كأن يُصلين في الطابق العلوي؟ وهل تُعَد صلاتهن خلف المذياع كصلاتهن في المسجد مع عدم رؤية الإمام والمأمومين ؟

✪ **ج ٣٢**: يجوز للمرأة وللرجال أيضًا أن يصلوا جماعة في المسجد وإن لم يروا الإمام ولا المأمومين إذا أمكن الاقتداء بالإمام، فإذا كان الصوت يبلغ هؤلاء النساء في مكانهن، ويمكنهن أن يقتدين بالإمام، فإنه يصح أن يصلين جماعة مع الإمام لأن المكان واحد، والاقتداء ممكن، سواء كان عن طريق مكبر الصوت، أو عن طريق مباشر بصوت الإمام نفسه، ولا يضر إن كنَّ لا يرين الإمام ولا

المأمومين وأما ما اشترطه بعضهم من رؤية الإمام أو المأمومين ، فهو فيما إذا كان الذي يصلي خارج المسجد، فإن الفقهاء يقولون : يصح اقتداء المأموم الذي هو خارج المسجد إن رأى الإمام أو المأمومين .

على أن القول الراجح عندي أنه لا يصلح للمأموم أن يقتدي بالإمام خارج المسجد، وإن رأى الإمام أو المأمومين إذا كان في المسجد مكان يمكنه أن يصلي فيه، وذلك لأن المقصود بالجماعة الاتفاق في المكان وفي الأفعال، فإذا كان المسجد واسعًا، ويمكن أن يصلي الإنسان في المسجد، فإنه لا يصح أن يتابع الجماعة في غير المسجد، أما لو امتلأ المسجد، وصار من كان خارج المسجد يصلي مع الإمام ويمكنه المتابعة، فإن الراجح جواز متابعته للإمام وائتمامه به، سواء رأى الإمام أو لم يره، إذا كانت الصفوف متصلة، فتبينَّ من هذا :

* **أولاً** : إذا كان المأموم في المسجد؛ فائتمامه بالإمام صحيح بكل حال سواء رأى الإمام أو لم يره وسواءٌ رأى المأمومين أم لم يرهم؛ لأن المكان واحد .

* **ثانيًا** : إذا كان المأموم خارج المسجد فإن كان في المسجد سعة؛ فائتمامه بالإمام لا يصح سواء رأى المأمومين أم لم يرهم؛ لأن الواجب أن يكون مكان الجماعة واحدًا، وهنا يمكن أن يكون المكان واحدًا، ولكنه تهاون أو تعاجز وصلى خارج المسجد .

❋ **ثالثًا** : إذا لم يجد مكانًا في المسجد وكان خارج المسجد، فإن كانت الصفوف متصلة؛ صَحَّ أن يأتم بالإمام وإن لم يره، لأن الصفوف المتصلة كأنهم في المسجد .

وأما الصلاة خلف المذياع أو التليفزيون؛ فإنها لا تصح، لعدم الاتحاد في المكان، وللتباعد العظيم بين الإمام والمأموم، ولأن في ذلك عرضة لفساد الصلاة؛ إذ قد ينقطع التيار الكهربائي، فلا يسمع صوتًا، ولا يرى شخصًا، ولأن فيه فتح باب للتكاسل وترك صلاة الجماعة في مساجد البلد .

❋ **س ٣٣**: عندما صليت أول مرة، صليت صلاة الشكر بعد الانتهاء من الصلاة، لأن الله هداني إلى الطريق الصحيح، فهل صلاة الشكر في مثل هذه الحالة مشروعة ؟

۞ **ج ٣٣**: لا أدري ماذا يعني بصلاة الشكر ؟ فالشكر ليس له صلاة ذات ركوع وقيام، وإنما له سجود فقط، فإذا أنعم الله على الإنسان بنعمة متجددة، كنجاة من تلف أو حصول مطلوب يعز عليه حصوله، أو هدى من الله عز وجل وتوبة، فسجد لله تعالى شكرًا؛ كان ذلك من الأمور المشروعة .

❋ **س ٣٤**: ما حكم الصلاة قبل المغرب بين الأذان والإقامة ؟

۞ **ج ٣٤**: الصلاة التي قبل المغرب بين الأذان والإقامة سنة أمر

بها النبي عليه الصلاة والسلام ثلاث مرات، فقال : « صلوا قبل المغرب ، صلوا قبل المغرب، صلوا قبل المغرب » لكنه قال في الثالثة : « لمن شاء » كراهية أن يتخذها الناس سنة .

فصلاة ركعتين قبل المغرب بين الأذان والإقامة سنة، لكنها ليست راتبة ، فلا ينبغي المحافظة عليها دائمًا، لأنه لو حافظ عليها دائمًا لكانت راتبة، بخلاف الركعتين بعدها؛ فإنها راتبة، وتُسَنُّ المحافظة عليهما إلا في السفر، فإن المسافر لا يسن له أن يأتي براتبة الظهر أو المغرب أو العشاء .

بل إن الرسول ﷺ قال : « بين كل أذانين صلاة » أي : بين كل أذان وإقامة صلاة، أي : صلاة نافلة، لكنها في الفجر والظهر راتبة، وفي العصر والمغرب والعشاء غير راتبة .

❋ **س ٣٥**: ما حكم تشبيك الأصابع في المسجد ؟

۞ **ج ٣٥**: تشبيك الأصابع بعد الصلاة لا بأس به؛ فقد ثبت أن النبي ﷺ شبَّك بين أصابعه ، وأما إذا كان قبل الصلاة أو في أثناء الصلاة فمكروه، لحديث ورد في هذا .

❋ **س ٣٦**: يحدث في المسجد أن بعض الإخوة يأتون قبل الإقامة بدقيقة أو دقيقتين فيقفون وينتظرون إقامة الصلاة ولا يأتون بتحية المسجد فما الحكم ؟

ج ٣٦: إذا كانت المدة قصيرة بحيث لا تكفي فعل التحية، فلا حرج عليهم، وأما إذا كانوا لا يدرون متى يأتي الإمام، فالأفضل أن يصلّوا تحية المسجد، ثم إن جاء الإمام وأقيمت الصلاة وأنت في الركعة؛ فاقطعها، وإن كنت في الركعة الثانية فأتمها خفيفة » انتهى من فتاوى فضيلة شيخنا العلامة محمد بن صالح بن عثيمين .

وصلى اللهم وسلم وبارك على النبي وآله .

* * *

خاتمــة

هذا بعض ما تيسر جمعه في هذا الموضوع الهام ، أما بالنسبة لكيفية الصلاة وهيآتها فأحيلك على كتاب : « صفة صلاة النبي ﷺ من التكبير إلى التسليم كأنك تراها » لحافظ الوقت ونادرة العصر العلامة المحدث الإمام الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله .

والله أسأله قبول كتابتي ... منـي وأشكره لما أَوْلاني
صلى الإلهُ على النبيِّ محمدٍ ... ما ناح قمريٌّ على الأغصان
وعلى جميع بناته ونسائه ... وعلى جميع الصحب والإخوان

كتبــه

إبراهيم بن فتحي عبد المقتدر محمد

كفر الشيخ – الحمراوي – مصر

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

* * *

كمبيوتر : ربيع محمود ☎ : ٤٧٥٠٠٨٠